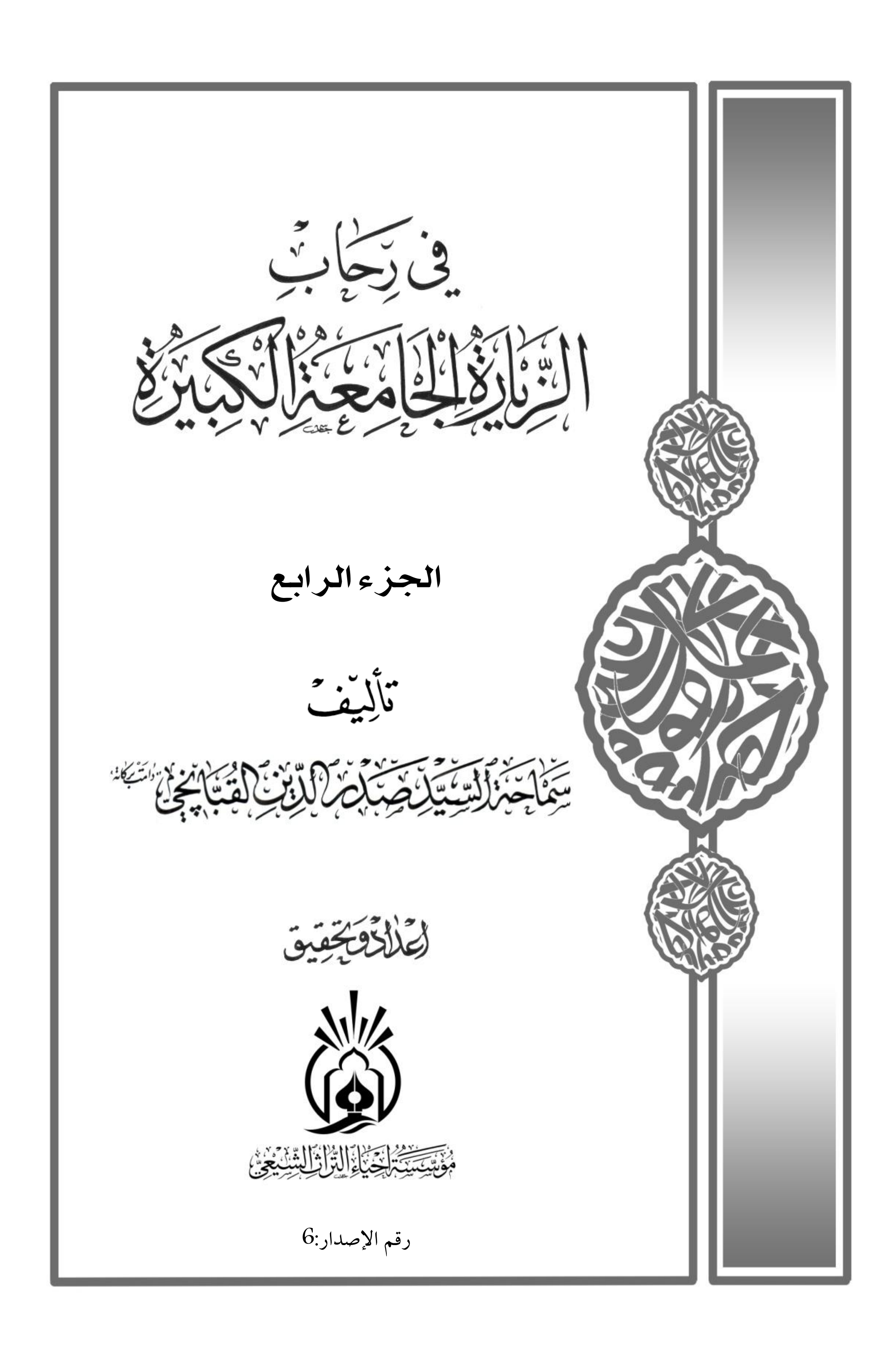

في رحاب
الزيارة الجامعة الكبيرة
الجزء الرابع
تأليف
سماحة السيد صدر الدين القبانچي
إعداد وتحقيق
مؤسسة إحياء التراث الشيعي
رقم الإصدار:6



www.turathshiai.com
E-mail:info@turathshiai.com
النجف الأشرف
شارع الرسول ﷺ، محلة الحويش، الزقاق 54، الدار: 2
هاتف: 333281 و 333281

في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ج4

السيد صدر الدين القبانچي

إعداد وتحقيق

مؤسسة إحياء التراث الشيعي
الطبعة الأولى: ربيع الأوّل 1429هـ
رقم الإصدار: 16
النجف الأشرف

عدد النسخ: 3000

إيضاح

فصول الزيارة الجامعة:

أساساً هذه الزيارة يمكن تقسيمها بشكل طبيعي إلى خمسة فصول:

الفصل الأوّل: التحية والسلام. وفي هذا الفصل نجد هذه الزيارة تبدأ بجميع مفرداتها بالسلام «السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، السلام على الدعاة إلى الله. وهكذا».

الفصل الثاني: يبدأ باستعراض عقيدة الإنسان المؤمن بين يدي الأئمّة الأطهار. نقول هذه هي عقيدتنا: «أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، وأشهد أنكم الأئمّة الراشدون، المهديون، المعصومون، المقربون، المتقون» لاحظوا هذا استعراض عقيدة الإنسان، يعني عندما الطالب يقف أمام الأستاذ في المدرسة يقول له هذه هي النظريات التي أومن بها، فإذا كانت صحيحة اقبلها مني، وإذا كانت غير صحيحة صححها لي، نحن في الزيارة الجامعة بعد أن نبدأ في الفصل الأوّل بالسلام على أهل البيت نبدأ بالفصل الثاني بمقطع أشهد أن لا إله إلاّ الله استعراضاً عقائدياً.

الفصل الثالث: ينتقل له بشكل مرتب ورائع كأن الإمام عليه السلام رتب هذه الزيارة على شكل فصول، هذا الفصل يبدأ بشرح علاقة الأئمّة الأطهار مع الله تبارك وتعالى ومنزلتهم عنده.

ما هي منزلة أهل البيت عند الله تبارك وتعالى؟

هنا نقول: «أشهد أنكم السبيل الأعظم، والصراط الأقوم، وشهداء دار الفناء، وشفعاء دار البقاء، والرحمة الموصولة، والآية المخزونة» لاحظوا كل هذا عرض رائع جداً لتصوّرنا عن منزلة أهل البيت فيما بينهم وبين الله تبارك وتعالى.

الفصل الرابع: هو عبارة عن استعراض علاقة المؤمن بأهل البيت.

لقد تضمن الفصل الثاني عرضاً لاعتقادنا بالله، وبرسول الله وبالأئمّة الأطهار، والآن ما هي علاقتنا بأهل البيت؟

هذا الفصل يكرس لشرح علاقتك أنت المؤمن بأهل البيت «أني بكم مؤمن، وبإيابكم موقن بشرايع ديني وخواتيم عملي، إني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم».

الفصل الخامس: هو الخاتمة وهو عبارة عن الدعاء، أي بعد أن أدينا أدب التحية مع أهل البيت في الفصل الأوّل، وفي الفصل الثاني استعرضنا عقائدنا واستعرضنا منزلة أهل البيت عند الله في الفصل الثالث، وبعد أن بينا ما هي علاقتنا بأهل البيت في الفصل الرابع يأتي ختام هذا العرض بالدعاء «يا سادتي ومواليَّ لو وجدت شفعاء أقرب إلى الله منكم لجعلتهم شفعائي».

* * *

لقد تضمنت المحاضرات السابقة [1] معايشة مع أهل البيت عليهم السلام في دلالات الفصل الأوّل والثاني. أمّا الآن فلنبدأ بالمعايشة مع أهل البيت عليهم السلام في ضوء مداليل الفصل الثالث من الزيارة.

* * *

[1] طبعت في المجلد الأوّل والثاني من هذا الكتاب.

الفصل الرابع من الزيارة:

«بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ مُسْتَبْصِرٌ بِشَأْنِكُمْ وَبِضَلالَةِ مَنْ خَالَفَكُمْ مُوَالٍ لَكُمْ وَلِأَوْلِيَائِكُمْ مُبْغِضٌ لِأَعْدَائِكُمْ وَمُعَادٍ لَهُمْ سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ مُحَقِّقٌ لِمَا حَقَّقْتُمْ مُبْطِلٌ لِمَا أَبْطَلْتُمْ مُطِيعٌ لَكُمْ عَارِفٌ بِحَقِّكُمْ مُقِرٌّ بِفَضْلِكُمْ مُحْتَمِلٌ لِعِلْمِكُمْ مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ مُعْتَرِفٌ بِكُمْ مُؤْمِنٌ بِإِيَابِكُمْ مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ مُنْتَظِرٌ لِأَمْرِكُمْ مُرْتَقِبٌ لِدَوْلَتِكُمْ آخِذٌ بِقَوْلِكُمْ عَامِلٌ بِأَمْرِكُمْ مُسْتَجِيرٌ بِكُمْ زَائِرٌ لَكُمْ لائِذٌ عَائِذٌ بِقُبُورِكُمْ مُسْتَشْفِعٌ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكُمْ وَمُتَقَرِّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ وَمُقَدِّمُكُمْ أَمَامَ طَلِبَتِي وَحَوَائِجِي وَإِرَادَتِي فِي كُلِّ أَحْوَالِي وَأُمُورِي مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلانِيَتِكُمْ وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَأَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ وَمُفَوِّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ وَمُسَلِّمٌ فِيهِ مَعَكُمْ وَقَلْبِي لَكُمْ مُسَلِّمٌ وَرَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتَّى يُحْيِيَ اللَّهُ تَعَالَى دِينَهُ بِكُمْ وَيَرُدَّكُمْ فِي أَيَّامِهِ وَيُظْهِرَكُمْ لِعَدْلِهِ وَيُمَكِّنَكُمْ فِي أَرْضِهِ فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لا مَعَ غَيْرِكُمْ [عَدُوِّكُمْ] آمَنْتُ بِكُمْ وَتَوَلَّيْتُ آخِرَكُمْ بِمَا تَوَلَّيْتُ بِهِ أَوَّلَكُمْ وَبَرِئْتُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَمِنَ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَالشَّيَاطِينِ وَحِزْبِهِمُ الظَّالِمِينَ لَكُمْ [وَ] الْجَاحِدِينَ لِحَقِّكُمْ وَالْمَارِقِينَ مِنْ وِلايَتِكُمْ وَالْغَاصِبِينَ لِإِرْثِكُمْ [وَ] الشَّاكِّينَ فِيكُمْ [وَ] الْمُنْحَرِفِينَ عَنْكُمْ وَمِنْ كُلِّ وَلِيجَةٍ دُونَكُمْ وَكُلِّ مُطَاعٍ سِوَاكُمْ وَمِنَ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ فَثَبَّتَنِيَ اللَّهُ أَبَداً مَا حَيِيتُ عَلَى مُوَالاتِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ وَدِينِكُمْ وَوَفَّقَنِي لِطَاعَتِكُمْ وَرَزَقَنِي شَفَاعَتَكُمْ وَجَعَلَنِي مِنْ خِيَارِ مَوَالِيكُمُ التَّابِعِينَ

لِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ وَجَعَلَنِي مِمَّنْ يَقْتَصُّ آثَارَكُمْ وَيَسْلُكُ سَبِيلَكُمْ وَيَهْتَدِي بِهُدَاكُمْ وَيُحْشَرُ فِي زُمْرَتِكُمْ وَيَكِرُّ فِي رَجْعَتِكُمْ وَيُمَلَّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ وَيُشَرَّفُ فِي عَافِيَتِكُمْ وَيُمَكَّنُ فِي أَيَّامِكُمْ وَتَقَرُّ عَيْنُهُ غدا بِرُؤْيَتِكُمْ بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي مَنْ أَرَادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ مَوَالِيَّ لا أُحْصِي ثَنَاءَكُمْ وَلا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ وَأَنْتُمْ نُورُ الأَخْيَارِ وَهُدَاةُ الأَبْرَارِ وَحُجَجُ الْجَبَّارِ بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ [اللهُ] وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ وَبِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ وَيَكْشِفُ الضُّرَّ وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ وَهَبَطَتْ بِهِ مَلائِكَتُهُ وَإِلَى جَدِّكُمْ وا گـر زيارت امير المؤمنين عليه السلام باشد بجاي وإلى جدكم ب گـ وَإِلَى أَخِيكَ بُعِثَ الرُّوحُ الأَمِينُ آتَاكُمُ اللهُ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدا مِنَ الْعَالَمِينَ طَأْطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِطَاعَتِكُمْ وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضْلِكُمْ وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِكُمْ وَفَازَ الْفَائِزُونَ بِوِلايَتِكُمْ بِكُمْ يُسْلَكُ إِلَى الرِّضْوَانِ وَعَلَى مَنْ جَحَدَ وِلايَتَكُمْ غَضَبُ الرَّحْمَنِ بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الأَسْمَاءِ وَأَجْسَادُكُمْ فِي الأَجْسَادِ وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الأَرْوَاحِ وَأَنْفُسُكُمْ فِي النُّفُوسِ وَآثَارُكُمْ فِي الآثَارِ وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ فَمَا أَحْلَى أَسْمَاءَكُمْ وَأَكْرَمَ أَنْفُسَكُمْ وَأَعْظَمَ شَأْنَكُمْ وَأَجَلَّ خَطَرَكُمْ وَأَوْفَى عَهْدَكُمْ [وَأَصْدَقَ وَعْدَكُمْ] كَلامُكُمْ نُورٌ وَأَمْرُكُمْ رُشْدٌ وَوَصِيَّتُكُمُ التَّقْوَى وَفِعْلُكُمُ الْخَيْرُ وَعَادَتُكُمُ الإِحْسَانُ وَسَجِيَّتُكُمُ الْكَرَمُ وَشَأْنُكُمُ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ وَالرِّفْقُ وَقَوْلُكُمْ حُكْمٌ وَحَتْمٌ وَرَأْيُكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوَّلَهُ وَأَصْلَهُ وَفَرْعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ وَأُحْصِي جَمِيلَ بَلائِكُمْ وَبِكُمْ أَخْرَجَنَا اللهُ مِنَ الذُّلِّ وَفَرَّجَ عَنَّا غَمَرَاتِ الْكُرُوبِ وَأَنْقَذَنَا مِنْ شَفَا جُرُفِ الْهَلَكَاتِ وَمِنَ النَّارِ بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي بِمُوَالاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللهُ مَعَالِمَ دِينِنَا وَأَصْلَحَ مَا كَانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيَانَا

وَبِمُوَالاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ وَأئتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ وَبِمُوَالاتِكُمْ تُقْبَلُ الطَّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ وَلَكُمُ الْمَوَدَّةُ الْوَاجِبَةُ وَالدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ وَالْمَقَامُ الْمَحْمُودُ وَالْمَكَانُ [وَالْمَقَامُ] الْمَعْلُومُ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْجَاهُ الْعَظِيمُ وَالشَّأْنُ الْكَبِيرُ وَالشَّفَاعَةُ الْمَقْبُولَةُ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ».

* * *

الفصل الخامس من الزيارة:

«رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا يَا وَلِيَّ اللهِ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ذُنُوبا لا يَأْتِي عَلَيْهَا إِلا رِضَاكُمْ فَبِحَقِّ مَنِ ائْتَمَنَكُمْ عَلَى سِرِّهِ وَاسْتَرْعَاكُمْ أَمْرَ خَلْقِهِ وَقَرَنَ طَاعَتَكُمْ بِطَاعَتِهِ لَمَّا اسْتَوْهَبْتُمْ ذُنُوبِي وَكُنْتُمْ شُفَعَائِي فَإِنِّي لَكُمْ مُطِيعٌ مَنْ أَطَاعَكُمْ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ عَصَاكُمْ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللهَ وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللهَ اللَّهُمَّ إِنِّي لووَجَدْتُ شُفَعَاءَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الأَخْيَارِ الأَئِمَّةِ الأَبْرَارِ لَجَعَلْتُهُمْ شُفَعَائِي فَبِحَقِّهِمُ الَّذِي أَوْجَبْتَ لَهُمْ عَلَيْكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُدْخِلَنِي فِي جُمْلَةِ الْعَارِفِينَ بِهِمْ وَبِحَقِّهِمْ وَفِي زُمْرَةِ الْمَرْحُومِينَ بِشَفَاعَتِهِمْ إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ وَسَلَّمَ [تَسْلِيما] كَثِيرا وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ».

* * *

المحاضرة الحادية والستون:

علامة الفداء لأهل البيت عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

«بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ مُسْتَبْصِرٌ بِشَأْنِكُمْ وَبِضَلالَةِ مَنْ خَالَفَكُمْ مُوَالٍ لَكُمْ وَلِأَوْلِيَائِكُمْ مُبْغِضٌ لِأَعْدَائِكُمْ وَمُعَادٍ لَهُمْ سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ مُحَقِّقٌ لِمَا حَقَّقْتُمْ مُبْطِلٌ لِمَا أَبْطَلْتُمْ مُطِيعٌ لَكُمْ عَارِفٌ بِحَقِّكُمْ مُقِرٌّ بِفَضْلِكُمْ مُحْتَمِلٌ لِعِلْمِكُمْ مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ مُعْتَرِفٌ بِكُمْ مُؤْمِنٌ بِإِيَابِكُمْ مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ مُنْتَظِرٌ لِأَمْرِكُمْ مُرْتَقِبٌ لِدَوْلَتِكُمْ آخِذٌ بِقَوْلِكُمْ عَامِلٌ بِأَمْرِكُمْ مُسْتَجِيرٌ بِكُمْ زَائِرٌ لَكُمْ لائِذٌ عَائِذٌ بِقُبُورِكُمْ مُسْتَشْفِعٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكُمْ وَمُتَقَرِّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ وَمُقَدِّمُكُمْ أَمَامَ طَلِبَتِي وَحَوَائِجِي وَإِرَادَتِي فِي كُلِّ أَحْوَالِي وَأُمُورِي مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلانِيَتِكُمْ وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَأَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ وَمُفَوِّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ».

هذه الفقرات هي بداية الفصل الرابع من الزيارة الجامعة الكبيرة.

كان الفصل الأوّل هو فصل التحيّة: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَوْضِعَ الرِّسَالَةِ ...»، «السَّلامُ عَلَى أَئِمَّةِ الْهُدَى ...»، «السَّلامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ...».

وكان الفصل الثاني هو بيان الاعتقادات: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ...» إلى أن يقول: «وَأَشْهَدُ أَنَّكُمُ الْأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ

الْمَهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ الْمُكَرَّمُونَ الْمُقَرَّبُونَ الْمُتَّقُونَ الصَّادِقُونَ الْمُصْطَفَوْنَ ...»، «عَصَمَكُمُ اللَّهُ مِنَ الزَّلَلِ وَآمَنَكُمْ مِنَ الْفِتَنِ وَطَهَّرَكُمْ مِنَ الدَّنَسِ».

وكان الفصل الثالث يتحدّث عن موقع أهل البيت في الأمّة حسب نظريّة الإسلام ويبدأ من قوله: « مَنْ وَالاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهَ وَمَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى اللَّهَ».

اليوم نبدأ بالفصل الرابع من الزيارة الجامعة وهو شرح لعلاقة المؤمن الزائر بهم، أي أننا بعد أن أدّينا آداب التحيّة وبعد أن بدأنا ببيان اعتقاداتنا وبعد أن شرحنا في هذه الزيارة موقع أهل البيت في الأمّة، الآن يبدأ الزائر في الفصل الرابع بعمليّة الارتباط الروحي معهم، أي الحديث الشخصي مع الإمام بعد أن فُتح لك الباب، الفصل الرابع هو شرح رائع وجميل بلسان الإمام المعصوم في بيان علاقة الزائر بالإمام الذي يزوره.

يبدأ هذا الفصل بالقول: « بِأَبِي أَنْتُمْ وَ أُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَ أُسْرَتِي » أي إن هذا الفصل يبدأ بعمليّة الاستعداد للفداء، حيث المعنى هو (أفديكم بأبي وأُمّي ونفسي ومالي وأهلي وأُسرتي) وحينما نقرأ مقاطع هذا الفصل سنجد ترجمة لمناجاة شخصيّة بين الزائر وبين الإمام المزور.

ولدينا اليوم ثلاثة بحوث:

البحث الأوّل: في مسألة الفداء والتضحية.

هذا الفصل يبدأ بعملية الإعراب عن الاستعداد للفداء لأهل البيت عليهم السلام «بِأَبِي أَنْتُمْ وَ أُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَ أُسْرَتِي » ومعناه (أفديكم بأبي وأُمّي...) حيث يوجد قبل كلمة (بأبي) فعل محذوف مقدّر كقولنا: (بسم

الله الرحمن الرحيم) حيث معناه (أبدأ بسم الله الرحمن الرحيم).

أنت تقول في الزيارة: إني مستعد للفداء بكل شيءٍ أملكه لأهل البيت عليهم السلام وهذا هو أوّل المناجاة وأوّل نغمة جميلة للفداء والعشق والهيام في حبهم عليهم السلام.

لماذا الفداء؟ ولماذا يربي الإسلام أتباعه على نسيان المصالح الشخصيّة؟

أيّة علاقة هذه؟ إنها علاقة ذوبان وفداء، أنك وكل ما تملك من نفس ومن مال ودنيا وحتّى الأب والأُمّ، كل هؤلاء تجعلهم فداء للمعصوم، هذه تربية خاصّة، فالإسلام يربينا على نمطٍ من سحق الذات والأنا والممتلكات بأنها كلّها فداء للدين.

سنجد في هذا المقطع من الزيارة خمس مرات يتكرر هذا الفداء، ففي بدايته: «بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي... أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ».

ثمّ يقول: « بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي ... مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بَدَأَ بِكُمْ وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ».

ومرّة ثالثة يقول: « بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي ... ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ ، وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ ، وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ ، وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ».

وفي مرة رابعة يقول: « بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ...».

وفي مرة خامسة يقول: « بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي بِمُوَالاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا».

وطبعاً مثل هذا المفهوم يتكرر في زيارة عاشوراء، وفي زيارات أُخرى، بما يفيد أن نمط علاقتنا بأهل البيت عليهم السلام هي علاقة الفداء وأن لا نبقى شيئاً دونهم. وهذه التربية لا تألفها الثقافات الأخرى بل تركزها مدرسة الإسلام ومدرسة أهل البيت عليهم السلام بالخصوص.

البحث الثاني: حقيقة التضاد بين الحق والباطل.

حين يقول في هذا المقطع من الزيارة: «مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ، كَافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ» فالإيمان بالحق يقابله كفر بالباطل.

إذن ما هي العلاقة بين الحق والباطل؟

هنا نسجل عدة أمور:

1 ـ الإسلام يعتقد بأن هناك حقائق وهناك أباطيل، ليست كل الدنيا أباطيل ولا كل الدنيا حقائق.

2 ـ هناك تضاد وليس صداقة بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وبين النور والظلمة، فأنت أيّها المؤمن حينما يكون لك موقف مع الحق لا بدَّ أن يكون لك موقف معاكس له مع الباطل، لا يمكن أن تكون صديقاً للحق والباطل معاً، هذا غير مقبول وسوف نتحدّث عنه اليوم وهو مطروح عالمياً، هذه زيارة لكنها مدرسة فلسفيّة عظيمة فحينما يقول: «أنّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ» وهذا هو الإيمان بالحق وفي مقابل ذلك يقول: «كَافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ» حيث لا يمكن أن يكون (مؤمن بكم) وفي نفس الوقت (مؤمن بما خالفكم).

البحث الثالث: ماذا نعتقد نحن بالمخالفين؟

(المخالفون) هو اصطلاح، يقصد به أولئك الذين لا يؤمنون بإمامة

أهل البيت عليهم السلام. أي إنَّ أهل السُنّة باصطلاحنا نسمّيهم (أهل الخلاف) وقد نصطلح عليهم (أبناء العامّة) في مقابل ذلك نحن الشيعة (أبناء الخاصّة) فنحن خاصّة الإسلام، ونصطلح عليهم أبناء الجماعة أي جماعة الحكم والسلطة، هذه اصطلاحات ولا نريد الوقوف عندها.

والسؤال هو: ما هي نظريّة أهل البيت تجاه أبناء العامّة؟ طبعاً هم يحاولون أن يصطلحوا على أنفسهم أهل السُنّة وهذا الاصطلاح مسروق، فأهل السُنّة هم نحن لأن من التزم بسُنّة رسول الله هم الشيعة، ولهذا فإنَّ العلماء في الكتابات العلميّة لا يقولون أبناء السُنّة بل يقولون أبناء العامّة أو أبناء الجماعة أو أهل الخلاف، الحقيقة أنه قد جرى في التاريخ تحريف للألقاب والمصطلحات. (الصدّيق) في ثقافتنا هو الإمام عليّ عليه السلام «السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الصِّدّيقُ الْأَكْبَرُ» ومصطلح (الفاروق) يقصد به الإمام عليّ عليه السلام. «السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْفَارُوقُ الْأَعْظَمُ» لكن هذه كلّها اصطلاحات سُرقت وصودرت من أهل البيت عليهم السلام، وأعطيت لغيرهم. أهل البيت لم تُصادر فقط حقوقهم بل صودرت حتّى عناوينهم وألقابهم فأصبح يقال الصدّيق ويقال الفاروق لغيرهم والحال أن الصدّيق الأكبر هو أمير المؤمنين وهو الذي نزل به القرآن الكريم في قوله: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾،[1] وهكذا الفاروق بين الحق والباطل فإنه الإمام عليّ عليه السلام وكما جاء ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله.[2]

ما هو الموقف من أهل الخلاف؟

---

(١)

(٢)

وماذا نعتقد بهم؟ هل هم على حق؟ أم أنهم على باطل؟

هنا يجب أن نقول: إنه طالما كان أهل البيت على حق إذن من يخالفهم على باطل، إذا كان عليّ مع الحق والحق مع عليّ إذن من يخالف عليّ ليس مع الحق، هذا هو اعتقادنا نحن الشيعة في المخالفين.

أين تجد هذا في الزيارة الجامعة الكبيرة ذات المفاهيم المفصّلة؟

يوجد الإشارة إلى ذلك في قوله: « مُسْتَبْصِرٌ بِشَأْنِكُمْ وَبِضَلالَةِ مَنْ خَالَفَكُمْ».

اليوم حديثنا عن هذه البحوث الثلاثة:

البحث الأوّل: مسألة التضحية والفداء:

«بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي» أي (أفديكم بأبي...).

الحقيقة أنَّ الولاء لله ولرسوله ولأهل البيت على مراتب:

المرتبة الأولى: الولاء التجاري.

المرتبة الثانية: الولاء المزدوج.

المرتبة الثالثة: الولاء الخالص.

1 _ الولاء التجاري:

قد يقول قائل: أنا موالي لكن هو موالي لأن مصلحته في الولاء، مصلحته التجاريّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة تفرض عليه بأن يكون موالياً، هذا يذكره القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾،[1] إذن قد

---

(١)

يكون الارتباط بأهل البيت عليهم السلام فيه ربح تجاري فهو مؤمن بأهل البيت لكن إذا انقلبت الأمور على أهل البيت أو على التشيّع حينئذٍ هو أيضاً ينقلب على وجهه ويتبرأ من الدين والإسلام ومن أهل البيت، وهنا يقول القرآن الكريم: ﴿خَسِرَ الدُّنيا وَالْآخِرَةَ﴾، هذا هو النموذج التجاري للولاء، يصلّي طالما كانت الصلاة تحقق منافعه الشخصيّة، أما إذا كانت الصلاة لا تحقق منافعه الشخصيّة فإنه لا يصلي، هذا نسميه الولاء التجاري.

كثيرٌ من الناس مثلاً لا يعطون الحقوق الشرعيّة كالزكاة والخمس لكن هو مستعد بأن يعطي للأئمّة الأطهار ويشارك الإمام بنصف أمواله لأن هذا فيه مردود اقتصادي له لأنه يعلم إذا أعطى للإمام الحسين من أمواله فإن الإمام الحسين عليه السلام سيعطيه أضعاف ذلك.

هذا النموذج في الحقيقة ليس نموذجاً مثالياً صحيحاً والقرآن الكريم يعبّر عنه ويقول: ﴿وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ﴾.

2 _ الولاء المزدوج:

هنا الشخص يصلّي ويصوم ويقول أنه موالي لكن ولاءه نسميه ولاء متأرجح ومزدوج.

كيف يكون مزدوجاً؟ إذا كان هذا الولاء لا يكلفه أموراً ثقيلة شاقة عليه فإنه يلتزم به، لكن إذا كان هذا الولاء فيه مطالب ثقيلة عليه فإنه لا يلتزم به.

القرآن الكريم في هذا النموذج يقول: ﴿وَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا

بِاللَّهِ وَجاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾[١] أي جاء الأغنياء ـ وهم أولو الطَول ـ وكل واحد منهم يقدم عذراً لأن في الأمر فداء وتضحية وهم يعتذرون من ذلك ويرفضوه ولكنهم يقبلون بالإيمان الذي ليس فيه مشقّة.

3 ـ الولاء الخالص:

هنا ولاء مطلق، نواليهم ولا نوالي غيرهم، نحبهم ولا نحب غيرهم، ولا نؤثر غيرهم عليهم، فكل ما عندنا لله وللدين والنبي وآله فإذا اقتضى الأمر الجهاد فجهاد وإذا اقتضى الأمر بذل الأموال بذلنا، وهكذا الفداء والتضحية وكل ما يريد الله « سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ».

القرآن الكريم يقول في هذا النموذج: ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ ﴾،[٢] هؤلاء جماعة لما عزم رسول الله على الحرب لم يكن لديهم أموال لكي يعطوها ولا خيلاً ليركبوها، لكن قلوبهم كانت مع الدين ومع التضحية فكانوا يبكون لأنهم غير قادرين على المساهمة ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ ﴾ وهؤلاء هم نموذج الولاء المطلق.

هذا الولاء هو المطلوب وهو الولاء التام المطلق « بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي » أي إذا اقتضى الأمر أن أفديكم بكل هذه الأمور

---

(١)

(٢)

فأنا مستعد لذلك.

الفداء والتضحية هو تربية إسلاميّة والقرآن الكريم يقول: ﴿لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[(١)] أي إنكم أبداً لن تنالوا البرّ حتّى تنفقوا ممّا تحبون من الأموال والأولاد والعشيرة والاعتبارات الاجتماعيّة.

جاء في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يؤمنُ أحدُكُم حتّى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».[(٢)] ليس علامة الإيمان هو كثرة الصلاة ولا علامة التديّن كثرة الصوم ولا كثرة الصدقات ما لم يخضع الإنسان للتمحيص والبلاء.

إبليس خضع مرّة واحدة للاختبار وفشل فيه، وهو قد عبد الله تعالى ثلاثة آلاف عاماً بحيث كان في صف الملائكة لكن الله عرَّضه لامتحان واحد حين قال له: اسجد لآدم، فكان إبليس غير مستعد للتنازل منعته أنانيته من ذلك، وهو بذلك ضيّع عبادة ثلاث آلاف سنة لأجل الغرور والحسد، ﴿قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[(٣)] اعتبار وفي هذا لنا عبرة فعبادة ثلاث آلاف سنة ليس بقليل والإمام عليه السلام يقول: «لا يُدرى أمِن سنّي الدنيا هي أم مِن سنّي الآخرة».[(٤)]

هذه هي مشيئة الله تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[(٥)] أي إنّه لا بدَّ من البلاء لأجل

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

تبلور هويّة الإنسان وصدق إيمانه فـ(عند الامتحان يُكرّم المرء أو يُهان).

الأنصار هم ناس أخلصوا لله تعالى وقاتلوا دفاعاً عن رسول الله وكان رسول الله ﷺ يحبهم وكان يدعو لهم ويقول: «اللهم ارحم الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، اللهم ارحم الأنصار»[١] هؤلاء نصروا الإسلام نصراً عظيماً لكن لاحظوا قد يسقط الإنسان في امتحان بسيط، وبالتالي يضيّع كل جهوده والعياذ بالله، الأنصار تعرضوا إلى امتحان في معركة هوازن المعروفة تاريخياً والتي كان فيها غنائم للمسلمين، ورأى رسول الله ﷺ أن يوزع تلك الغنائم على المهاجرين فقط ربَّما باعتبارهم جاءوا من مكّة وتركوا بيوتهم وأموالهم وهنا كان ذلك اختباراً للأنصار الذين وسوس لهم الشيطان فقالوا: (إن رسول الله ﷺ آثر أصحابه علينا ومالَ إلى قومه) بما يعني أن رسول الله ﷺ سيطرت عليه الأهواء القومية والنزعة العنصرية. هم قاتلوا من أجل الله وليس من أجل الغنائم لكن الشيطان أنساهم ذلك، وهم حينما قاتلوا كانوا مستعدين لأن يُقتلوا ويضحوا بأنفسهم لكن هذه هي الفتنة ووسوسة الشيطان، هذه فتنة عجيبة أن الإنسان يكون مستعداً لكي يضحّي بنفسه قبل الانتصار ولكن بعد أن ينتصر تصبح القضيّة قضيّة توزيع غنائم وينسى إخلاصه السابق.

الشيطان جاء إلى سعد بن عبادة زعيم الأنصار ووسوس له قائلاً: إن رسول الله مال إلى قومه وأصحابه وأهملكم وحدثت فتنة في وسط الأنصار وهم الجمهور الأكبر _ أهل المدينة _ أمّا أهل مكّة وهم المهاجرون فهم قليلون وهؤلاء الأنصار غضبوا من رسول الله وبدلاً من

---

(١)

أن يهنئ بعضهم بعضاً بالنصر حدث اختلاف داخلي بينهم، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله جمع الأنصار وقال لهم:

«بلغني أن سيّدَكم _ سعد بن عبادة _ يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله مالَ إلى قومه، أنتم أيّها الأنصار على رأي سيدكم؟».

قالوا: يا رسول الله أنت سيدنا.

ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله مرة أخرى ناشدهم هل أنتم على رأي سعد؟

قالوا: بلى.

الرواية تقول بمجرد أن قالوا بلى يا رسول الله حطّ الله نورهم!!

لقد قاموا بجهاد وتضحيات كبيرة، ولكنَّهم حينما خاضوا هذا الامتحان وقالوا نعم يا رسول الله نحن على رأي سعد، كان معناه أنهم يشكّون في عدالة رسول الله صلى الله عليه وآله وبذلك يكونوا قد انتكسوا وفشلوا في الامتحان، ولهذا رغم أنَّ الأنصار ممدوحون لكنَّهم خسروا في الامتحان، وكما أن المهاجرين خذلوا أهل البيت وخذلوا عليّاً وفاطمةً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك، الأنصار خذلوا عليّاً وفاطمة.

لاحظوا أنهم كانوا قبل ذلك يفدون رسول الله بأنفسهم لكن حينما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وصارت المسألة مسألة حكم وزعامة أصبحوا يتقاتلون «منَّا زعيم ومنكم زعيم»، [1] هل إن المعارك كانت من أجل الزعامة؟ «فحطَّ اللهُ نورَهُم» أي سلبهم النور الذي كان لديهم.

طبعاً رسول الله صلى الله عليه وآله أرضاهم بعدئذٍ بأدبه الرفيع حيث قال: «ألا

---

(١)

ترضونَ أن يذهب المهاجرون بالغنائم وأنتم تذهبون وترجعون بنبيكم؟».

قالوا: يا رسول الله رضينا، رضينا، رضينا.(١)

هذه هي سُنّة الابتلاء والامتحان فبدونه لا يُعرف مدى صدق إيمانِنا وهناك قصص قرآنيّة كثيرة في هذا الموضوع.

مثل قصّة قوم طالوت حين قال قومه لنبيهم: ﴿ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فاختار الله تعالى لهم طالوت قائداً عسكريّاً لهم وجهّز جيشاً قوياً للدخول في معركة ضد معسكر الكفر في جيش جالوت، أنظروا إلى الامتحان الإلهي العجيب.

طالوت قال لجنوده أنكم سوف تجدون أمامكم نهراً. ولكن الشرط لنجاحكم وانتصاركم أن لا تشربوا منه ﴿مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ لماذا هذا الامتحان؟ لا أحد يدري ما هو السبب في هذا القرار، هل كان في الماء مشكلة صحيّة؟ لا، هذا امتحان ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طالُوتُ بِالْجُنُودِ قالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾ أي إنهم فشلوا في الامتحان ﴿إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾، لكن لاحظوا هؤلاء الذين شربوا وارتووا بدلاً من أن يقاتلوا أصبحوا ضعفاء مهزومين وأولئك الذين لم يشربوا أصبحت معنوياتهم عالية جداً، لمَّا وصلوا إلى جالوت ﴿قالُوا لا طاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ بينما ﴿قالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللَّهِ﴾ ــ وهم الذين لم يشربوا ــ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.(٢)

---

(١)

(٢)

البحث الثاني: التضاد بين الحق و الباطل:

في الفلسفة الإسلاميّة هناك تضاد بين الحق والباطل.

هذا في الفلسفة الإسلاميّة حيث يقول القرآن: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾(١) فلا يمكن أن تؤمن بالله إلاّ وأنت تكفر بالطاغوت. وهو إشارة إلى الباطل، ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لَهَا﴾ هذا الأمر ترسخه الزيارة الجامعة بالقول: « مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ ، كَافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ».

كان هناك في التاريخ الإسلامي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مدرستان تمثل اتجاهين:

الاتجاه الأوّل: مدرسة الصحابة.

الاتجاه الثاني: مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

مدرسة أهل البيت عليهم السلام تقول: نحن نقرأ الإسلام من منظار أهل البيت عليهم السلام، من خلال العين الصافية لباب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله.

مدرسة الصحابة تقول: نحن نأخذ الإسلام من جميع الصحابة وما ورد عنهم، وقد تسمى هذه المدرسة (مدرسة الخلفاء). آية الله المحقق الخبير والبحاثة السيّد مرتضى العسكري له بحث كبير وضخم في المقارنة بين مدرسة الخلفاء ومدرسة أهل البيت في كتابه (معالم المدرستين).

ما الفرق بين هاتين المدرستين؟

الفرق هو أن مدرسة أهل البيت عليهم السلام تقبل بقراءة أهل البيت وما

---

(١)

ثبت عنهم في معرفة أحكام الإسلام ومعارفه، أمّا مدرسة الخلفاء فإنهم يقبلون بمختلف القراءات وإن كانت متضادة واستندوا بذلك إلى حديثٍ عن رسول الله ﷺ يقول: «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم»[1] فالجميع عندهم منابع إسلاميّة صحيحة.

مدرسة الخلفاء تقول: إن هناك قراءات عديدة للإسلام فإنك تستطيع أن تأخذه من يزيد بن معاوية أو تأخذه من أئمّة الهدى عليهم السلام، مدرسة الخلفاء وإلى الآن هي ديمومة في الحقيقة لنفس المنهاج، بينما مدرسة أهل البيت عليهم السلام تقول ما قاله رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»،[2] «عليّ مع الحق والحق مع عليّ»،[3] «مَثَل أهل بيتي فيكم مَثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى»،[4] وهي عشرات الروايات التي يقبلها أهلُ السُنّة لكنَّهم يقولون: نحن نقبل من هنا ومن هنا أيضاً، ثمّ تطوّرت هذه المدرسة مع الأسف الشديد ليس إلى قبول الحق والباطل معاً وإنما إلى قبول الباطل فقط ورفض الحق، قبول المذاهب الأخرى ورفض مذهب أهل البيت عليهم السلام، إلى أن جاء شيخ الأزهر الأسبق أي في القرن الماضي وهو الشيخ محمود شلتوت الذي أفتى بجواز اتّباع أهل البيت عليهم السلام إلى جانب باقي المذاهب الأربعة، أخيراً بدأ الأزهر يتحدّث عن شرعيّة مذهب أهل البيت واعتبارهم مصدر العلم بعد أن كانوا يحرمون أخذ المذهب من أهل البيت.

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

صحيح البخاري مثلاً وهو الكتاب الأوّل من كتب الحديث لدى أهل السُنّة وهو بمثابة القرآن المعصوم عندهم يروي عن جميع الصحابة والتابعين وحتّى من أعداء أهل البيت عليهم السلام ومن لا شأن له في الساحة العلميّة لكنَّه لا يروي رواية واحدة عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام رغم أن البخاري معاصر لزمن الإمام الصادق عليه السلام وقد كان الإمام الصادق عليه السلام أشهر علماء عصره فقد سارت بأحاديثه الركبان، وانتشر حديثه في البلدان، ولكن الحقد على أهل البيت عليهم السلام هو الذي منع البخاري من رواية حديث الإمام الصادق عليه السلام. فالقضيّة هنا ليست التمسّك بالاثنين بل هي ترك الحق، ولو فرضنا أن الإمام عليّ عليه السلام لم يكن هو الخليفة الأوّل ولا صهر رسول الله ولا زوج البتول ولا غيرها من صفاته عليه السلام لكن هل هناك من يشكّ في فضل عليّ وشخصيته وعلمه بينما نجد أنَّ البخاري لا يروي عن الإمام عليّ عليه السلام إلاّ إحدى عشرة رواية وهو باب مدينة علم النبي بلا شكّ، والذي قال عنه عمر بن الخطاب: (لا بقيتُ لمعضلةٍ ليس لها أبو الحسن)(١) وهذا يعتبر ترك الحق.

الإمام الصادق عليه السلام قيل له: إن فلاناً يواليكم إلاّ أنه يضعف عن البراءة من عدوّكم.

قال عليه السلام: «هيهات كذب من ادّعى محبتنا ولم يتبرأ من عدونا».(٢)

الإمام الباقر عليه السلام أيضاً يقول: «من أراد أن يعلم حبنا فليمتحن

(١)

(٢)

قلبه فإن شاركه في حبّنا حب عدونا فليس منّا ولسنا منه»، [١] لا يمكن أن يحب الإنسان الزهراء عليها السلام ويحب من كسر ضلعها أيضاً، هذا اختبار وهو دائم إلى اليوم.

«بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي، أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُكُمْ أَنّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرٌ بِعَدُوّكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ» هنا الزائر يقول لأهل البيت: (أفديكم بأبي وأُمّي...) لقد لاحظت في موضعين أن هناك فداءاً متعاكساً:

الموضع الأوّل: في قصّة القلادة التي تبرعت بها فاطمة الزهراء عليها السلام ووصل الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «فعلتها فداها أبوها، فداها أبوها، فداها أبوها» [٢] هذا يدل على أن أيّ منزلةٍ عظيمة للزهراء التي يقول عنها النبي صلى الله عليه وآله: «فداها أبوها» ليس مجاملة ولا مبالغة.

الموضع الثاني: في عصر يوم التاسع من محرّم الحرام حينما زحفت الخيل إلى خيام الحسين عليه السلام فانتبه الحسين لذلك وقال للعبّاس عليه السلام: «اركب إليهم ـ بنفسي أنت ـ واسألهم ماذا يريدون» [٣] فها هو الحسين يقول للعبّاس: (بنفسي أنت) وتعني (أفديك بنفسي) وهذه هي منزلة العبّاس عليه السلام.

وأقبل العبّاس عليه السلام إليهم وقال: ماذا تريدون؟ قالوا: جاء أمر الأمر أن تنزلوا على حكم الأمير أو ننابذكم الحرب.

---

(١)

(٢)

(٣)

رجع العبّاس عليه السلام وقال: يا أخي يا أبا عبد الله هذه مقولة القوم إما أن نستسلم أو ندخل في معركة.

الحسين عليه السلام قال: «أخي أبا الفضل قل لهم: يمهلونا هذه الليلة، قد علم ربّي أني أحب الصلاة وتلاوة القرآن والاستغفار».

فأقبل إليهم العبّاس ونقل رسالة الحسين عليه السلام، فاختلف القوم بينهم حتّى صار لغط ثمّ حسمت المسألة فيما بعد حيث قال قائل منهم: لو كانوا من الديلم وطلبوا منّا ذلك لأمهلناهم وسوف نصبح ويصبحون، فكانت تلك الليلة مليئة بالعبادة.

هذه هي منزلة العبّاس عليه وعلى أخيه وأبيه وأُمّه أُمّ البنين آلاف التحية والسلام.

وهناك مشهد ثانٍ أيضاً يدلّل على موقع العبّاس عليه السلام عند الحسين فالمشهد الأوّل هو قول الحسين له: «بنفسي أنت».

أما المشهد الثاني فهو عملي ومسرحي وروائي، الإمام الحسين عليه السلام كما تعرفون يوم عاشوراء حينما كان يسقط أحد من الأصحاب أو من أهل بيته يأتي إليه ويحمله إلى الخيام لكن حينما خرّ العبّاس صريعاً وأقبل إليه الحسين ثمّ قام عنه يقول المؤرخون إن الحسين قام وهو منحني الظهر. قائلاً: «الآن انكسر ظهري، الآن قلّت حيلتي، الآن شمت بي عدوي».[١]

إنا لله وإنا إليه راجعون

---

(١)

* * *

المحاضرة الثانية والستون:

الإيمان حقيقته واستحقاقاته

«أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث اليوم عن العلاقة بين الإنسان والإيمان وموقع الإيمان في حركة الإنسان التكامليّة.

اليوم يوجد بحث معاصر ساخن هو أن قيمة الإنسان بإنسانيته أو قيمة الإنسان بإيمانه.

المدينة الغربية الحديثة تقول: هناك قاسم مشترك بين كل أبناء البشر وهو الإنسانيّة، وعند هذا القاسم المشترك تذوب فوارق العقيدة الإيمان والكفر كما تذوب فوارق اللون والقوميّة كذلك يجب أن تذوب فوارق المعتقد والانتماء الديني، لا فرق بين مؤمن وكافر.

ما هي رؤية الإسلام في موقع المعتقد؟ هل الإيمان هو قضيّة هامشيّة مثل اللون، أبيض وأسود أو غني وفقير أو عربي وأعجمي أم أن الإيمان هو جوهر الإنسان وبدونه لا يعدو الإنسان أن يكون حيواناً؟

هذا هو البحث الذي ننطلق إليه ممّا قرأناه في الزيارة الجامعة «أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي مُؤْمِنٌ» حيث يرى الدّين أن أوّل خطوة في حركة تكامل الإنسان هي الإيمان، قبل أن أكون عربيّاً أو أعجمياً، غنياً أو فقيراً، هاشمياً أو قرشياً، أو ما شاكل «أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ» هذا هو ما نريد بحثه اليوم.

الإيمان حقيقته واستحقاقاته:

ما هو الإيمان؟

هل هو مجرّد اعتقاد فلسفي بالله تبارك وتعالى أو أن الإيمان له عمق ومدلول وانعكاس على أرض الواقع؟ وحينئذٍ يكون الإيمان معبراً عن هويّة الإنسان وأما إذا كان الإيمان مجرد اعتقاد فلسفي لا يتبعه العمل، فإنه لا يحقق التكامل الإنساني المطلوب ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾.[1] إبليس كان يعرف الله تعالى أكثر من الناس، لأنه عبد الله ستة آلاف سنة مع الملائكة إذن هو يؤمن بالله لكن إيمانه هذا ليس له قيمة لأنّه مجرّد إيمان نظري يتقاطع مع الممارسة العمليّة.

إذن ما هو الإيمان؟ هو مقوّم من مقومات الإنسان ويمثل جوهرة إنسانيّة الإنسان وهذا بحث ثانٍ، وسوف نتقلب في طيّات هذين البحثين ببعض الأحاديث والآيات والروايات وفي ضوء « أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ » ثمّ تأتي ترجمة الإيمان « مُحَقِّقٌ لِمَا حَقَّقْتُمْ ، مُبْطِلٌ لِمَا أَبْطَلْتُمْ » لكن قبل هذا أنظروا إلى مطلع الفصل الرابع من الزيارة الجامعة ونحن اليوم دخلنا في مطلع الفصل الرابع من الزيارة الجامعة وكما شرحت لكم سابقاً أن هذه الزيارة تتألف من خمسة فصول.

وهذا الفصل الرابع يبدأ بقوله: « بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي » أي إن هذا الفصل يحدد علاقة الزائر بأهل البيت عليهم السلام حيث كان الفصل الأوّل عبارة عن التحيّة: « السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَوْضِعَ الرِّسَالَةِ ...»، «السَّلامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى ...»، «السَّلامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى

---

(١)

اللَّهِ ...». والفصل الثاني كان عبارة عن بيان اعتقادنا في أهل البيت عليهم السلام: «عَصَمَكُمُ اللَّهُ مِنَ الزَّلَلِ وَآمَنَكُمْ مِنَ الْفِتَنِ»، والفصل الثالث كان عبارة عن بيان موقع أهل البيت عليهم السلام في الأمّة والذي يبدأ من قوله: «مَنْ وَالاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهَ...».

اليوم نحن في مطلع الفصل الرابع يقول: «بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي» أي إنني أفديكم بأبي وأُمّي ونفسي وأهلي ومالي وأسرتي أي لا يبقى شيء من الأمور الدنيويّة إلاّ ونجعله فداء لأهل البيت عليهم السلام وكما تعلمون أن الإيمان درجات فهناك شخص مستعد أن يقدم المال لأهل البيت وهناك من يقدّم أولاده لكن إذا وصلت إلى نفسه ينسحب وهناك من يقدّم ماله وأولاده ونفسه لكن عند أهله ينسحب وهكذا.

هنا الزيارة تعطينا قمّة الفداء فنحن لأجل الدين ولأجل الله وأهل بيت النبوّة لا نُبقي شيئاً.

مثلاً عبيد الله بن الحر الجعفي حينما التقى به الإمام الحسين عليه السلام في الطريق إلى كربلاء بعث له الإمام فلم يأتِ فذهب الإمام إلى فسطاطه والتقى به وعرض عليه أن يلتحق بحركته.

فقال: يا بن رسول الله إن نفسي لا تسمح بالموت لكن هذه فرسي ما تبعت عليها أحداً إلاّ وأدركته ولا تبعني عليها أحد إلاّ وسبقته، وهو طبعاً محب للحسين لكن بمستوى من المستويات ومستعد أن يضحّي بفرسه لكن غير مستعّد أن يعطي نفسه، وهذه مراتب في التضحية.

الزيارة تعلّمنا أن التضحية للإسلام ولأهل البيت بلا حدود ﴿رَبِّ

السّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.[١]

مشكلة يوسف هي الحب تذكر بعض الروايات أن السجّان قال له: أنا أحبّك فقال له يوسف عليه السلام: لا تستخدم هذه الكلمة، فأوّل من أحبني عمّتي فسرقتني من أبي، وأبي أحبني فحسدني إخوتي وامرأة العزيز أحبتني فتورطت بالسجن.[٢]

الرواية تقول: إن مشكلة يوسف هي الحب حين قال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ وفيها أيضاً حب، بعض الروايات تقول لو لم يقل: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ وقال: (رب النجاة أحبّ إليَّ) لكان الله نجّاه، الإنسان لا يدري أحياناً يقول كلمة فتكون، قال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ الشاهد في الأمر أن التضحية من أجل الله والنبي والأئمّة الأطهار هي بلا حدود، كما جسّد ذلك الأبطال من شهداء بدر وأُحُد وكربلاء وهم سادة الشهداء وهذا الطريق الطويل للأبطال أمثال دعبل الخزاعي وميثم التمّار وقيس بن صرد وأبطال الشيعة على طول التاريخ، «بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي» هذه آداب التربية.

الآن نبدأ بالفقرة الأوّل وهي: «أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُكُمْ» أي أجعل الله سبحانه وتعالى شاهداً عليَّ وأنتم أيضاً شهود عليَّ أنَّ أوّل كلمة في صحيفة أعمالي هي «أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ»، لاحظوا هنا عدّة فقرات:

---

(١)

(٢)

1 _ «مُؤْمِنٌ بِكُمْ».

2 _ «بِمَا آمَنْتُمْ بِهِ».

مؤمن بكم ومؤمن بكل الرؤى والقرارات والشعارات التي آمنتم بها أنتم، هذه هي الفقرة الثانية.

3 _ «كَافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ».

لنقف قليلاً عند الإيمان وحقيقة الإيمان واستحقاقاته.

الإيمان بينه وبين الكفر تلازم وبينه وبين الكفر تضاد، أي تلازم وتضاد في نفس الوقت وهذا يفتح لنا باب للحديث عن سر من أسرار الحياة البشريّة.

الله تعالى خلق الوجود الحيّ من زوجين، ويمتد هذا إلى الصراع في الدنيا فهناك إيمان وهناك كفر، وحتّى نصل إلى القرآن الكريم الذي يقول: إن ما من نبي يُبعث إلاّ وإلى جانبه عدوّ من المجرمين، وكل من يعمل عملاً دينياً لا بدَّ أن يلاحقه أو يؤذيه عدو من الأعداء أو ما شاكل ذلك ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾،[1] يوجد تلازم بين الإيمان وبين الكفر، كيف ذلك؟ الإيمان والكفر على مستوى أرض الواقع بينهما تلازم فكل إيمان يمشي إلى جانبه كفر يوازيه، أنت مؤمن بالله يجب أن تكفر بأعداء الله، مؤمن بالأنبياء يجب أن تكفر بأعداء الأنبياء، مؤمن بالحق يجب أن تكفر بالباطل، هذا المفهوم أي التضاد والتلازم يجب أن يكونا في نفس الوقت دائماً وذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ

---

(١)

يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ ﴾[1] أي إن المؤمنين أوّل خصلة عندهم هي الكفر بالطاغوت والشيطان والظلم والباطل، القرآن يجمع بين الكفر والإيمان معاً، لا يصح أن تؤمن بالطاغوت وبالله في نفس الوقت، والذي يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لَهَا﴾.

رسول الله ﷺ مرّة سأل أصحابه قال لهم: «أيُّ عرى الإيمان أوثق؟».

قال أحدهم: أوثق عُرى الإيمان هي الصلاة.

قال رسول الله: «الصلاة لها فضل وليست به».

وقال أحدهم: الجهاد، وغيره قال: الصوم، وهكذا ورسول الله يجيب: له فضل ولكن ليس هو.

قيل: يا رسول الله إذن ما هو أوثق عُرى الإيمان؟

قال ﷺ: «أوثق عُرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله».[2]

وهذه الرواية يرويها الشيخ الكليني في كتاب أصول الكافي في باب الحب والبغض في الله، الحب في الله والبغض في الله هو الترجمة الحقيقيّة للإيمان بالله.

المدنيّة الغربية الحديثة تقول: إن المقياس هو الإنسانيّة وحدها والإيمان هو وصف هامشي، وفي ضوء هاتين الرؤيتين نحن نطرح سؤال: ما هو دور الإيمان؟ هل هو دور هامشي أو دور أصيل؟

الإسلام يقول: إن دور الإيمان في حياة الانسان التكامليّة هو دور

---

(١)

(٢)

أصيل وليس كالأموال والصحّة وما شاكل فدورها هو هامشي، الإيمان هو مقوّم إنسانيّة الإنسان، حينما تقول المدنيّة الحديثة أن الإنسانيّة هي الأصل فالمقصود هو هذا العنصر المشترك بين كل الناس بين المحسن والمسيء والمجرم والقاتل وأصحاب الذات العدوانيّة واللصوص فكلّهم أناس، المدنيّة الحديثة تقول أن كل هؤلاء سواء، والإسلام يقول لا، فهؤلاء يفقدون جوهر الإنسانيّة، الإيمان هو مقوّم الإنسانيّة وبدون إيمان فلا تكون الإنسانيّة إلاّ مظهر كاذب يستبطن الحيوانيّة. ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾[1] الإيمان دوره دور البصر ودور العين، فالأعمى ليس كالبصير ﴿هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾[2] الإيمان مقوّم لحياة الإنسان ولهذا يقول الإسلام: إن الناس ينقسمون إلى قسمين: مؤمن وكافر، هذا التفسير في المدنيّة الحديثة غير موجود وفي الليبراليّة غير موجود، أي إن الاعتقاد لا دور له في تصنيف الناس أما الدين الإسلامي فهو يقول: إن الاعتقاد هو الأساس في تقسيم البشر ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ﴾[3] ولم يقل منهم غني ومنهم فقير أو ما إلى ذلك، ويأتي الإسلام ويقول: ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ ﴾،[4] ﴿وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ ﴾.[5] الناس مع الأسف لا يفكرون بمدى قيمة الإيمان ويتصورون أن القضايا

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

شكليّة، لا، الإيمان هو جوهر الإنسان، والسعادة إنما هي بالإيمان وليس بالأموال.

لكن ماذا نقصد بهويّة الإيمان؟ هل نقصد بالإيمان مجرد أن يقول الإنسان: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله؟ نعم، إذا كان الحديث عن الإيمان الظاهري وعلى مستوى ما تُحقن به الدماء وتحل به الأعراض، فلو قال ذلك حتّى وإن كان أبو سفيان أو يزيد ابن معاوية فنقول إن هذا مسلم، لكن المسألة أعمق من الظاهر والتعايش فالإيمان الذي يحاسب عليه الله تعالى والذي هو مقياس إنسانيّة الإنسان هو ذلك الإيمان الذي يُترجم إلى عمل.

كنت أقرأ في تقرير خبري وأظنه في إيطاليا يقول أنهم أصدروا حكماً بالعقوبة على كل من لا يرفّه على حيوانه في الأسبوع ثلاث مرّات، هذه قضيّة لا بأس بها فهي قضيّة إنسانيّة وهي الرفق بالحيوان، لدينا حديث شريف يقول: «دخلت امرأة النار في هرّة حبستها عن الماء حتّى ماتت». [١] نعم الإيمان يجب أن يُترجم إلى رقّة قلب، وخضوع لله، وشعور بالعبوديّة لله، وعدم التكبّر حتّى على الحيوان.

الكافر يوم القيامة يقول: ﴿يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً﴾.[٢]

الإيمان الذي هو مقوّم إنسانيّة الإنسان ليس مجرّد الاعتقاد الفلسفي الفكري الموجود حتّى عند إبليس وإنما هو الإيمان الذي

---

(١)

(٢)

يترجم إلى عمل «من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»(١) ولهذا تقول الزيارة الجامعة: « مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ ، كَافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ » ثمّ تبدأ الترجمة العمليّة « مُوَالٍ لَكُمْ وَلِأَوْلِيَائِكُمْ ، مُبْغِضٌ لِأَعْدَائِكُمْ وَمُعَادٍ لَهُمْ ، سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ » وهذا هو بالضبط ما امتاز به شيعة أهل البيت عمّن سواهم فهم كانوا أكثر الناس ترجمة عمليّة للإسلام ولوصايا القرآن الكريم.

القرآن الكريم حينما يقول: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾(٢) وهذه وصيّة واضحة.

رسول الله ﷺ يقول: «إنّي تارك فيكم الثقلين»(٣) ويقول: «فاطمة بضعة منّي يرضى الله لرضاها»(٤) هذه تحتاج إلى ترجمة عمليّة، والشيعة ترجموا الإيمان ترجمة عمليّة ولهذا صاروا هم مصداق الآية القرآنيّة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾(٥) لأنهم هم المؤمنون حقّاً، فالباقون مسلمون في الظاهر لكن ليس لديهم ترجمة عمليّة للإيمان، إذن الإيمان هو عبارة عن الانعكاسات العمليّة للمعتقدات الفكريّة.

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

المحاضرة الثالثة والستون:

زيارة قبور الأولياء واللجوء إليهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث هذا اليوم في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة عن هذا المقطع من الزيارة: «زَائِرٌ لَكُمْ لائِذٌ عَائِذٌ بِقُبُورِكُمْ».

اليوم لدينا بحثان:

البحث الأوّل: في زيارة الأموات والقبور.

البحث الثاني: ما معنى اللجوء واللوذ والاستعاذة بقبور الأنبياء والأئمّة عليهم السلام؟

وهذان البحثان هما سبب لمفترق الطريق بين الاتجاه الإسلامي العام لدى الشيعة والسُنّة وبين الاتجاه التكفيري المتحجّر وهو الاتجاه الوهابي.

اليوم العالم الإسلامي لديه اتجاهان: اتجاه مجموع المسلمين من سُنّة وشيعة وهؤلاء يؤمنون بزيارة قبور الصالحين وبالتوسل بالأنبياء والأئمّة عليهم السلام، ليس الشيعة فقط وإنما كل العالم الإسلامي كما هو في مصر والجزائر وروسيا والهند وباكستان وأفريقيا حيث نجد أن المسلمين يلوذون بقبور الصالحين، ويتوسلون إلى الله تعالى بهم. وهناك اتجاه متحجّر شقّ المسلمين وحاول أن يثبت بينهم الفرقة وهو اتجاه مضاد للزيارة والتوسّل وطوّر القضيّة إلى اعتبار ذلك كفراً، وطوّر القضيّة إلى الحكم بوجوب هدم جميع القبور حتّى قبر النبي صلى الله عليه وآله، وهذا الاتجاه هو

الاتجاه الوهابي.

البحث الأوّل: زيارة القبور والأموات:

في الفقه الإسلامي لدى الشيعة كما هو لدى السُنّة يستحب زيارة الأموات والقبور، الروايات ثابتة لدى الفريقين، حتّى كان يوم الاثنين وعشيّة الخميس هو موعد استحباب زيارة القبور، وكان رسول الله ﷺ يزور القبور وكان الصحابة يزورون القبور وكانت الأجيال الإسلاميّة جيلاً بعد جيل يزرورن القبور ويتبركون أيضاً بزيارتهم على خلاف الاتجاه الوهابي السلفي كما أشرت لكم.

أنا أقرأ لكم بعض الروايات من الفكر السُنّي لكي يكون البحث اليوم بحثاً علمياً.

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من رجل يزور قبر حميمِهِ فيسلّم عليه ويقعد عنده إلاّ وردَّ عليه السلام وأنس به حتّى يقوم من عنده».[١]

كان رسول الله ﷺ في حديث آخر يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية».[٢]

في رواية أخرى زار النبي ﷺ قبر اُمّه فبكى وأبكى من حوله ثمّ قال: «استأذنت ربي في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها

---

(١)

(٢)

تذكّركم الموت».[(١)]

مثل هذه الروايات موجودة أيضاً من طرق الشيعة، وهذا بالنسبة للإنسان العادي كالصديق والجار والأخ والأُمّ فكيف إذا وصلنا إلى قبر النبي ﷺ والأولياء الصالحين فلا بدَّ أن تكون المرتبة هنا أهم ولهذا نجد تأكيد استحباب ذلك بإجماع الفريقين من السُنّة والشيعة.

الرواية عن رسول الله ﷺ قال: «من حجّ ولم يزرني فقد جفاني» [(٢)] أي إن عدم زيارة قبر الرسول ﷺ عند الذهاب للحج يعتبر جفاءاً وخلاف الوفاء له ﷺ.

وفي رواية أخرى قال ﷺ: «من حجّ فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي».[(٣)]

وهذا بإجماع المذاهب الإسلاميّة، واليوم كما هو على طول التاريخ نجد أنَّ أئمّة المذاهب الإسلاميّة لهم قبور وأضرحة، والعالم الإسلامي يزورون قبور هؤلاء من الإمام الأعظم في بغداد مثلاً إلى أئمّتنا الأطهار عليهم السلام باستثناء المنهج الوهابي والمؤسس لهذا المنهج هو ابن تيميّة وتلميذه ابن القيّم وهؤلاء في الحقيقة حرّموا التوسّل بالقبور وأفتوا بوجوب هدم القبور وحكموا بكفر من يزورها ويتوسّل بها، أقرأ لكم مثلاً فتوى ابن القيم.

يقول ابن القيم: (يجب هدم المشاهد التي ثبتت على القبور ولا

---

(١)

(٢)

(٣)

يجوز إبقاؤها بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً) [1] وبدأ الجيش الوهابي بعد أن سيطرت الوهابيّة في القرن الماضي بالزحف إلى كربلاء والنجف وهدموا قبور البقيع في المدينة المنوّرة وما أبقى مشهداً من مشاهد الصحابة أيضاً في البقيع إلاّ وهدمه.

مؤسس هذا المنهج في العصر الحديث هو محمّد بن عبد الوهاب لكن قديماً هم يأخذون الفتوى من ابن تيميّة المتوفى سنة (708هـ) يعني في أوائل القرن السابع، وهكذا تلميذه ابن القيم المتوفى سنة (750هـ)، حتّى نصل إلى رأي الإمام الغزالي الذي يعتبر الإمام المجدّد لدى أهل السُنّة وله كتاب معتبر عندهم اسمه (إحياء علوم الدين للإمام الغزالي) نجد أنه يقول ويرد على ابن تيميّة وابن القيم: (زيارة القبور مستحبّة للتذكّر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحبّة لأجل التبرّك مع الاعتبار).[2]

أنا أوصي الشباب بزيارة القبور وهي إلى جانبنا هنا في النجف الأشرف في وادي السلام حيث مقبرة المسلمين وخاصّة شيعة أهل البيت، خاطبوهم ولا تمرّون عليهم مرور الغافلين فهم إلى جانبنا ونحن في لهو ولعبٍ، هؤلاء الموتى جلوس يشهدوننا، خاطبوهم: « السَّلامُ عَلَى أَهْلِ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مِنْ أَهْلِ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَا أَهْلَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ كَيْفَ وَجَدْتُمْ قَوْلَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مِنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ اغْفِرْ لِمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ مَنْ قَالَ

---

(١)

(٢)

لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَّهِ »[١] وهذا نص في زيارة القبور.

وهناك نص ثانٍ أيضاً، عندما نزور القبور نجد هناك فرق فمرّة تقرأ سورة الفاتحة وأحياناً تسلّم عليهم وهذا يسمّى زيارة القبور وهنا غير قراءة سورة الفاتحة بل هناك مخاطبة، « اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الْأَرْوَاحِ الْفَانِيَةِ وَالْأَجْسَادِ الْبَالِيَةِ وَالْعِظَامِ النَّخِرَةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنَ الدُّنْيَا وَهِيَ بِكَ مُؤْمِنَةٌ أَدْخِلْ عَلَيْهِمْ رَوْحاً مِنْكَ وَسَلاماً مِنِّي».[٢]

«اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِزِيَارَتِهِمْ وَثَبِّتْنِي عَلَى قَصْدِهِمْ وَتَوَفَّنِي عَلَى مَا تَوَفَّيْتَهُمْ عَلَيْهِ وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فِي مُسْتَقَرِّ دَارِ رَحْمَتِكَ أَشْهَدُ أَنَّكُمْ لَنَا فَرَطٌ وَنَحْنُ بِكُمْ لاحِقُونَ »[٣] هذا اعتبار وفي نفس الوقت هو تبرّك بقبور الأنبياء وقبور الصالحين والأئمّة الأطهار عليهم السلام.

طبعاً نحن في ثقافة مدرسة أهل البيت عليهم السلام لدينا تحشيد كبير من الدعوة للارتباط بعالم ما بعد الدنيا، الإسلام يريد دائماً من الإنسان أن يجمع بين الدنيا والآخرة والارتباط بعالم ما بعد الموت في الوقت الذي لا ننسى نصيبنا من الدنيا.

لاحظوا أن الإسلام يقول: إن الإنسان يستحب أن لا ينام إلاّ وقد وضع وصيته تحت وسادته، فهذا مستحب وهو يعني الارتباط بالعالم الثاني أي ما بعد الموت لأن الموت في الفهم الإسلامي لا يعني الفناء

---

(١)

(٢)

(٣)

وإنما يعني بداية الحياة الحقيقية إذن لا يوجد فناء ولهذا فإنَّ الحديث المأثور يقول: «خُلِقتم للبقاء لا للفناء»[١] أي إن الإنسان خُلق ليبقى وليس لِيَفنى.

ثقافة أهل البيت فيها تحشيد لروايات في فضل الزيارة وثوابها بدءاً من زيارة الموتى إلى زيارة قبر الأبوين بالخصوص حيث يعتبر ذلك برّاً بالأبوين والروايات تقول: «وتطلب حاجتك عند قبر أبويك»[٢] وطلب حاجتك يكون من الله لكن عند قبر أبويك وهذا ليس بدعة وليس طلب من الموتى.

رجل أعرابي جاء إلى الرسول ﷺ قال: يا رسول الله ما من عمل قبيح إلاّ وقد عملته فهل لي من توبة؟

قال رسول الله ﷺ: «أحد أبويك حيّ».

قال: نعم، أبي.

قال: «اذهب فبِرهُ»، ولما ذهب هذا الأعرابي قال رسول الله ﷺ: «لو كانت أُمّه»،[٣] أي إنّ الأُمّ أكثر تأثيراً في استدرار العطف والرحمة من الله.

رجل آخر قال: يا رسول الله أُمّي ميتة، قال: «اذهب إلى قبرها وادع الله».[٤]

آخر قال: أُمّي غير موجودة، قال النبي ﷺ: «ألكَ خالة؟».

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

قال: نعم.

قال: «اذهب إليها فإنها بمنزلة الأُمّ».[١]

روايات يذكرها الحر العاملي في وسائل الشيعة الجزء الثاني في استحباب طلب الحاجة عند قبر الأبوين، حتّى نصل إلى زيارة قبور الأئمّة الأطهار عليهم السلام وأنا للتبرّك أذكر لكم هذه الروايات:

الرواية تقول: عن محمّد بن مسلم، قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: الموتى نزورهم؟

قال: «نعم».

قلت: فيعلمون بنا إذا أتيناهم؟

قال: «نعم والله أنهم ليعلمون بكم ويفرحون بكم ويستأنسون إليكم».[٢]

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «زوروا موتاكم فإنهم يفرحون بزيارتكم وليطلب أحدكم حاجته عند قبر أبيه وعند قبر أُمّه بعدما يدعو لهما».[٣]

أما عن زيارة الأئمّة الأطهار عليهم السلام فإنه سوف ينفتح علينا بحثٌ علميٌ وفلسفيٌ مهمٌ جداً وهو أنّ الإمام المعصوم هل هو موجود في قبره عندما تزورونه؟ أم هو موجود عند الله تعالى في الجنّة؟ أنت تقف عند قبر الإمام وتقول له _ كما في زيارة الإمام الحسين عليه السلام _: «أشهد أنك

---

(١)

(٢)

(٣)

ترى مقامي وتسمع كلامي وتردّ سلامي»، [١] أو حين يقول رسول الله ﷺ: «من زارني في مماتي كمن زارني في حياتي وأنه ليبلغني السلام». [٢]

الفكرة أن الأموات والصالحين بالخصوص هل هم موجودون في قبورهم؟ أو هم عند الله تعالى في جنّات النعيم؟ وإذا كانوا في جنّات النعيم إذن لماذا نزورهم في قبورهم؟

هذا بحث علمي، لدينا روايات ظاهرة في أن الأئمّة عليهم السلام موجودون في موضع دفنهم ولدينا روايات أخرى أيضاً صحيحة ومعتبرة أنهم موجودون عند العرش وعلى يمين العرش، فكيف نجمع بين هاتين الطائفتين من الأخبار؟

هنا وقف العلماء عند هذا البحث وقالوا: إنّ كلا الأخبار من الطائفتين صحيح، نزورهم عند قبورهم فهم موجودون فيها ويسمعون الكلام ويردون السلام، في نفس الوقت هم على يمين العرش عند الله تبارك وتعالى.

أنا أقرأ لكم رواية تقول عن الصادق عليه السلام سأله الراوي عن الحسين هل هو في قبره؟

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنه على يمين العرش معلق يقول: يا رب أنجز ما وعدتني وأنه لينظر إلى زواره وهو أعرف بهم وبأسمائهم وبأسماء آبائهم وبدرجاتهم ومنزلتهم عند الله من أحدكم بولده وما في

---

(١)

(٢)

رحله وأنه ليرى من يبكيه فيستغفر له رحمةً له ويقول: لو تعلم أيّها الباكي ما وعدت لفرحت أكثر ممّا جزعت ويستغفر له كل من سمع بكاءه من الملائكة في السماء وفي الحائر وينقلب وما عليه من ذنب».[1]

ربَّما نحن غير قادرين على أن نستوعب النظريّة بشكل كامل وفق مقاساتنا الماديّة نحن نفهم أن الأئمّة عليهم السلام يسمعون الكلام ويردون السلام وفي نفس الوقت هم على يمين العرش في مقعد صدق عند مليك مقتدر. هناك نمط من أنماط الارتباط بين الروح وبين هذا البدن الموجود في القبر. لكن كيفيّه هذا الارتباط لا نعلمها.

هناك نمط من أنماط الارتباط ويبقى عالم الموت بالنسبة لنا عالم رمزي ومجهول رغم أنّه معروف على مستوى المفاهيم وليس كممارسة عمليّة فنحن لم نعش في ذلك العالم وبالتالي الفقهاء يقولون: الصحيح هو أن نجمع بين الروايتين أي الرواية التي تقول أن الإمام على يمين العرش والروايات التي تقول أنه موجود عند قبره ويرد السلام ويسمع الكلام وذلك بقدرة الله تبارك وتعالى، وهكذا أيضاً أنت حينما تزور قبر أبيك أو أُمّك أو أيّ ميّت من الأموات فالروايات بالإجماع تقول أنهم يأنسون بكم وهذا يعني أنهم موجودون ولو مضى على دفنهم ألف سنة، إذن كيف أنهم موجودون؟ وكيف يكون القبر روضة من رياض الجنّة؟ هل هم موجودون في هذه الحفرة المظلمة الحارّة؟ طبعاً لا، بل تفتح لهم باب إلى الجنّة أو يكون القبر نفسه روضة من رياض الجنّة، وعلى كل حال فإنَّ العلماء يقولون: إننا نقبل بالروايات التي تؤكّد أن الإمام

---

(١)

المعصوم يُعرج به إلى السماء بعد موته بثلاثة أيام، ثمّ هو غير موجود في القبر لكن في نفس الوقت هناك نحو من أنحاء الإرتباط بين الروح وبين عالم القبر، وهكذا أيّ ميّت من الأموات، ولهذا عند زيارتك للقبر يأنس بك ذلك الميّت.

بعض الروايات تقول: «وإذا ذهبتم عنهم استوحشوا».[(١)]

البحث الثاني: ما معنى الاستعاذة واللجوء إلى قبور الأنبياء والأئمّة عليهم السلام؟

الزيارة تقول: «لائِذٌ عَائِذٌ بِقُبُورِكُمْ».

(لائذ) يعني ألوذ بكم وألجأ إليكم. (عائذ) تعني أحتمي بكم وأدفع الأخطار والأهوال بالاحتماء بكم.

يأتي هذا السؤال: كيف نستعيذ بهم عليهم السلام بينما الفهم الإسلامي يقول أنه لا ملجأ إلاّ الله تعالى، ولا منجي إلاّ الله تعالى؟ فما معنى اللجوء إلى غير الله تعالى؟ من المهم أن نؤكد هنا أنّ الإسلام دين فطري وواقعي، فأنت في الوقت الذي تقول الشفاء بيد الله، ولا شافي إلاّ الله، لكنك تذهب إلى الطبيب، الله هو الرزّاق ذو القوّة المتين لكنَّك تذهب وتكسب وتطلب التجارة، هذا هل يعتبر شركاً أم لا؟ طبعاً لا يعتبر شركاً.

الفكر الإسلامي حينما يقول: إن الملجأ هو الله وإن المنقذ هو الله تبارك وتعالى وإن المعاذ هو الله «يا من لا ملجأ إلاّ إليه، ولا مَفزَعَ إلاّ إليه» [(٢)] هذا صحيح، ولكن إذا لجأت إلى باب من أبواب الله، إذا لجأت

---

(١)

(٢)

إلى وجهٍ من وجوه الله تعالى، فذاك لا يكون شركاً، ولهذا فإنّ القرآن الكريم صريح في قوله تعالى مخاطبٌ نبيّه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جاؤُكَ فاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾[1] أي لو أن المذنبين يأتون ويلوذون برسول الله ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جاؤُكَ ﴾، ودخلوا في الخط المباشر ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ ﴾ والخط غير المباشر ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾ فالرسول في الحقيقة هو باب من أبواب الله تعالى، ففي الروايات يستحب أن يزور الإنسان قبر أبيه وأُمّه ويطلب حاجته عند قبرهما والنبي أعظم من الأب والأُمّ، وهكذا الإمام المعصوم هو أعظم من الأب والأُمّ، فالاستعاذة بالنبي باعتباره باباً من أبواب الله تعالى ومفتاحاً من مفاتيح الله تبارك وتعالى وباعتبار أن الله أذن باللجوء إليهم، لاحظوا ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَهُدىً لِلعالَمِينَ * فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً ﴾[2] هذا هو صريح القرآن الكريم، ولهذا فإنّ الفقه الإسلامي يقول: إن ذاك الذي أذنب ذنباً أو أجرم جريمةً كان ملاحقاً من طرف القضاء، إذا دخل البيت الحرام فلا يجوز ملاحقته، وإنما يضيَّق عليه في المأكل والمشرب إلى أن يخرج، وإذا خرج يتم إلقاء القبض عليه خارج المسجد الحرام، أمّا في داخل المسجد الحرام فلا يجوز إلقاء القبض على أحدٍ، ولهذا سُمّي المسجد الحرام لحرمة موقعه، كما يقال عن قداسة الحرم الجامعي ـ في عصرنا هذا ـ الذي يمنع دخول الشرطة إليه والملاحقات الأمنية

---

(١)

(٢)

فيه. القرآن الكريم يقول: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ إذن هذا نوع من أنواع اللجوء إلى البيت الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام، إذن فكرة اللجوء إلى بيوت الله، القرآن الكريم يقبلها وهكذا إذا لجأت إلى أهل بيت النبوّة، والنبي أكرم من ذلك البيت الذي هو من طين أو من حجر.

إذن الاستعاذة بالنبي وبالإمام المعصوم حينما نقول: « لائِذٌ عَائِذٌ بِقُبُورِكُمْ » لا تتضاد مع الاستعاذة بالله تبارك وتعالى واللجوء إليه، وهذا ما أدعوكم إليه شبابنا وأولادنا وبناتنا فإنَّ من المهم أن نتثقف بثقافة الدعاء والزيارة ويكون لدينا في كل يوم شفيع وحامي لذلك اليوم من الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

يوم السبت هو يوم النبي صلى الله عليه وآله: «هَذَا يَوْمُ السَّبْتِ وَهُوَ يَوْمُكَ وَأَنَا فِيهِ ضَيْفُكَ وَجَارُكَ فَأَضِفْنِي وَأَجِرْنِي».

ويوم الأحد يخصّ عليّاً والزهراء عليهما السلام، يوم الإثنين يخص الحسن والحسين «هَذَا يَوْمُ الْإِثْنَيْنِ وَهُوَ يَوْمُكُمَا وَبِاسْمِكُمَا وَأَنَا فِيهِ ضَيْفُكُمَا فَأَضِيفَانِي وَأَحْسِنَا ضِيَافَتِي فَنِعْمَ مَنِ اسْتُضِيفَ بِهِ أَنْتُمَا وَأَنَا فِيهِ مِنْ جِوَارِكُمَا فَأَجِيرَانِي فَإِنَّكُمَا مَأْمُورَانِ بِالضِّيَافَةِ وَالْإِجَارَةِ فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْكُمَا وَآلِكُمَا الطَّيِّبِينَ »، يوم الثلاثاء يكون المؤمنُ ضيفاً عند الإمام زين العابدين والإمام محمّد الباقر والإمام جعفر الصادق « يَا مَوَالِيَّ هَذَا يَوْمُكُمْ وَهُوَ يَوْمُ الثُّلاثَاءِ وَأَنَا فِيهِ ضَيْفٌ لَكُمْ » وإلى آخر أيام الأسبوع. هذه مفاهيم مهمة، ولا بدَّ أن نقترب منها ونتعبد بها، وهي تفيدنا في الدنيا وتفيدنا عند الانتقال إلى العالم الآخر ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يا

لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾[1] ونحن الآن في النجف بالخصوص نعيش في بحبوحة الجنّة في جوار أمير المؤمنين عليه السلام والموتى في وادي السلام هم جلوس حلقات حلقات لكن مع الأسف نحن لا نرى ذلك، ولكن بمجرد أن يموت الإنسان يرى شيئاً عجيباً، يرى عالماً من الأموات وهم جلوس ويرى الملائكة التي تصعد وتنزل، وهذا ما حدّثنا به النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام والقرآن حدّثنا به ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾[2] القرآن يقول ثقوا بأن القيامة والموت وعالم ما بعد الموت هي حق مثلما أنكم تتكلمون، فهل يشكّ أحدكم بكلامه مع الآخرين.

الاستعاذة بأهل البيت عليهم السلام وقبورهم هي مشروع إسلامي لتوثيق العلاقة مع الله تعالى من خلال أوليائه:

بقبرك لذنا والقبور كثيرة ولكن من يحمي الجوار قليلُ

هناك يوم عاشوراء كان مشهد من مشاهد اللجوء واللوذ بالإمام الحسين بعد مقتله وكان عليه السلام هو الملجأ أثناء حياته وهناك لوذ ولجوء وتحصّن به عليه السلام.

يوم عاشوراء بعد مقتله، ذلك المشهد المعروف عندكم وهو مشهد تلك الطفلة الصغيرة التي رأت واحداً من جيش ابن سعد وقالت: يا هذا حدّثتني عمّتي زينب إن لنا قبراً بالغري هل لك أن تأخذني إليه؟ كانت المناظر موحشة من القتلى والعطشى والجوع وهذه طفلة تذكرت إن لهم حام للجوار في الغري وتريد أن تلتجئ إليه.

---

(١)

(٢)

فقال لها: إن بينك وبين الغري مسافة بعيدة فأنت في عرصة كربلاء والغري بعيد عنك.

قالت: إذن يا هذا دلّني على جسد والدي الحسين.

يقول: أقبلت بها إلى جسد الحسين، رمت بنفسها عليه، فتح الحسين يديه وضمّها إلى صدره وهي تقول: أبه يا أبه من الذي قطع رأسك، من الذي خضّب لحيتك، من الذي أيتمني على صغر سنّي.

هذا المشهد لم يقبله ابن سعد فأمر بالجلاوزة أن يسحبوها من جسد الحسين فأقبلوا إليها بالسياط يسحبونها من جسد الحسين.

تقول الرواية أن الحسين عليه السلام كان يقول:

شيعتي مهما شربتم عذب ماء فاذكروني

أو سمعتم بشهيدٍ أو قتيل فاندبوني

إنا لله وإنا إليه راجعون

* * *

المحاضرة الرابعة والستون:

أدوات القرب من الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث في هذه المحاضرة عن هذا المقطع من الزيارة: «وَمُتَقَرِّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ وَمُقَدِّمُكُمْ أمَامَ طَلِبَتِي وَحَوَائِجِي وَإِرَادَتِي فِي كُلِّ أحْوَالِي وَأُمُورِي».

«وَمُتَقَرِّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ» هنا بحثان:

البحث الأوّل: معرفة الله، وهذا ما يسميه علماء الكلام _ علماء العقيدة _ البحث في وجوب المعرفة والنَظَر، وهذا هو أوّل بحث يدرسه الباحثون وطلاّب العلوم الدينيّة في كتب العقائد.

البحث الثاني: التقرّب إلى الله بعد التعرف عليه والإيمان به في المرحلة الأولى الإنسان يعمل في المرحلة الثانية على أن يتقرّب إليه.

إذن نحن سوف نقف عند البحث الأوّل.

وجوب النظر والمعرفة:

يجب على الإنسان أن يتعرّف على الله فالمسألة ليست استحبابيّة أو اختياريّة.

هنا إتجاهان في تحليل الموقف وبيان خلفية هذا الوجوب.

الاتجاه الكلامي حيث يقول علماء الكلام أن البحث عن الله واجب عقلي.

لاحظوا هناك وجوب شرعي وهناك وجوب عقلي فحينما يكون

أمامك خطر إذن يجب عليك عقلياً سواء أكنت مسلماً أم كافراً، مؤمناً أم غير مؤمن أن تبتعد عن الخطر، هذا الوجوب اسمه وجوب عقلي، أي إن العقل الذي هو نعمة الله سبحانه وتعالى يفرض عليك أن تبتعد عن الخطر.

وهناك وجوب شرعي مثل وجوب الصلاة والصوم فالعقل هنا لا يفرض عليك وجوب الصلاة لولا أن الله تعالى شرّعها عبر أنبيائه.

الإنسان مرفوع ذاتياً لكي يبحث عمّن خلق هذا الوجود، فهل لهذا الوجود خالق؟

العلماء يقولون هنا وجوب عقلي والعقل يقول أيّها الإنسان ابحث عن خالقك وعن مبدع هذا الوجود ومستقبل هذا الوجود أنت عقلياً مكلّف بأن تبحث وهذا يسمّى الوجوب النظري، وجوب التفكير، طبعاً علماء الكلام يستدلون على ذلك بدليل أن شكر المنعم واجب، ومعرفة المنعم هي مقدمة لشكره، وبما أن مقدمة الواجب واجبة إذن وجب علينا أن نبحث عن المنعم لكي نشكره. لكن في الحقيقة البحث عن الله هو نزعة فطريّة قبل أن تتطوّر المسألة إلى حكم عقلي ووجوب عقلي، أن يبحث الإنسان عن بدايته ويبحث عن نهايته وعمّا ينتظره من أيام حياته، ذلك هو نزعة فطريّة، لا يوجد إنسان لا يعرف أن حياته هي عمر محدود ولا يتساءل فطرياً ماذا بعد هذا العمر المحدود؟ وإلى أين؟ لا يوجد من لا يتساءل بأنه من أين جاء؟ الكل نتفق فطرياً أنه نحن لم نَخلق أنفسنا ولم نقدّر لأنفسنا هذا التقدير المكاني والزماني، فنحن نعرف أننا جئنا من أقدار ومحيطات خارجيّة من أبٍ وأُمّ وفي زمانٍ وفي مدينةٍ وضمن

ظروف خاصّة خارجة عن اختيارنا وإرادتنا. ولهذا فإنَّ كل شخص له تركيبته النفسيّة حسب الظروف التي ولد فيها. ولو كان الأمر بيدنا لخلقنا أنفسنا بأجمل ما يكون، الحقيقة أن الكل يعرف أننا لم نخلق أنفسنا، وسواءاً قبلنا بوجود خالق أو لم نقبل هناك مناخات وظروف أحاطت بنا هي التي أولدتنا بهذا الشكل ولو كان بيدنا لخلقنا أنفسنا في زمن صاحب العصر والزمان الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن تملأ ظلماً وجوراً فتمد يدك إلى التراب فيصبح سبيكة ذهب!! لكن الحقيقة نحن مسيّرون، أيّها الإنسان أنت مسيّر لا مخيّر، صحيح أن عندك اختيارات لكنها محدودة فليس كل شيء بيدك وأنك مهما تفكّر لكن تبقى ثمانون بالمائة من الأمور خارج إرادتك وهذا هو ما نسميّه القضاء والقدر الإلهي، الفكرة هي أن البشر بشكل عام يمتلكون نزعة فطريّة في البحث عمّن هو الخالق، عمّا هو المستقبل وعمّا هي المؤثرات وعمّا هي الأسباب للنجاح في مستقبل حياتنا، الإنسان مجبور على البحث وهذا نسميه نزعة فطريّة، ولهذا فإنَّ البشريّة اليوم وعلى طول التاريخ لديها تساؤل عن الله، من هو الله؟ هل هو موجود أم غير موجود؟ ما هي علاقتنا بالله؟ هذا حديث النفس وهو نزعة فطريّة.

البحث عن الله هو نزعة فطريّة، وهنا يأتي دور الدين الذي يكثّف دور هذه النزعة الفطريّة ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ﴾،[1] ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ﴾،[2] ﴿فَلْيَنْظُرِ

(1)

(2)

الْإِنسانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ ﴾،(١) ﴿يا أَيُّهَا الْإِنسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ ﴾،(٢) ﴿أَفَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾،(٣) ﴿أَفَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ ﴾(٤) دور الدين هو تنبيه الفطرة لكي تبحث عن الله تبارك وتعالى وتبحث عن مستقبل العمر البشري.

لاحظوا حتّى فرعون رغم منطلقاته الماديّة، لكنّه قال: ﴿يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ * أَسْبابَ السَّماواتِ فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِباً﴾(٥) الفكرة أن الإنسان مجبور للبحث عن الله تبارك وتعالى.

مسألة القرب من الله:

هذا البحث ندخل إليه من قوله في الزيارة: « وَمُتَقَرِّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ » ففي البداية كانت معرفة الله « مَنْ أَرادَ اللَّهَ بَدَأَ بِكُمْ »، وثانياً التقرّب إلى الله، وكما تعرفون فإنَّ القرب يكون إمّا مكانياً أو زمانياً وهناك نوع ثالث لا مكاني ولا زماني وهو القرب الروحي فالمحبوب مع محبوبه قريب وليس بعيد وإن كانت المسافة بينهما بعيدة سواء كان من تحب وطناً أو أباً أو أمّاً أو زوجاً أو زوجةً أو صديقاً، وأحياناً شخصٌ يجلس إلى جانبك أو جار لك، لكن بينك وبينه بعدٌ روحي يزيد على آلاف السنين

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

فتبغضه ويبغضك.

القرب من الله تعالى حين نقول: (يا قريب) ليس قرباً زمانياً ولا مكانياً. بل هو قرب إحاطة كاملة بالإنسان. فالله قريب، ونقول: (يا بعيد) ففي نفس الوقت الله قريب وهو بعيد فالله ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[1] وبنفس الوقت لا يُنال باليد أو العين فهو أبعد من كل بعيد، مقياس القرب والبعد من الله سبحانه وتعالى هل هو مقياس زماني أو مكاني أو روحي؟ أم هناك مقياس آخر لا هو مكاني ولا هو زماني ولا هو روحي نسمّيه القرب والبعد الحقيقي.

أن الزمان والمكان هي مؤشرات للحقائق الماديّة فإذا عبرنا حدود الزمان والمكان والمادة أصبح لدينا القرب والبعد الحقيقي، الأنبياء قريبون قرباً حقيقياً من الله تبارك وتعالى يعني أنهم ملتصقون بمصدر الطاقة والإلتصاق هنا ليس مكانياً لأن الله ليس جسماً، ولا قريب زمانياً لأن الله تعالى في كل زمان، الإلتصاق هنا يكون التصاقاً بالحقيقة فيسمّى قرب حقيقي ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[2] والمقصود هو القرب الحقيقي والاندكاك مع مصدر الوجود وليس القرب المكاني أو الزماني ولا بمعنى القرب والبعد الروحي، بل هو القرب الوجودي الحقيقي وبذلك يكون للإنسان الريب جداً من الله تعالى القدرة العالية المستمدة من مصدر الوجود فيقول للشيء كن فيكون، جاء في الحديث القدسي: «ما تقرّب إليَّ عبدي بأفضل ممّا افترضت عليه، ولا يزال يتقرب إليَّ

---

(١)

(٢)

بالنوافل حتّى أكون عينه التي يبصر بها، ويده التي يبطش بها»[١] أي إنّ أقوى وسيلة للتقرّب من الله هي أن تؤدّي الواجبات كالصلاة والصوم والحج والزكاة والخمس، هذه أقرب الطرق وهي ليست طرق مكانيّة ولا زمانيّة أو روحيّة فحسب، بل القرب الحقيقي، ثمّ نرتقي بطريقٍ ثانٍ وهو النوافل فبدلاً من أن تصلّي الصلاة الواجبة فقط فإنك تصلّي الواجب والمستحب وهي النافلة.

الإنسان كما تقول الرواية: «وما يزال يتقرّب إليَّ عبدي بالنوافل حتّى أكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها»، ولهذا فقد كان رسول الله ﷺ ينظر من خلفه كما ينظر من بين يديه، وهي من خصائص نبيّنا ﷺ وهذا ليس ببصر العين وإنما ببصر البصيرة وبصر القلب، وهي ليس خيالاً بل هو الرؤية الحقيقية. وكان ﷺ ينام فتنام عيناه ولا ينام قلبه، وهذا جاء من الإندكاك والقرب الحقيقي من مصدر الوجود ومصدر العلم ومصدر البصر والسمع والرؤية وهو الله تبارك وتعالى.

بحثنا الآن هو في القرب من الله تبارك وتعالى « مُتَقَرِّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ »، سأقرأ لكم بعض الروايات في القرب الحقيقي للإنسان بينه وبين الله تبارك وتعالى.

الرواية عن الإمام عليّ عليه السلام قال: «أقرب الناس من الله سبحانه أحسنهم أخلاقاً».[٢]

(١)

(٢)

الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام فيما أوحى الله تعالى إلى داود، قال: «يا داوود أقرب الناس من الله المتواضعون وأبعد الناس من الله المتكبرون»[١] وهذه تؤيّد الرواية الأولى فهذه خصال أخلاقيّة.

رواية أخرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه يقول: «أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد»[٢] إذا أردت القرب من الله فعليك أن تخرَّ ساجداً وتقول: الشكر لله، أستغفر الله، الحمد لله، فأنت بذلك قد عبرت الحجب والمسافات الواسعة.

رواية أخرى عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه مرَّ بمجموعة من الشباب ناحلي الجسم منهكي البدن منخوري القوى قال لهم: ما خبركم؟ وما الذي أدّى بكم إلى ما أنتم عليه؟

قالوا: يا روح الله الخوف من الله، قد أثّر على طعامنا وشرابنا وراحتنا فصار جسمنا ناحلاً ولوننا أصفراً.

قال عيسى عليه السلام: حقّ على الله أن يؤمن الخائفين.[٣]

وهذا المفهوم موجود في أحاديث أهل البيت عليهم السلام أن الله تعالى يقول: «لا أجمع على عبدي خوفين».[٤]

في يوم آخر مرَّ عيسى عليه السلام على ثلاثة آخرين ناحلي الجسم وضعفاء، وجوههم مصفرّة، سألهم: ما الذي أدّى بكم إلى ما أنتم عليه؟

قالوا: يا روح الله الشوق إلى الجنّة جعلنا نبتعد عن لذّات الدنيا

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

فأصابنا الضعف الذي تراه.

فقال لهم عيسى عليه السلام: حقّ على الله أن يعطيكم ما تحبون، [1] فهذه ليست حالة مرضيّة بل هي حالة صحيّة. ومضت أيام وإذا عيسى عليه السلام يلتقي بثلاثة آخرين ناحلي البدن، ضعفاء الجسم، مصفرّي اللون فسألهم: ما خبركم؟

قالوا: الحب لله فهو أكثر من حبّنا للجنّة وحورها وأنهارها.

قال عيسى عليه السلام: أنتم المقرَّبون، [2] ودلالة هذا الحديث واضحة في أن أقوى وسيلة للقرب من الله تبارك وتعالى هو الحب له سبحانه وتعالى.

نرجع إلى موضوع البحث « مُتَقَرِّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ » فنحن نتقرّب إلى الله تعالى بأهل بيت النبوّة وهذا ما تقوله الزيارة.

وهذا له تفسيران:

التفسير الأوّل: هو التفسير المجازي، فالتقرب إلى الله تعالى ليس هو بذرات الأشخاص إنما هو بحب هؤلاء الأشخاص، فهناك متعلق محذوف مقدّر، بمعنى متقرّب بحبّكم وولايتكم وكما قلنا أن الحب هو أقرب الطرق إلى الله تبارك وتعالى. وكما تعرفون لدينا روايات كثيرة تدل على أن أفضل الأعمال هو حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وآله وحب آل بيته الأطهار عليهم السلام.

جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا رسول الله متى تقوم

---

(١)

(٢)

الساعة؟

فقال رسول الله ﷺ: «ما المسؤول أعلم بها من السائل، ولكن أيّها الأعرابي ماذا أعددت لها؟».

فأطرق الأعرابي برأسه وقال: أعددت لها حب الله وحبّ رسوله.

فلمّا سمع رسول الله هذا الكلام الجميل قال: «المرءُ مع من أحَب»، فأنت تُحشر يوم القيامة مع الذي تحبّه. تقول الرواية: «فما كان يوم أسعد على المسلمين بعد الإسلام من هذا اليوم»[(١)] أي لمّا سمعوا قول الرسول ﷺ: «المرء مع من أحَب».

التفسير الثاني: هو التفسير الحقيقي ولا داعي لأن نقول أن هاهنا كلمة محذوفة مثل كلمة (بحبكم)، فالتقرب هنا يكون بكم « مُتَقَرِّبٌ بِكُمْ » أي أنتم وسيلتي إلى الله وأنا متقرّب بكم إلى الله باعتباركم أسماء الله.

نحن نقول: (بسم الله الرحمن الرحيم) ونوح لمّا صعد السفينة كان المحرّك لتلك السفينة هو أنَّ نوح عليه السلام قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾[(٢)] أنظروا القرآن الكريم يقول: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾[(٣)] فمن يسيطر على هذه الأمواج غير الله سبحانه وتعالى.

الشاهد في الأمر أن الله سبحانه وتعالى يدبّر الكون عبر أسمائه: الجواد، القاهر، الرزاق، الشافي، الحي، الجميل، ومن خلال هذه الأسماء

---

(١)

(٢)

(٣)

الله تعالى يعطي الرزق والعافية ويخلق الجمال والخلق، الله هو ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾،(١) ﴿الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى﴾(٢) وهذه الأسماء عبارة عن الصفات الإلهيّة، والله من خلال صفاته يخلق الخلق، فالله جميل فقد خلق الجمال، والله رزّاق فأعطى الرزق، ولأنه رحيم أنزل الرحمة، ولأنه كريم تكرّم على عباده.

هنا تأتي رواية أهل البيت عليهم السلام التي تقول: «نحن والله الأسماء الحسنى» (٣) أي إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام هم أسماء الله الحسنى، طبعاً المقصود أن الله تعالى تجلّى جماله في جمال أهل البيت عليهم السلام، تجلّت حكمته في حكمة أهل البيت عليهم السلام، تجلّت قدرته في هؤلاء الكائنات العظيمة الذين هم أشرف الخلق، نحن الآن إذا نظرنا إلى الشمس قلنا: سبحان الله، وإذا نظرنا إلى القمر قلنا: سبحان الله ما أجمله، جمال الله وجلاله وأسماؤه كلّها تجلّت في أهل بيت النبوّة عليهم السلام، تجلّت حكمةً، عظمةً، جمالاً، صبراً، علماً، ومعرفةً، تجلّى الله تبارك وتعالى كأفضل ما تجلّى في أهل بيت النبوّة فهم أسماء الله.

وفي ضوء ذلك فلنقف عند قوله: «مُتَقَرِّبٌ بِكُمْ» أي أنتم طريقي إلى الله، أنتم أدواتي إلى الله، ألست أنا أتقرب إلى الله بأسمائه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ

(١)

(٢)

(٣)

عَلَى مَغَالِق أبْوَابِ السَّمَاءِ لِلْفَتْحِ بِالرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ »[١] والنبي والأئمّة الأطهار هم تجل لأسماء الله تبارك وتعالى فنحن نتقرب إلى الله تعالى بهم ونقول: (إلهنا نحن نتقرب إليك بهم) فهم نموذج الجمال والجلال الإلهي والرحمة الإلهيّة والمعرفة الإلهيّة.

الرواية تقول في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾[٢] ويرويها صاحب تفسير الميزان وصاحب تفسير البرهان وتفاسير أبناء العامّة أيضاً، أنه ما هي الكلمات التي توسّل بها آدم إلى الله تعالى؟

الرواية تقول كما في الكافي عن أحد الإمامين الصادقين عليهما السلام قال: «قال آدم: لا إله إلاّ أنت سبحانك اللهم وبحمدك، عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي وأنت خير الغافرين».[٣]

لكن هناك روايات أخرى من طريق أهل السُنّة أيضاً تقول: «إنّ آدم لما أذنب رفع رأسه إلى السماء فقال: اللهمّ أسألك بحق محمّد إلاّ ما غفرت لي، فأوحى الله تعالى إليه: يا عبدي يا آدم من محمّد؟

قال آدم: تبارك اسمك لمّا خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا مكتوب على ساق العرش لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد عندك أعظم ممّن جعلت اسمه من اسمك.

فأوحى الله إليه: إن محمّد رسول الله هذا هو آخر النبيين من ذريتك ولولاه لما خلقتك.[٤]

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

ولذا فنحن نقرأ في دعاء ليالي شهر رمضان:

«اللَّهُمَّ بِذِمَّةِ الْإِسْلام أتَوَسَّلُ إِلَيْكَ وَبِحُرْمَةِ الْقُرْآنِ أعْتَمِدُ إِلَيْكَ وَبِحُبّي النَّبِيَّ الْأُمّيَّ الْقُرَشِيَّ الْهَاشِمِيَّ الْعَرَبِيَّ التّهَامِيَّ الْمَكّيَّ الْمَدَنِيَّ أرْجُو الزُّلْفَةَ لَدَيْكَ».(١)

وقد قال رسول الله ﷺ: «يا عليّ من أحبّك فقد أحبني ومن أبغضك فقد أبغضني ومن سبّك فقد سبّني، يا عليّ ولحمك من لحمي ودمك من دمي، والإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي، وأنت غداً على الحوض خليفتي، وشيعتك على منابر من نور مبيضةً وجوههم حولي في الجنّة، وهم جيراني، ولولا أنت يا عليّ لم يُعرف المؤمنون بعدي».(٢)

ولهذا يوم عاشوراء حينما تقدّم عابس قال: ألا هَل من مبارز؟ فلم يبرز له أحد، فألقى درعه ثمّ حمل على الناس فقيل له: أجننت يا عابس؟

قال: حب الحسين أجنني.(٣)

وذاك الغلام الأسود يوم عاشوراء حينما أذن له الحسين عليه السلام بالانصراف وقع على قدمي الحسين يقبّلهما وهو يقول: سيدي إن لوني لأسود وإن حسبي للئيم، وإن ريحي لنتن فتنفّس عليَّ بالجنّة، فلمّا قُتل كان لا يمرّ عليه أحدٌ في المعركة إلاّ ويشمّ منه رائحة المسك.(٤)

إنا لله وإنا إليه راجعون

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

* * *

المحاضرة الخامسة والستون:

أُسس العلاقات الاجتماعية في الإسلام

«مُوَالٍ لَكُمْ وَلِأَوْلِيَائِكُمْ».

بسم الله الرحمن الرحيم

هنا في الحقيقة ولاء متعدد الجوانب، الولاء لأهل البيت عليهم السلام واجب ولكن هناك ولاء ثاني هو ولاء لشيعة أهل البيت عليهم السلام «مُوَالٍ لَكُمْ » هذا يعني الولاء لأهل البيت عليهم السلام لكن هناك ولاء ثاني مطلوب من الإنسان، هو: « وَلِأَوْلِيَائِكُمْ » يعني موال لشيعتكم، الولاء لمجتمع الإيمان.

الولاء لأمّة المؤمنين، الولاء لشيعة أهل البيت عليهم السلام هذا ولاء آخر فأنت كما يجب عليك أن تكون موالٍ ومحب لأهل البيت عليهم السلام كذلك يجب أن يكون لديك علاقات ايجابية وروابط حسنة مع مجتمع المؤمنين، وهذا ما نريد اليوم أن نتحدّث عنه.

الولاء للمؤمنين:

العلاقات الايجابية مع المؤمنين. وهو واجب ومعناه أن الإنسان لا يجوز له أن يتقاطع مع المؤمنين، مع مجتمع المؤمنين، فيكون مبغضاً للمؤمنين، مبغضاً للشيعة، هذا لا يجوز وهذا ما نريد أن نقف عند تحليله في قوله: «مُوَالٍ لَكُمْ وَلِأَوْلِيَائِكُمْ».

هنا لدينا أربعة بحوث:

البحث الأوّل: مجالات الحكم الشرعي.

البحث الثاني: فلسفة الحكم الشرعي.

البحث الثالث: النظرية الإسلاميّة في أُسس العلاقات الاجتماعية.

البحث الرابع: استحقاقات الأخوة الإيمانية.

البحث الأوّل: مجالات الحكم الشرعي:

الحكم الشرعي هو الحكم الصادر من عند الله تعالى وهو عبارة عن الوجوب والحرمة والاستحباب والكراهة والاباحة، وهذا له عدة مجالات:

هناك حكم شرعي متعلق بالفكر، وهناك حكم شرعي متعلق بالعمل، وهناك حكم شرعي متعلق بالقلب، يعني أنّ الله تبارك وتعالى عندما أعطانا أحكاماً شرعية فإن بعضها يرتبط بالفكر نسميها واجبات ومحرمات فكرية، ووبعضها واجبات ومحرمات عملية، وبعضها واجبات ومحرمات قلبية، هناك إذن ثلاث مجالات:

1 _ مجال الفكر.

2 _ مجال العمل.

3 _ مجال القلب.

مثلاً في مجالات الفكر: هناك واجبات فكرية مثل الاعتقاد بالله تبارك وتعالى فهو واجب اعتقادي فكري. وهذا غير مسألة الصلاة والصوم وبالمقابل هناك الجحود والشكّ فهذا حرام لكن أيّ حرام؟ حرام فكرياً سواء ترتب عليه أثر عملي أم لا، أنت يحرم عليك أن تكون مشركاً أو جاحداً لله تبارك وتعالى، وكذلك الاعتقاد بالنبوة هذا واجب لكن أيّ وجوب؟ وجوب فكري حيث يجب عليك أن تؤمن وكذلك بنبوة نبينا الاعتقاد بالإمامة، هذه نسميها واجبات فكرية، في مقابلها لدينا

محرمات فكرية مثل حرمة الكفر بالله، وحرمة الشكّ بالنبوة. وحرمة الجحود بالإمامة.

لدينا في المجال الثاني واجبات عملية لا علاقة لها بالفكر والاعتقاد مثلاً: يجب عليك الصلاة، يجب عليك الحج، يجب عليك الخمس، يجب عليك صلة الرحم، هذه الواجبات واجبات حركية على الأرض نسميها واجبات في مجال العمل وهكذا يقابلها محرمات في مجال العمل ونستطيع أن نعدد العشرات من الواجبات العملية والمحرمات العملية غير الفكرية.

هناك في الإسلام واجبات من نوع آخر، نسميها واجبات قلبية، هذه غير متعلقة بالعقيدة، بل هي في مرحلة ما بعد العقيدة، وهي غير مرحلة العمل أيضاً، إنما هي في مرحلة القلب والعاطفة النفسية، الله تبارك وتعالى يعطينا أحكاماً في العاطفة النفسية، يجب عليك أن تكون محباً لله تعالى، هناك من يؤمن بالله لكن يبغض الله، هذا مقبول أم لا؟ طبعاً غير مقبول، عقائدياً هو مؤمن بالله لكن لا يحب الله تبارك وتعالى، فيجب من الناحية الإسلاميّة عليك أن تؤمن بالله فكرياً، وأن تطيع الله عملياً، وأن تحب الله تعالى قلبياً. وهذا نسميه واجب قلبي. وهكذا يجب عليك أن تكون محباً للنبي، ممكن يوجد أُناس يؤمنون بالنبي لكن لا يحبوه وكذلك أُناس يؤمنون بأحقية أهل اليت عليهم السلام لكن لا يحبونهم، هذا تخلف آخر فهنا واجبات نسميها واجبات قلبية تقابلها المحرمات العكسية، من جملة الواجبات القلبية الحب، الحب لله واجب، الحب للأنبياء واجب، الحب لدين الله واجب، الحب لكتاب الله واجب، الحب

لأئمّة الهدى واجب ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾[1] ومن جملة الحب الواجب الحب لمجتمع المؤمنين، فقد يكون هناك مسلم لكنَّه يكره المسلمين، مؤمن شيعي لكنَّه يكره الشيعة، هذا اثم، يجب على الإنسان أن يكون محباً للمجتمع الإيماني. هذا هو معنى « مُوَالٍ لَكُمْ وَلِأَوْلِيَائِكُمْ » أوليائكم يعني شيعتكم، ليس فقط محب لكم ولكن لشيعتكم، حينما تعرف أن هؤلاء شيعة أهل البيت عليهم السلام فيجب أن تُحبهم.

البحث الثاني: فلسفة الحكم الشرعي:

اليوم حديثنا عن واحدة من تلك المجالات وهي العلاقات القلبية «مُوَالٍ لَكُمْ وَلِأَوْلِيَائِكُمْ».

أنتم ستسألون كما يوجد هذا السؤال اليوم ما هي فلسفة الحكم الشرعي؟

الله تبارك وتعالى لماذا يتدخل في شأن الإنسان؟ هذا واجب وهذا حرام، افعل هذا ولا تفعل هذا، الله يتدخل في فكر الإنسان يقول: يجب عليك أن تكون معتقداً بالله، الله يتدخل في عمل الإنسان يقول: يجب عليك أن تصلي وتصوم، ويحرم عليك الربا والسرقة، والله أيضاً يتدخل في قلب الإنسان يقول له: يجب أن تكون محباً للمؤمنين، مبغضاً للكافرين، هذا السؤال اليوم مطروح.

لماذا التدخل الإلهي؟ أليس الإنسان بالفطرة يعرف الخير؟

---

(١)

أليس الإنسان قد وهبه الله عقلاً؟ أليس الأفضل أن يقول الله تعالى للإنسان: أيها الإنسان أنا أترك وعقلك وفطرتك، أيّ شيء أوصلك عقلك التزم به، أيّ شيء عرفته خيراً اعمله، شراً أُتركه، هذا سؤال عن فلسفة الشريعة. يقال أنتم المسلمون وأصحاب الديانة الإلهي تتلقون من الله تعالى شريعةً كبيرةً بآلاف المفردات الحرام والواجب والمستحب، لكن أنتم تقيّدون الناس، لا تتركوا الناس أحراراً. أليس الله تعالى أودع لدى الإنسان فطرة طيبة. دعوه يسير على فطرته!؟ هذا السؤال مطروح اليوم، في الليبرالية، في الحداثة، أنه لا ضرورة للالتزام بشريعة من فوق الإنسان، دعوا الإنسان يشرّع ما يرى، التشريع من فوق الإنسان هذا كبت يؤدي إلى أزمة نفسية، واجب وحرام، أُتركوا هذا الإنسان يريد أن يصلي فليصلي، أراد أن يترك الصلاة دعوه، اليوم هذا السؤال تطرحه اليبرالية والحداثة العالمية، أن التشريعات الدينية هي تحميل للإنسان وكبت للإنسان، وفرض على الإنسان من سلطة عليا والحال أننا نعرف أن السلطة هي من حق الإنسان وحده.

نحن بوعينا الديني نقول: لا، الله تبارك وتعالى يعطينا أحكاماً حتّى في مجال الفكر، وفي مجال العمل، وفي مجال القلب، هذا رأي الدين فما هو الجواب على تلك الأسئلة؟

الجواب: نحن نعتقد وهذا الأمر علمي والتجربة الخارجية تثبته أن الإنسان يحتاج إلى ترشيد حركته الفكرية والسلوكية والقلبية، ترشيد من الأعلى كما الإنسان في أيّ مجتمع من المجتمعات يحتاج إلى ترشيد صحي _ مثلاً _ ولهذا لدينا وزارة الصحة ولدينا تعليمات صحية دائماً

تعرض في وسائل الاعلام. هذا نسميه ترشيد صحي ولا يكفي أن يقال للإنسان: أنت اذهب حسب معرفتك، بل الإنسان يحتاج إلى ترشيد، في المدارس هناك شيء اسمه التربية الوطنية ماذا يعني التربية الوطنية؟ هناك رأي واضح في العالم بأن الإنسان يحتاج إلى ترشيد فكري، يجب أن يوجَّه إلى حب الوطن، إلى حب الدين، وهكذا لا بدَّ من ترشيد. ولهذا العالم كله اليوم يسير على نظرية الترشيد، صحيح أن الله تبارك وتعالى أعطى للإنسان عقلاً، فطرةً، لكن هذا العمل ونتيجة الاحتكاكات وتضارب المصالح، والشبهات فإنَّ العقل يحتاج إلى ترشيد من الأعلى، والفطرة تحتاج إلى ترشيد من الأعلى، الإنسان لن يستغني عن الترشيد في يوم من الأيام، لكن الرشد من أين؟

الرشد من أعلى. باعتقادنا الإسلامي أن هناك سلطة فوق الإنسان، من قال أن الإنسان سلطة ليس فوقها سلطة؟ في الفكر الديني يقال: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسانَ لَيَطْغى﴾،(١) ﴿قُتِلَ الْإِنسانُ ما أَكْفَرَهُ﴾.(٢)

أنظروا القرآن يقول: أيها الإنسان لماذا أنت مغرور؟ ﴿يا أَيُّهَا الْإِنسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾.(٣)

ألا ينظر الإنسان كم هو حجمه في الوجود حتّى يقول: لا توجد سلطة فوقي ﴿قُتِلَ الْإِنسانُ ما أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾.(٤) الاعتقاد الديني أن هناك ولاية وسلطة فوق الإنسان هذه

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

السلطة هي سلطة الله تبارك وتعالى وكما هناك سلطة مثل سلطة القانون وسلطة القضاء وسلطة الدولة وكل العالم اليوم لا يعترضون على الدولة حين تتدخل في النظام المروري أو الاقتصادي أو غيره لغرض تنظيم حركة المجتمع وليس معنى ذلك أن الإنسان ليس لديه عقل أو ليس عنده معرفة، وإنما معناه أن هذه الحركة الاجتماعية عندما تصبح واسعة وتتصادم بعضها مع البعض الآخر فإنَّ الإنسان يحتاج إلى ترشيد مروري وتجاري وزراعي وغيره، الإنسان يحتاج إلى ترشيد وهذا الأمر يعتقد به الإسلام في مجمل حركة الإنسان، إن الانسان يحتاج إلى ترشيد من قبل سلطة عليا هي سلطة الله تبارك وتعالى، وعلى هذا الأساس عندما يتدخل الله ويقول اعتقادكم يجب أن يطابق الحقيقة، والحقيقة الكونية هي بالنحو الذي يشرحه لكم الوحي فإن هذا يعتبر بمثابة الترشيد لحركة الفكر.

البحث الثالث: ما هو الواجب في العلاقات الاجتماعية؟ وما هي أُسس العلاقات الجتماعية؟

الإسلام ماذا يقول؟ الحداثة الغربية ماذا تقول؟ والجاهلية ماذا تقول؟

النظرية الجاهلية:

كانت العلاقات الاجتماعات في الجاهلية مبنية على أساس التعصب القبلي والمحلي والقومي والاقليمي. هذا من قبيلتي ومن عشريتي سواء أكان على حق أم كان على باطل هذا هو الأساس القائم عليه مبدأ التعصب، وحين جاء الإسلام أسقط هذا المبدأ.

النظرية الحداثيّة:

تقوم العلاقات الاجتماعية في النظرية الحداثية على أساس المنفعة الشخصية، فحينما يكون لديك علاقة منفعة مع أُمّك وأبيك فيجب أن توثق علاقتك بهم. وحينما لا يكون لديك مصلحة شخصية معهم أُتركهم، الإخوان كذلك، العشيرة كذلك، الزوجة كذلك، كل العلاقات الاجتماعية مقبولة ومحترمة بمقدار ما تحقق منفعة، الإنسان الغربي يمشي ويبحث عن منافعه الشخصية، فلا قيمة لأيّ علاقات اجتماعية ما لم تحقق منافع شخصية، كم فيها من الربح، لا يوجد غير قانون الربح كل المجتمع مسخر لأجل الأنا، لأجل المنفعة الشخصية، يعني لا يوجد اعتراف آخر غير الأنا، هذا نسميه مبدأ المنفعة الذاتية التي تكون هي أساس العلاقة الاجتماعية وهذا هو مبدأ تحقيق الذات، حقق ذاتك في مجتمع ولا تكن مقيداً بتقاليد المجتمع وأعراف المجتمع، أنت حقق ذاتك، تأكل كما تشاء، تمشي كما تشاء، ولا قيمة لأيّة مؤسسة وكيان غير تحقيق الذات هذا هو ما تسير عليه الحداثة.

النظرية الإسلاميّة:

الإسلام يقول أن مبدأ العصبية خطأ، ومبدأ المنفعة الذاتية خطأ، الإسلام يقول أن أساس العلاقات الاجتماعية تتمثل بالأخوة الإنسانية، ثمّ الأخوة الإيمانية، هذا هو الفكر الديني أن العلاقات الاجتماعية تقوم على أساس أن أبناء المجتمع بعضهم لبعض أخ وله استحقاقات الأخوة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(١) بقطع النظر عن المنفعة. الإسلام يريد ايجاد روابط

---

(١)

أخوة بين المؤمنين. ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ﴾.(١)

قصة دعبل الخزاعي:

وحيث نعيش ذكرى ولادة الإمام الرضا عليه السلام يناسب أن أنقل لكم قصة دعبل الخزاعي. الإمام الرضا عليه السلام كان من شعرائه دعبل الخزاعي، وكما تعرفون أن دعبل كان شاعر أهل البيت عليهم السلام، دخل على الإمام الرضا عليه السلام وقال: يا ابن رسول الله نَظمتُ في حقك قصيدة وأُريد أن أنشدها فقال أنشد فأنشد:

مدارسُ آياتٍ خلتْ مِن تِلاوَةٍ ومهبط وحي متفرد العرصات

فدخل الإمام الرضا عليه السلام إلى داخل البيت، وأهدى له بيد الخادم خرقة فيها (600) دينار، فلما وصلت هذه الهدية إلى دعبل قال: لا والله يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ما أنشدتكم هذه الأبيات طمعاً في مال، ولكن أهدني قطعة من قماشك.

فقال الإمام الرضا عليه السلام: نحن لا نسترجع المال الذي نعطيه، لكن هذه الدنانير استعن بها على سفرك وهذه جُبّة هي هدية لك.

أخذ دعبل الجبّة فَرحاً وبقيت عنده إلى مماته فلمّا وصل إلى قم عرف الناس أن هذا الشاعر هو شاعر أهل البيت عليهم السلام فاستقبلوه، وعلموا أنه قد حصل على جُبّة من الإمام الرضا عليه السلام.

فقالوا له: يا دعبل اعطنا الجُبّة مقابل أيّ مال تريد، وكان دعبل يأبى عليهم ذلك. فلما خرج من قم بعثوا له جماعة فأخذوا منه الجُبّة قهراً

---

(١)

واضطر لأن يدفع إليهم ألف دينار لكي يسترجع الخرقة، فأبوا ودفعوا إليه قطعة صغيرة منها.(١)

زيارة الإمام الرضا عليه السلام:

الرواية تقول أن هناك أربع بركات في زيارة الإمام الرضا عليه السلام وذلك كما في الرواية الصحيحة المعتبرة من حيث السند تقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ستُدفن بَضعةٌ مني في خراسان، ما زارها مكروب إلاّ نفَّس الله كربته، ولا مذنبٌ إلاّ غَفَر الله ذَنبه، وما زارها مؤمنٌ إلاّ أوجب الله له الجنّة، وحرَّم جسده على النار»(٢) هذه أربعة بركات لزيارة الإمام الرضا عليه السلام.

الإمام الرضا عليه السلام كان يدخل على المأمون العبّاسي وكان المأمون يكلّف الخدم والحشم باحترام الإمام الرضا عليه السلام وتعظيمه واستقباله، فقالوا له يوماً: ما هذا التعظيم والتقديس للإمام الرضا عليه السلام؟ مما أثار حسداً عند المأمون، فأمر المأمون إذا جاء الرضا لا ترفعوا له الستار.

فجاء الإمام الرضا عليه السلام، فلمّا جاء الإمام غُلبوا على أنفسهم فقاموا وفتحوا الستار وقد كانوا متفقين على عدم احترام الإمام الرضا عليه السلام لكن هيبة الإمام منعتهم من ذلك دخل الإمام الرضا عليه السلام ولمّا خرج تلاوموا فيما بينهم وقالوا: ماذا فعلناه!؟ فكروا القرار بينهم بأن لا يفتحوا الستار إذا جاء، فلما جاء الإمام الرضا عليه السلام هبَّت ريح عالية على الستار وفتحته

---

(١)

(٢)

ودخل الإمام الرضا عليه السلام ثمّ سكنت الريح فلما خرج الإمام الرضا عليه السلام كذلك هبَّت الريح وكشفت الستار، وعندما خرج تلاوموا بينهم فقالوا: هذا رجل له عند الله منزلة وله به عناية فارجعوا إلى خدمته فهو خيرٌ لكم.[(١)]

البحث الرابع: استحقاقات الأخوة الإيمانيّة:

قلنا بأن الإسلام يعتقد بأن العلاقات الاجتماعية تعتمد على أساس الأخوة، بل على أساس الولاية ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ﴾[(٢)] وتلك هي استحقاقات الأخوة.

هذه نظرية عظيمة (المؤمن أخو المؤمن) ليس الإنسان ابن منافعه الشخصية، المنافع الشخصية تموت وتنتهي لا قيمة لها، الإنسان لديه القيم النفسية، عنده الايثار، عنده الكرم، عنده الشجاعة عنده الغيرة، هذه قيم اجتماعية، الإسلام والدين يرسخ هذه القيم ويقول: أيها الإنسان أنت لست ابن ذاتك فقط أنت إنسان لك قيم إنسانية وهذه القيم فوق المنفعة الذاتية، ثمّ بنفس الوقت هذه القيم الإنسانية تحقق المنفعة الذاتية حيث لولا هذه القيم الإنسانية لانهار المجتمع.

هذه الأخوة تترتب عليها عدة استحقاقات.

أوّل تلك الاستحقاقات هو الحب، يجب على المؤمن أن يُحب المؤمنين.

---

(١)

(٢)

عن الإمام الصادق عليه السلام: «من حبّ الرجل دينه حُبُه أخاه»[١] إذا كنت تحب الدين يجب أن تُحب إخوانك في الدين، وهذا معنى عظيم وهو يمتد لمحبة الأمّة المؤمنة، أنت يجب أن يكون لديك اهتمام بما يصيب شعبك، وما يصيب الأمّة، أما إذا كنت لا تبالي فهذا خلل في دينك، هذا ضعف في إيمانك، لو كان إيمانك حقيقياً لكنت تحمل هموم المؤمنين.

عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا إن ودَّ المؤمن من أعظم سُبُل الإيمان»[٢] هذه أقوى وسيلة من وسائل الإيمان كالصلاة، كالصوم. ودُّ المؤمن من أقوى عُرى الإيمان.

سألوا الإمام الصادق عليه السلام عن حقوق المؤمن للمؤمن، فقال:

«أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لها»،[٣] على هذا الأساس يأتي الدين فيقول: يحرم عليك سبّ المؤمن، يحرم عليك غيبة المؤمن، ويجب عليك معونة المؤمن، ويجب عليك أن تعوده إذا مرض، ويجب عليك أن تشهد جنازته، وحتّى بعد الموت للمؤمن عليك حقوق. هذه مجموعة حقوق واجبة ولكن هذه الحقوق غير مقبولة في النظرية الحداثية كما هي غير مقبولة في الجاهلية.

والحمد لله رب العالمين

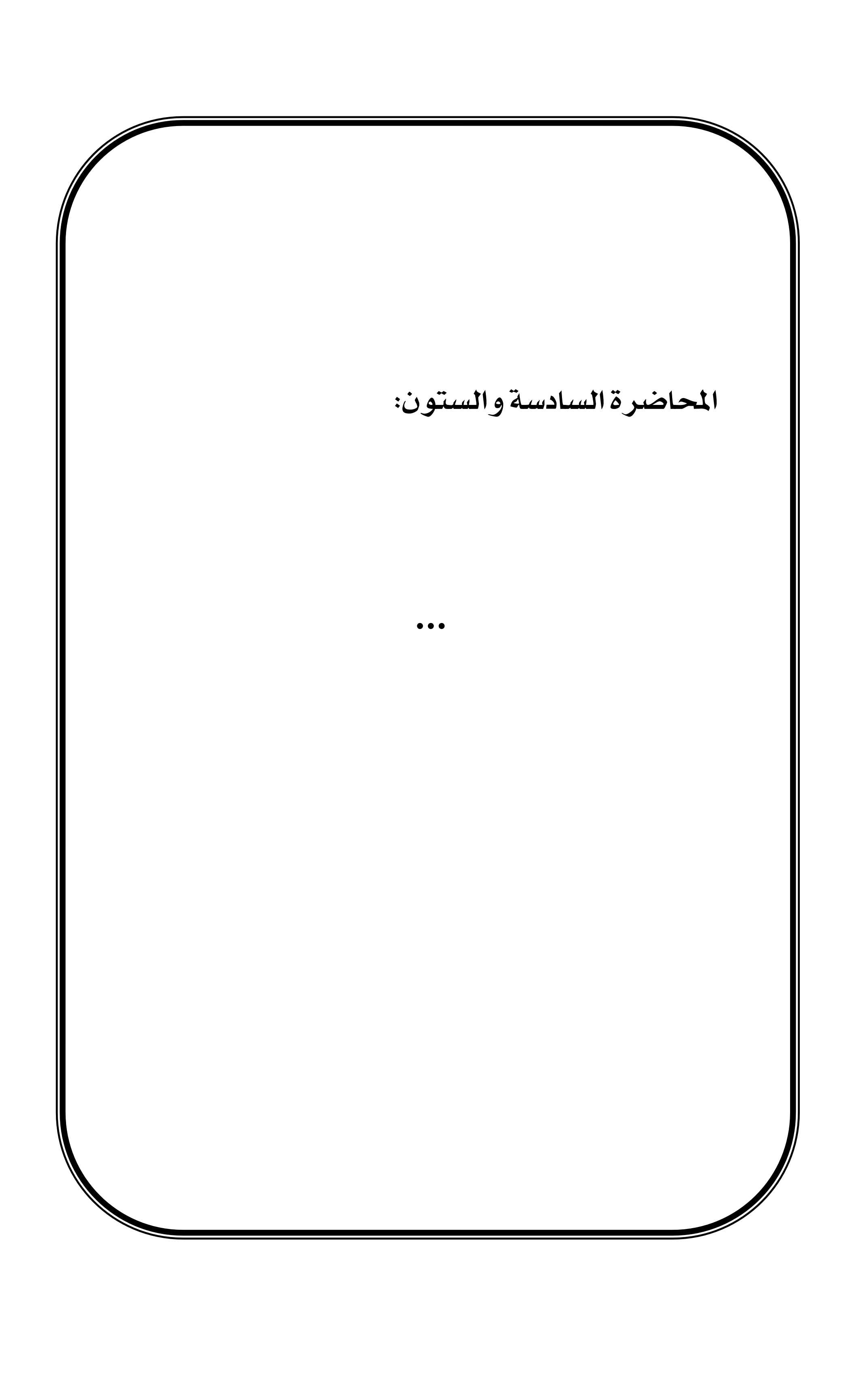
* * *

---

(١)

(٢)

(٣)



المحاضرة السادسة والستون:

...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث حول هذا المقطع من الزيارة: « مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلانِيَتِكُمْ ، وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ، وَأَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ، وَمُفَوِّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ».

لدينا مجموعة بحوث في هذا المقطع، وهي بحوث مهمة، بحوث ساخنة، ومعاصرة، وعلمية.

البحث اللغوي:

لنبدأ أوّلاً بالبحث اللغوي: ما المقصود بهذا المقطع؟ المعنى اللغوي لهذه العبارة ليس أمراً عسيراً، فالمعنى أنني مؤمن بمعتقداتكم، ومبادئكم التي هي قضية قلبية، وعلانيتكم التي هي قضية عملية، يعني مؤمن بما تعتقدون، ومؤمن بما تتحركون، (سركم) هو الخلفية القلبية للحركة الفكرية، (علانيتكم) هي الحركة الخارجية، الموقف السياسي، الموقف الاجتماعي، أي مؤمن بموفقكم، وبما هي الخلفيات الفكرية لديكم عن ذلك الموقف، وهنا تفسير ثاني لقوله: « مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلانِيَتِكُمْ » وهو أن كل إنسان له مظهر ولديه سر، شخصيتك، ونفسك واتجاهاتك النفسية، وهويتك هذه سر لا يعلمه إلاّ الله تبارك وتعالى، لكن معالم شخصيتك، التي قد تكون مكشوفة لدي ولديك، هذه قضية علانية، هنا كأن الزيارة تقول: إني مؤمن بهويتكم التي لا يعلمها إلاّ الله تبارك وتعالى وهذا هو سركم، ومؤمن بشخصيتكم المكشوفة لنا.

وأما قوله: «وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ» فالأئمّة عليهم السلام لديهم مرحلة الظهور ولديهم مرحلة الغيبة، الأئمّة عليهم السلام كلهم كانوا في مرحلة الظهور، أنا مؤمن بهم، وغائبهم الإمام الغائب المنتظر عليه السلام، أنا مؤمن به حتّى لو كان غائباً عن الأبصار، وهكذا معنى «وَأَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ». التفسير اللفظي له هو: أوّلكم هو الرسول صلى الله عليه وآله. إذا تحدّثنا عن بيت النبوة فرأس بيت النبوة هو الرسول صلى الله عليه وآله. وإذا تحدّثنا عن الأئمّة فالأوّل هو الأمام عليّ عليه السلام، أي نؤمن بالإمامة من عليّ عليه السلام وحتّى صاحب العصر والزمان عليه السلام، «وَمُفَوّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ» يعني نحن علاقتنا مع النبي صلى الله عليه وآله مع الأئمّة عليهم السلام أكثر من مجرد إيمان، وإنما أنا جميع مواقفي، جميع معتقداتي، جميع متبنياتي، كلها طبقاً لما تأمرون، يعني أنا كلي لكم، تعتقدون بشيء أعتقد، تؤمنون بشيء أؤمن، وهكذا نقبل كل ما يصدر منهم، أما قبول البعض ورفض البعض فهذا كما يفعله اليهود والنصارى والمنافقون حيث أن الذي يصب في صالحهم يقبلوه، والذي يتعارض يرفضوه، أما نحن فنقبل منهم كل شيء.

هذا هو البحث اللغوي أما البحوث العلمية فهي باختصار:

البحث الأوّل: قراءة الدين:

كيف نقرأ الدين، الإسلام، التشيع؟

هناك قراءتان للدين:

القراءة الأولى: القراءة الماضوية التاريخانيّة.

القراءة الثانية: القراءة الخاتمية الأبدية.

القراءة الأولى تقول: إن الإسلام نزل في تاريخ معيّن قبل (1400)

سنة، وذاك التأريخ، له ثقافته، وأدواته ونحن يجب أن نتعامل مع الدين الإسلامي كتأريخ انتهى، وماض قد انتقلنا عنه، فلا نرجع إلى ذلك الماضي، يعني أن نتعامل مع الدين كتعاملنا مع وسائط النقل، والأدوات الزراعية وغيرها، حينئذٍ مثلما تتغير الأدوات الزراعية، والتجارية، والاقتصادية، وسائط النقل، فالدين أيضاً يتغير، حتّى القرآن الكريم بحسب هذه القراءة، جاء لوقته وعالج مشكلات موجودة، عالج مشكلة وأد البنات، وليس لدينا الآن وأد بناتي، وجاء وعالج مشكلة العبيد وليس لدينا الآن عبيد، القرآن جاء لثقافة معينة ونحن عبرنا تلك الثقافة، الآن نحتاج إلى كتاب جديد، إلى نظريات جديدة، مثلاً يقولون: كل الأمثلة والأفكار المطروحة في القرآن تنسجم مع ذلك الزمان، فهو يقول: ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.[١] فأنتخب المثال من طبيعة الحياة الاجتماعية في البادية العربية، ولو كان القرآن نزل في بلاد الهند لذكر الفيل بدل الإبل، إذن هو جاء لنمط حياتي معين. يتحدّث مع هؤلاء ويعطي حلول لمستوى هؤلاء، فلماذا تجعلون تفترضون القرآن أبدياً.

والقرآن يقول في آية أخرى في وصف المنافقين: ﴿مَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾[٢] لقد كان الكلب يومئذٍ مظهراً من مظاهر السوء، بينما في هذا الزمان فإن (45٪) من نساء أمريكا يتمنين أن يصبح رجالهن بوصف الكلاب، فهذه الإحصائية الغربية تقول بأن النساء في أمريكا تفضل الكلاب على الرجال لأفضلية أخلاق الكلاب عندهن،

---

(١)

(٢)

في الغرب يعتبر الكلب في البيت هو رقم واحد، والامرأة رقم اثنين، وثالثاً يأتي الرجل، بينما القرآن الكريم ذكر الكلب كمثال تحقير وتوهين لأن ذلك هو الذي يتناسب مع بيئة وثقافة ذلك الزمان. وهذا الكلام لو تحدّثت به في الغرب الآن لقالوا: وهل هناك أحسن من الكلب؟

وهكذا حينما يتحدّث الله تبارك وتعالى عن خلق سبع سماوات فقد كانت نظرية بطليموس تقول: أن هناك سماوات موجودة، فالقرآن جاء وقرر ثقافة كانت موجودة لديهم، ولا يعني ذلك أن القرآن يعتقد بوجود سبع سماوات وإنما هي معايشة مع الفكر الموجود حينئذٍ، وليس عبارة عن نظرية مطروحة إلى الأبد.

مثلاً يقول عن السفن: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ﴾[1] الله إذا أسكن الرياح فهذه السفينة لن تسير لأنها يومئذٍ سفن شراعيه، والآن قد يقول قائل: إذا أسكن الله الرياح، فإن السفينة تشغّل المحركات وتنتهي القضية، هذه القراءة تقول: يجب علينا أن نتعامل مع القرآن والإسلام كتراث ماض عاصر أمّةً معيَّنة، فلما انتهت تلك الأمّة انتهى الدين أيضاً كما ينتهي التراث.

هذه هي قراءة الحداثة الغربيّة للدين.

القراءة الثانية: الخاتمية والأبديّة. وهذه القراءة تعتقد بأن الدين الإسلامي هو الخاتم الأبدي، صحيح أنه نزل في الجزيرة العربيّة واستعمل لغتها وناقش ثقافتها وعالج مشكلاتها لكنه ليس فقط لأهل

---

(١)

الجزيرة، وصحيح أنه نزل قبل أربعة عشر قرناً في ثقافة معينة، لكنه يستوعب كل الثقافة البشرية إلى أبد الآبدين. أمّا أن هناك أمثلة أستخدمها القرآن الكريم تتناسب مع البيئة يومئذٍ فذلك لا يعني أنه أصبح بحجم تلك البيئة، فكل عالم ومؤلف اليوم يستخدم لغة معينة، ويستخدم أمثلة معينة، وأسلوب معين. لكنه يطرح نظريات علمية تتجاوز الزمان والمكان. لنفترض أن أنشتاين يتحدّث عن النظرية النسبية، أو يتحدّث دارون في كتابه (أصل الأنواع)، طبعاً هم تحدّثوا بأمثلة وثقافة معينة، لكن النظرية المطروحة هي نظرية لكل العالم، فالدين يطرح نظرية عالمية، نعم يستخدم أمثلة محلية ولغة محلية، وثقافة محلية، لكن هذا لا يعني أنه يطوق نفسه بتلك الثقافة.

رؤيتنا للدين هي الخاتمية والأبدية بدليل أن الدين في الحقيقة يطرح أفكاراً عامة، ويطرح معالجات لمشكلات بشرية وهذه المشكلات موجودة في كل زمان رغم اختلاف ألوانها. في ذاك الزمان كانت عملية الاعتداء عبارة عن غزو عشائري، في هذا الزمان ليس لدينا غزو بذلك الشكل، لكن يوجد لدينا غزو بطريقة دبابات وطائرات وما شاكل، يأتي الإسلام ليعالج مشكلة الاعتداء عند الإنسان، مشكلة اضطهاد حقوق الآخرين، مشكلة التفاوت الطبقي، الإسلام يأتي ويناقش التفاوت الطبقي، يناقش جوهر المرض، ولعلَّ القضية في ذلك الزمان بشكل وفي هذا الزمان بشكل آخر، اضطهاد المرأة في ذاك الزمان كان بطريقة وأد البنات واغتصاب حقوقها ولكن الفكرة نفس الفكرة في كل زمان، اضطهاد المرأة واستعبادها، والإسلام لا يقبل باضطهاد المرأة واستعبادها،

ويطرح نظرية عامة تصلح لكل زمان وكل مكان بشأن حقوق المرأة وموقعها الإنساني ودورها.

على هذا الأساس فإن قراءتنا للدين هي قراءة خاتميّة أبدية، ولهذا فإن الزيارة الجامعة تقول: « مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلانِيَتِكُمْ وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَأَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ » كما لو كان النبي والأئمّة موجودين معنا، الزيارة تقول: إننا لا نؤمن بالقراءة الماضوية وأن الإمام الصادق عليه السلام مات وانتهى، وفكر الإمام الصادق عليه السلام ماض وقد انتهى، ورسول الله صلى الله عليه وآله والقرآن ماض قد انتهى. لا، نحن نؤمن بالخاتمية والأبدية لرسالة الإسلام. هذا هو ما تريد أن تقول العبارة التي نبحثها في الزيارة الجامعة.

البحث الثاني: الأشخاص أم المبادئ؟

نحن نؤمن بمبادئ، ونؤمن بأفكار، نؤمن بالتوحيد، بالآخرة، بالجنّة، بالنار، بالعدل، بالمساواة، بالحرية، بالإيثار، بالأخلاق الحسنة، بمكارم الأخلاق، نحن أبناء مبادئ وأبناء أفكار.

فإذا كنا أبناء مبادئ وأفكار فلما نتمسّك بالأشخاص؟ أليس التمسك بالأئمّة عليهم السلام هو تمسك بالأشخاص؟

هناك طريقتان في التعامل:

الطريقة الأولى: هي طريقة التعامل مع أفكار مجردة، نتحدّث ونرتبط بأفكار بعيداً عن رجالها وشخوصها.

الطريقة الثانية: نظرية البحث عن أفكار ومبادئ صحيحة، وفي نفس الوقت البحث عن تجسيدات صحيحة لتلك المبادئ، أما أن تعطيني مبادئ معلقة بين الأرض والسماء، هذه نسميها نظرية التجريد،

يعني فكرة مجردة عن تطبيقها الخارجي، هذه ليست لها قيمة، الأفكار تحتاج إلى تجسيد.

هنا يقول الدين نحن نبحث عن أفكار مجسدة، والدين كله مملوء بهذه النظرية، نظرية أن هناك تجيسدات للمبادئ.

عندما يتحدّث القرآن الكريم عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلاً ﴾[1] يتحدّث عن الإنسان الكامل ﴿أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾[2] ارتبطوا به، أنه تجسيدكم ﴿ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرانِيًّا وَلكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً ﴾.[3] فأنتم أيها الناس تبحثون عن تجسيد، القرآن الكريم يقول: ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[4] أمّا إذا بقيت تبحث عن النظرية مجردة فإنك تضيع، تبحث عن الطب بدون الطبيب تموت، تبحث عن الهندسة الحديثة بدون أن تراجع شركة هندسية تضيع.

لا بدَّ من اتّباع الأشخاص الذين يجسدون النظرية ﴿فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ أنت تريد الحق. هناك أناس يجسدون هذا الحق «عليّ مع الحق والحق مع عليّ» [5] الدين كله على هذا، عيسى وموسى، ونوح، وإبراهيم، رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي حاجة بشرية.

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرامَ قِياماً لِلنَّاسِ﴾،[١] كل الناس من زمان إبراهيم إلى يومنا هذا يجب أن يطوفوا بالكعبة. لماذا؟ قد تقول هذه قضية انتهت، إبراهيم بنى الكعبة، ولحد الآن يجب أن نصلي خلف مقام إبراهيم ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى﴾[٢] أنظروا الربط بالأشخاص، السعي بين الصفا والمروة، وهي بمبادئ عظيمة، وأنا أتحدّث عن البعد التاريخي، وهي عبارة عن تخليد هاجر أُمّ إسماعيل، أن هذه المرأة الصالحة، حينما كان إسماعيل عطشاً، وأصبحت تبحث عن الماء.

صعدت من الصفا نزلت إلى المروة بحوالي (400 _450) متراً سبعة مرات ذهاباً وإياباً، وتنادي ألا هل من إنس؟ هل من أحد؟ جاء الدين الإسلامي وخلد ذكر هذه الامرأة، السعي بين الصفا والمروة، ويأتي القرآن يقول: ﴿إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ﴾[٣] قضية شخصية، لكن حوّلها القرآن إلى شعيرة ﴿مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ﴾، وهكذا الذبح، إن كل الحجاج عليهم أن يذبحوا في يوم العيد، هو محاولة لاستذكار إبراهيم، أن إبراهيم استجاب لنداء الله القلبي ﴿بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ما ذا تَرى قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ﴾[٤] إبراهيم استجاب إسماعيل استجاب، ﴿فَلَمَّا أَسْلَما وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا﴾[٥] وبعد ذلك ﴿وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[١] الفكرة هي الاستجابة، أن

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

الإنسان يعطي كل شيء لله حتّى ابنه، وهذه طبعاً رمزية والأنبياء علاقتهم مع الله فيها الكثير من الرموز.

قد يقول القائل: نحن لم نرَ أباً يذبح ابنه، فليست الفكرة أن الأب بذبح ابنه ولا أن الله تعالى يريد أن يذبح إسماعيل، وإنما الله تعالى يريد التضحية بأعز شيء عند الإنسان، تصور أنك في معركة، واقتضى الأمر أن تتقدم أنت في المعركة. يجب أن تكون مستعداً، إبراهيم ما كان في معركة، كان في الصحراء هو وابنه، فقال له الله: أريد أن أختبرك بهذا الاختبار، فوجده صادقاً، ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا﴾ هذه القضية إلى اليوم واتّباعاً لإبراهيم وتخليداً لإبراهيم، يقول الإسلام: يجب على كل حاج أن يذبح ذبيحة. يوم العيد، لاحظوا هذا تجسيد المبدأ. لأن إبراهيم كان أسوة ونموذجاً على الأرض، نحن اليوم نأتي ونتبع هذا التجسيد.

إذن نحن في الرؤية الدينية نبحث عن أفكار مجسَّدة، وليس عن أفكار مجردة.

ولهذا رسول الله ﷺ يقول: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح»، [٢] هذا تجسيد، الإسلام قال: إن لدينا فكر ولدينا تجسيد، هذا جداً مهم، وهذا هو روعة التشييع وهذا هو واقعية التشيع، واقعية الإسلام الحقيقي.

ماذا قال رسول الله ﷺ، تريدون فكراً اقرءوا القرآن. لكن الفكر وحده لا يكفي، تحتاجون لشيء آخر، وهو التجسيد لذلك الفكر،

---

(١)

(٢)

والتجسيد هم أهل البيت عليهم السلام. «كتاب الله وعترتي أهل بيتي».[١]

حين تذهبون إلى أمريكا _ نيويورك _، تشاهدون هناك تمثالاً لإنسان يحمل مشعلاً وهذا المشعل يتوهج ناراً، يسمى (تمثال الحرية) والحرية فكرة، فلماذا هم بحاجة إلى هذا التمثال، لأن الإنسان لا تكفيه الأفكار، يريد أفكاراً ويريد أموراً على الأرض تجسد له تلك الأفكار كنموذج.

ولهذا الروايات تقول: «النظر إلى وجه العالم عبادة».[٢] أنظروا إلى جمال الإسلام، نحن نبحث عن تجسيد للأفكار، وليس عن أفكار خيالية، مجردة عن تجسيداتها.

هذه النظرية أين توجد؟

توجد في زيارة الجامعة حينما يقول: « مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلانِيَتِكُمْ وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَأَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ وَمُفَوِّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ » يعني أنتم التجسيد الكامل للإسلام.

رسول الله صلى الله عليه وآله حين أراد الاستعداد لحرب قريش بعض المنافقون رسالة سرية إلى قريش أعلموهم بالخبر، وأخذت الرسالة امرأة خرجت بها، نزل جبرائيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره بالرسالة والمرأة فأرسل أبو بكر، يا أبا بكر تذهب إلى مكان كذا تجد امرأة لديها رسالة خذها منها، أبو بكر أسرع لذلك المكان، فلما وجدها طلب منها الرسالة، فأبت وأنكرت، فرجع أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وقال

---

(١)

(٢)

له: ليس لديها شيء، فأمر عمر بن الخطاب، فلما وصل عمر أليها أبت وأنكرت، ورجع كما رجع أبو بكر، فقال ﷺ لعليّ: اذهب إليها فوصل إليها الإمام، فأبت وأنكرت، فقال لها: رسول الله ﷺ يقول أن لديك رسالة وأنت تقولين ليس لدي! فهل أكذّب رسول الله ﷺ وأصدقك؟ إعطني الرسالة وإلاّ أخذتها منك، فأخرجت الرسالة من شعرها وأعطتها له، فذهب بها إلى رسول الله ﷺ.[١] الفكرة هي أننا آمنا برسول الله ﷺ باعتباره تجسيداً للصدق والحق على الأرض. ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.[٢]

على كل حال نحن نؤمن بالقدسية المطلقة لله، والقدسية المطلقة لدين الله، وأن الله تعالى جسَّد تلك القدسية في أنبيائه هذا هو الخط الديني، أن القدسية ليست قدسية أفلاطونية معلقة بين السماء والأرض، وإنما القدسية تجسدت في الأنبياء، الله تعالى بعث أنبياء وقال عنهم أنهم الإنسان الكامل، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾،[٣] هذه فكرة التقديس للمبادئ والتقديس للتجسيدات الخارجية، «النظر إلى وجه علي عبادة».

يأتي قائل يقول: لماذا النظر إلى وجه العالم عبادة؟ الجواب: نحن نؤمن بالله والمبادئ. ولكن لا بدَّ ممن يجسد تلك المبادئ، والتجسيد مرة (100٪) هو مستوى العصمة وأخرى (80٪) وهي للعلماء والفقهاء.

والبحث الأخير: كيف نفسّر الانقسامات المذهبية داخل التشيع؟

---

(١)

(٢)

(٣)

الزيارة تقول: «وَأَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ»، لأن هناك مذاهب قطعت السلسلة من النصف، ومن تلك المذاهب المذهب الزيدي، هؤلاء وصلوا إلى زيد بن عليّ، وهو شخصية عظيمة، وله شأن في التأريخ، وهو أحد الثوار، والأمام الباقر عليه السلام يقول: «رحم الله عمّي زيد»،[١] الرؤية الشيعية تقدس زيد بن عليّ، لكن برز مذهب يقول نحن نتبع زيد، ويشترط في الإمام أن يكون ثائراً بالسيف.

لدينا مذهب آخر هو الإسماعيلية، وهم وقفوا عند إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام. وهو أكبر أبنائه، لكنه مات في حياة والده، والإمام يعلم بأن الناس سيتبعونه، فأرشد القوم عليه بأنه مات، ولكن الإسماعيلية يعتقدون أن إسماعيل الآن حي غائب قد رفعه الله.

أما نحن الإمامية الإثنى عشرية، نعتقد بإمامة الأئمّة الإثني عشر «أوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ».

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «إني أستغفر لشيعتي في كل يوم مئة مرة».[٢] فهذا العشق وهذا الارتباط بأهل البيت عليهم السلام له جزاؤه.

وهناك كان مذهب قد انتهى اليوم وهو مذهب (الواقفة) هؤلاء الذين وقفوا على إمامة الإمام موسى الكاظم عليه السلام وقالوا أن الإمامة انتهت عند موسى الكاظم عليه السلام.

وهذه انقسامات مذهبية لكن الأصل في مذهب التشيع والذي يمثل الخط العريض لمذهب شيعة أهل البيت عليهم السلام يُسمى مذهب

---

(١)

(٢)

(الإمامية الاثني عشرية). الشيعة الموجودون في العراق، وإيران، ولبنان ومصر وفي باكستان هو (الإمامية الاثنى عشرية).

نعم يوجد في اليمن جماعة الإسماعيلية والزيدية، لكن عندما تطلق كلمة الشيعة يتبادر إلى الذهن الشيعة (الإمامية الاثنى عشرية) نحن لدينا (12) إماماً وعلى هذا الأساس كانت هذه التسمية.

وحينئذٍ نطرح هذا السؤال:

إمامة الإثنى عشر:

ما هو دليلكم على إمامة الأئمّة الإثنى عشر؟

الإمام عليّ عليه السلام جاء فيه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله (من كنت مولاه) و(حديث المنزلة) و(حديث الغدير) و(حديث الدار) لكن هذه الأحاديث كلها في شخص الإمام عليّ عليه السلام لكن أنتم الشيعة تقولون باستمرار الإمامة فيمن بعده فما هو دليلكم؟ لماذا لم نصبح من الإسماعلية؟ أو من الزيدية؟ لماذا اثنا عشرية؟

هذا بحث أريد أن أتناول منه شيئاً يسيراً، حيث أن ثقافتنا هكذا تقول: « أوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ » ترسيخ فكرة الإيمان بالجميع، لا نؤمن بنصف الأئمّة، إنما نؤمن بكل الأئمّة الإثني عشر « شَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَأوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ » هذا المعنى يتكرر في فقرات أخرى في نفس هذه الزيارة «توَلَّيْتُ آخِرَكُمْ بِمَا تَوَلَّيْتُ بِهِ أوَّلَكُمْ » نحن نؤمن بالإمام عليّ عليه السلام كما نؤمن بالإمام الحسن العسكري عليه السلام القضية واحدة، هذه هي نظرية، (النور الواحد) نحن نعتقد أن أهل البيت عليهم السلام هم حقيقة واحدة، سلسلة واحدة، هذا المعنى أيضاً نقرؤه في الزيارة الجامعة، وهناك تركيز عليه

«شَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَأَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ »، «تَوَلَّيْتُ آخِرَكُمْ بِمَا تَوَلَّيْتُ بِهِ أَوَّلَكُمْ » وهكذا نقرأ في الزيارة: « أنَّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ وَاحِدَةٌ طَابَتْ وَطَهُرَتْ بَعْضُهَا مِنْ بَعْض » هناك نظرية اللحمة الواحدة، نظرية الكيان الواحد، نظرية النور الواحد، إن أهل البيت عليهم السلام لا ينفصلون مثلما نحن لا نستطيع أن نفصل بين الحسن والحسين عليهما السلام، لماذا؟ لأنه جاء التركيز من رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إماما قاما أو قعدا»[1] نفس هذا الترابط موجود بين الإمام الحسين والإمام زين العابدين وبين الإمام زين العابدين والإمام الصادق وهكذا فإن التفكيك غير مقبول في نظرية الإمامية الاثنا عشرية « أنَّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ وَاحِدَةٌ طَابَتْ وَطَهُرَتْ » الطينة واحدة، النور واحد، الأرواح واحدة، التمييز غير مقبول، هذه النظرية ما هو الدليل عليها نحن نتعامل معها بهذا الشكل: أنهم كلهم كيان واحد وموقعهم موقع واحد، وهنا بحثان:

البحث الأوّل: موقع أهل البيت عليهم السلام بشكل عام.

البحث الثاني: أن الأئمّة اثنا عشر.

موقع أهل البيت عليهم السلام:

تحدّثنا عنه مراراً وأُشير إليه هنا مجرد الإشارة أن هناك حديثاً يقينياً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهناك محاولة للتشكيك به من قبل عناصر معادية لأهل البيت عليهم السلام الحديث هو حديث الثقلين «إني تاركٌ فيكم الثَقَلين كتابَ الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تظلوا بعدي

---

(١)

أبداً»[١] وهذا الحديث يعطي موقعاً واضحاً لأهل البيت عليهم السلام بأنهم في موازاة القرآن الكريم، هذا الحديث يرويه صحاح السُنّة الكبار فضلاً عن الشيعة، لكن جاء دور التشكيك وكما تعرفون أنهم ما تركوا رواية لأهل البيت عليهم السلام إلاّ وحاولوا التشكيك فيها أو جعلوا رواية تماثلها تقول: «إني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وسُنّتي»،[٢] وليس عترتي، وإذا كان كتاب الله وسُنّتي فلا وجود لأهل البيت عليهم السلام، هذه شبهة في حديث الثقلين أنتم تعتمدون على حديث الثقلين لكن هناك رواية يرويها أهل السُنّة تقول أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وسُنّتي».

الجواب: أن حديث (الثقلين) برواية (وعترتي) قد رواه ثلاثون صحابياً وهو بهذا النص متواتر في صحاح السُنّة فضلاً عن الشيعة، وأمّا حديث (سُنّتي) فقد جاء كرواية نادرة ضعيفة السَنَد، ليست موجودة في صحاح السُنّة وإنما هي رواية هامشية نادرة يرويها بسَندٍ ضعيف فقط كتاب (الموطأ) لمالك بن أنس وكتاب (المستدرك على الصحيحين) في الهامش، وعلماؤنا ناقشوا هذه الرواية بسندها فوجدوا أن السند ضعيف وفق مناهج أهل السُنّة، وهناك جهود كثيرة بذلت لتوضيح ذلك أود أن أُشير إليها منها لسماحة آية الله العظمى السيد (محمّد سعيد الحكيم) في كتابه القيّم (في رحاب العقيدة) إذن فالحديث الصحيح هو المروي في كتب (الصحاح) للسُنّة والشيعة هو «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» وهناك

---

(١)

(٢)

تحريف وكذب كما جاء في كتاب (منهاج السُنّة) لابن تيمية، [1] وهذا الرجل قد بلغ حقده على أهل البيت عليهم السلام أنه يقول: (إن الشيعة لا يملكون دليلاً على إيمان عليّ ابن أبي طالب) ثمّ يقول: (إن عليّ بن أبي طالب لم يَقتل كافراً واحداً)، وأن كل ما يقال عنه من شجاعة هو كذب!! ولكن حينما يصل إلى ابن ملجم يقول عنه: (كان عابداً صالحاً شديد الورع والتقوى) ومثل هذا الكلام يقوله عن يزيد بن معاوية وكذلك حينما يمر على رواية أن الإمام الرضا عليه السلام كان أعبد الناس فيقول بأن هذه الرواية ضعيفة وليست ثابتة وقس على ذلك تشكيكات ابن تيمية العجيبة والتي يعتمد عليها علماء السلفية اليوم.

ونحن نقول: إننا إذا لم نستطع أن نثبت إيمان عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وآله: «يا عليّ أنت منّي بمنزلة هارون بن موسى» [2] أو «لأعطين الرايةَ غداً لرجل يحبه الله ورسوله» [3] ويقول ابن تيمية هذه الرواية صحيحة ولكن ليس فيها أيّ فضيلة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، ونحن نقول لماذا كل هذا الحقد على أهل البيت عليهم السلام فلم يترك فضيلة إلاّ وشكَّك بها، حتّى في أوضح الواضحات.

ما نريد أن نقوله أن موقع أهل البيت عليهم السلام من وجهة نظرنا المأخوذة من رسول الله صلى الله عليه وآله أنهم يمثلون الثقل الثاني بعد القرآن.

ولو كان الحديث (كتاب الله وسُنّتي) إذن لماذا منعت الخلافة

---

(١) راجع في ذلك بشكل مفصّل كتاب العلامة السيد عليّ الميلاني في (نقد منهاج السُنّة).

(٢)

(٣)

الراشدة تدوين سُنَّة رسول الله ﷺ؟ فقد كان عمر بن الخطاب يضرب بالسوط ويهدّد من يروي رواية عن رسول الله ﷺ كان ذلك في زمن أبي بكر وفي زمن عمر وفي زمن عثمان واستمرت القضية إلى أيام عمر بن عبد العزيز، فهذه تسعون سنة كان ممنوعاً فيها أن يقول القائل: (قال رسول الله ﷺ)!! حتّى رفع المنع عمر بن عبد العزيز.

فإذا كان الحديث «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وسُنّتي» فلماذا منعوا السُنّة!؟ فإن قلتم: إنهم قد خالفوا سُنّة رسول الله ﷺ فقد شهدتم على أنفسكم بالانحراف، وإن قلتم: إن الحديث هو «كتاب الله وعترتي» فقد شهدتم بموقع العترة، فلماذا خالفتموهم؟

يبقى السؤال الآخر عن الدليل على أن الأئمّة اثنا عشر. حيث يمكن أن نشير إلى عدّة أدلّة:

الدليل الأوّل: الروايات المتواترة اليقينية الثابتة من مصادر الشيعة والسُنّة التي تقول عن رسول الله ﷺ: «الأئمّة من بعدي اثنا عشر أماماً»(١) هذه الروايات موجودة في صحاح السُنّة وموجود أيضاً في كتبنا أن رسول الله ﷺ قال في أكثر من موضع: «الأئمّة من بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش»(٢).

في رواية البخاري وفي رواية مسلم «ما زال هذا الدين عزيزاً منيعاً ما دام فيه اثنا عشر أماماً»(٣) يذكر أسانيد هذا الحديث كتاب (في رحاب

(١)

(٢)

(٣)

العقيدة) لسماحة آية الله العظمى السيد محمّد سعيد الحكيم، كما أن سماحة السيد سامي البدري له كتاب في دفع الشبهات عن المذهب [١] يذكر فيه مصادر حديث الأئمّة الإثنى عشر، من مصادر السُنّة ومصادر الشيعة.

وكتاب الكافي للشيخ الكليني يذكر (20) رواية في أن الأئمّة اثني عشر، ولأجل أن القضية ثابتة فقد جاء علماء السُنّة وبحثوا هذا الموضوع، ماذا نصنع؟ من أين نأتي باثنا عشر خليفة؟ الخلفاء الراشدون أربعة فقط، فوقعوا في حيرة من أمرهم، قال بعضهم: إني لم أفهم لهذا الحديث معنى، كيف أن الأئمّة بعدي اثنا عشر؟ وقال بعضهم: نحن نختار خلفاء بعد الخلافة الراشدة إلى أن نصل إلى عمر بن عبد العزيز فهؤلاء اثنا عشر إماماً، وعلى كل الأحوال فقد عجز علماء السُنّة عن موافقة حديث الإثني عشر طالما لم يعترفوا بإمامة أهل البيت عليهم السلام الإثني عشر. مع أنها روايات اجماعية متفق عليها في صحاحهم وفي كتبهم «وكلهم من قريش» ولم يكتف رسول الله بذلك بل قال: «كلهم من بني هاشم» [٢] ونحن نطرحها كمناقشة علمية والروايات في البخاري ومسلم وفيها أنّ رجلاً سأل عبد الله بن مسعود قال: كم يملك هذه الأمّة من خليفة؟ فقال: سألنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «اثنا عشر، عدة نقباء بني إسرائيل»، [٣] وفي رواية أخرى: «يكون بعدي من الخلفاء عدة أصحاب

---

(١)

(٢)

(٣)

موسى»[١] وهكذا الكثير من الروايات في هذا الشأن.

التفسير الشيعي واضح لهذا الحديث، أن لدينا اثنا عشر إماماً معصوماً بالأدلّة التفصيلة، ونكون قد استطعنا أن نفسّر حديث رسول الله ﷺ.

الدليل الثاني: لدينا روايات عن رسول الله ﷺ بلغت خمسين رواية[٢] تذكر أسماءهم.

الدليل الثالث: إن الأئمّة أحدهم نَصٌّ على الآخر، الحسين أعطى سلاح رسول الله ﷺ وأوصى لعليّ بن الحسين، وهكذا إلى الإمام صاحب العصر عليه السلام، ونحن نعتقد أن الإمام المعصوم وصيته نافذة.

الدليل الرابع: وهناك برهان نستطيع أن نسمّيه البرهان الذاتي، وهو يعني أن كل أئمّتنا يتمتعون ببرهان ذاتي على إمامتهم بقطع النظر عن النصوص، كل إمام منهم أقام الحجَّة على أن الإمامة له كما كان عيسى بن مريم عليه السلام يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، وكان ذلك هو البرهان الذاتي على نبوته.

ولهذا فإن الإمام الجواد عليه السلام وهو أصغر الأئمّة سناً وهو بهذا العمر استطاع أن يفحم فطاحل العلماء من المذاهب الأخرى، حين عقد الخليفة العبّاسي ندوة علمية تخصصية دعا لها كافة الأساتذة لمناقشة الإمام الجواد عليه السلام وعمره يومئذٍ خمس سنوات، مما اضطره بعد ذلك أن يقدم على تزويج بنته للإمام الجواد عليه السلام لمحاولة احتواء الإمام

---

(١)

(٢) جمعها سماحة آية الله العظمى السيد محمّد سعيد الحكيم في كتاب في رحاب العقيدة.

الجواد عليه السلام وذلك لأنه الإمام مع صغر سنه استطاع أن يفرض شخصيته العملية على الواقع الإسلامي واستطاع أن ينجح وأن يفحم كل ذلك المحفل العلمي الذي جمعه المأمون العبّاسي والقصة معروفة هناك ثلاث ظواهر تسجل في حياة الأئمّة عليهم السلام لم يستطع أحد من مخالفينا أن يناقش هذه الظواهر الثلاث:

الظاهرة الأولى: أنهم لم يدرسوا عند أحد.

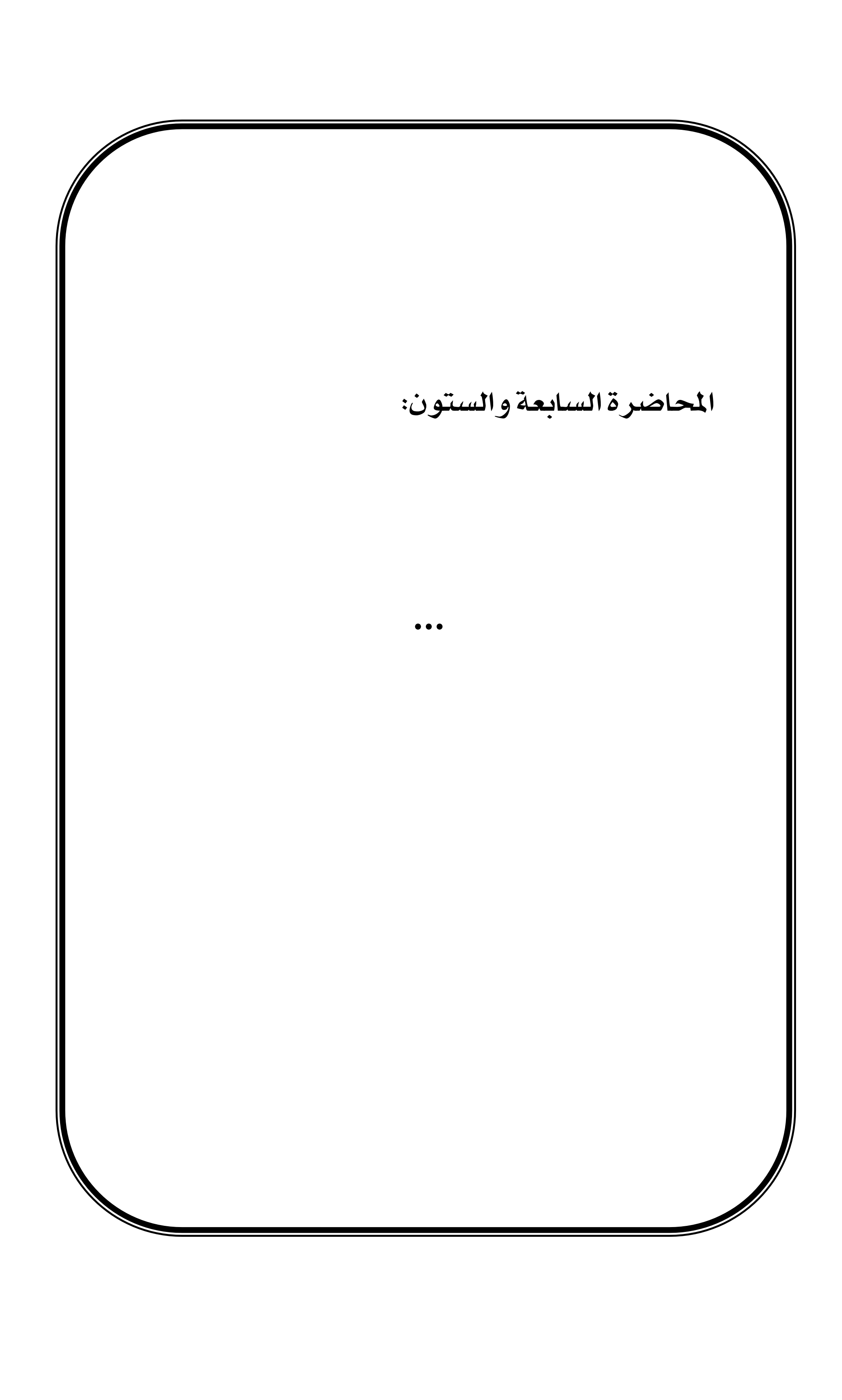
الظاهرة الثانية: أنهم أعلم الناس في زمانهم.

الظاهرة الثالثة: علمهم منذ الصغر.

هذه الظواهر الثلاثة هي شبيهة بمعجزة عيسى عليه السلام حين كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحي الموتى بإذن الله، وهذا هو ما نسميه بالبرهان الذاتي.

والحمد لله رب العالمين

* * *



المحاضرة السابعة والستون:

...

بسم الله الرحمن الرحيم

حديثنا اليوم عن محورين:

المحور الأوّل: التفويض.

المحور الثاني: النصرة.

لاحظوا هذه الزيارة تقول: « وَمُفَوِّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ » تفويض الأمر إلى أهل البيت عليهم السلام هذا مقطع.

ومقطع آخر يقول: « وَقَلْبِي لَكُمْ مُسَلِّمٌ وَرَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ» النصرة والانتصار لأهل البيت عليهم السلام.

المحور الأوّل: التفويض:

التفويض إلى الله تعالى بمعنى جعل الله هو صاحب الفعل والاختيار في أمر الإنسان كما قال تعالى على لسان نبيّه: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.[1]

ولكن العلماء مثل العلاّمة الطباطبائي واستفادة من الأحاديث الشريفة يفترض أن هناك ثلاث مراحل للارتباط بالله تعالى، مرحلة أكبر من مرحلة، ومرحلة أعمق من مرحلة.

المرحلة الأولى: هي التوكّل.

المرحلة الثانية: هي التفويض.

---

(١)

المرحلة الثالثة: هي التسليم إلى الله تعالى.

فالمرحلة الأولى هي الاعتماد على الله تعالى والاستعانة به، والمرحلة الثانية هي إحالة الأمر إليه وجعله هو صاحب الاختيار، والمرحلة الثالثة هي القبول المطلق بما يصدر من الله تعالى وعدم الاعتراض عليه.

هذا هو الفهم العميق للتوكل والتفويض والتسليم، ولكنها تقترب من بعضها وتعطي مفهوماً متقارباً.

هنا لدينا تفويض إلى الله أوّلاً، ثمّ تفويض إلى أولياء الله، القرآن يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[1] ويقول: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾[2] ويقول: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ﴾.[3]

لاحظوا قوله: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ يعني يُسلّم الوَجه وقيادة النفس إلى الله تعالى. هذا هو من أعظم درجات الإيمان، فأعظم درجة للإيمان ليس أن تصلّي أو تصوم، وإنما التوكل والتسليم والتفويض تكشف عن عمق العلاقة مع الله، كم أنت مسلّم أمورك إلى الله؟ وكم أنت مفوّض أمرك إلى الله؟ وكم أنت راضي بقضاء الله وقدره؟ التفويض هو أعظم مراتب الإيمان.

بهذا الصدد أقرأ لكم رواية تقول عن الإمام الصادق عليه السلام:

---

(١)

(٢)

(٣)

«أوحى الله إلى داود قال: ماعتصم بي عبدٌ من عبادي دون أحد من خلقي ثمّ تكيده السماوات والأرض ومن فيهنّ إلاّ جعلت له المخرج من بينهنّ» [1] يعني لو أن الإنسان يعتمد على الله تعالى يقول الله تعالى لو تجتمع السماوات والأرض على هذا الإنسان خلّصه الله.

الإمام السجّاد عليه السلام يقول في رواية يرويها الشيخ الكليني في أصول الكافي: «خرجت إلى حائط لي ـ حائط في اللغة العربية يعني البستان ـ وقفت متّكئاً وإذا أنا برجل بثياب بيضاء فرآني مهموماً مغموماً.

التفت لي وقال لي: يا عليّ ابن الحسين ممَّ حزنك؟

أعلى الدنيا فرزق الله تعالى للمؤمن والكافر موجود.

قلت له: لا على الدنيا حزني وإنما هي كما تقول.

فقال: على الآخرة فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر.

قلت له: ليس على ذلك حزين وإنما هي كما تقول.

قال: إذن ممَّ حزنك؟

قلت: حزني من فتنة ابن الزبير، ـ كانت فتنة سياسية في زمن الإمام السجّاد، فتنة خطرة كادت أن تمزّق العراق والأمّة الإسلاميّة ـ.

فقال لي: هل رأيت أحداً دعا الله فلم يجبه؟

قلت: لا.

قال لي: هل رأيت أحداً توكّل على الله فلم يكفِه؟

قلت: لا.

قال: هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطِه؟

---

(١)

قلت: لا.

ثمّ انصرف عنّي وغاب»[(١)] فمن يكون هذا الرجل هل هو الخضر أم هو مَلَك من الملائكة!؟

هذه الرواية محل الشاهد فيها، يقول له هذا الرجل ذو الثياب والرداء الأبيض: هل رأيت أحداً دعا الله فلم يجبه؟ قال له: لا، يعني ذلك أن الإنسان إذا توكّل على الله في أيّ عقدة وأيّ مشكلة، فإن الله ناصره ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.[(٢)]

الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ كان قلقاً من فتنة ابن الزبير، وهو عبد الله أبوه الزبير، من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ومن أوائل من أسلم وكان من أصحاب أمير المؤمنين، تاريخيّاً الزبير كان أحد اللذين اعترضوا على السقيفة ولم يقبل أن يبايعوا الأوّل وتحصّنوا في بيت أمير المؤمنين ولهذا فإن الجماعة لمّا جاءوا بالحطب وكسروا الباب ودخلوا إلى البيت وجدوا مجموعة منهم الزبير، فهو من المجموعة المخلصة في تاريخه لأمير المؤمنين، والرواية تقول: «أخذوا سيفه وكسروه»،[(٣)] طبعاً هو بطل من الأبطال، لكنه كان ينظر إلى أمير المؤمنين، وأمير المؤمنين لم يجز لهم القتال يومئذٍ في أحداث السقيفة.

وهو أيضاً من ضمن الستّة اللذين رشحهم عمر بن الخطاب للخلافة بعده. وكان الزبير من المتحمسين لأمير المؤمنين، وطلحة أعطى

---

(١)

(٢)

(٣)

رأيه إلى عثمان والزبير أعطى رأيه إلى عليّ ابن أبي طالب.

وعثمان حصل على الأكثريّة. لأن عمر بن الخطاب جعل الشورى بين ستة وجعل الأولوية للكفّة التي فيها عبد الرحمن بن عوف. وعبد الرحمن من أقرباء عثمان وكان في كفّة عثمان، ففاز عثمان.

الشاهد في الأمر أن الزبير، مرّت الأيام وإذا به يتحوّل إلى مقاتل يقود جيشاً ضد أمير المؤمنين في معركة الجمل بقيادة عائشة.

لقد كان أحد قادة الألوية هو الزبير، وأحد قادة الألوية هو طلحة ومع ذلك فإن الزبير كان لديه أصول خيّرة إلى أن كبر ابنه عبد الله فأغراه، القصّة تقول: في معركة الجمل، أمير المؤمنين عليه السلام خرج وطلب اللقاء بالزبير، ونظر الزبير وإذا بأمير المؤمنين قادماً إليه بدون سلاح، فأقبل الزبير لا يحمل السلاح، فهمس في أذنه كلمات، وذكّره بما هي منزلته من رسول الله صلى الله عليه وآله وذكره بقول رسول الله صلى الله عليه وآله له: «لتقاتلنّه وأنت له ظالم»،[1] يعني سوف يأتي يوم تقاتل صاحبك هذا الذي هو عليّ عليه السلام وأنت ظالم له، وحينما تذكّرها الزبير انصرف من المعركة. وعند انسحابه من المعركة التقى به ابنه عبد الله وقال له: ماذا تفعل يا أبي؟

فقال له الزبير: هذه المعركة سوف أنسحب منها.

فقال له ولده عبد الله: أجبناً من سيوف أهل الكوفة والعراق؟

فأغراه وأخذته الحمية فرجع مرّة أخرى ويقاتل وبعدها تقول الروايات

---

(١)

أنه قُتِل ولا يُعلم من الذي قتله هذه هي قصّة الزبير وابنه عبد الله.[1]

أمّا عبد الله بن الزبير فقد كان يتنافس مع الإمام الحسين عليه السلام على زعامة الأمّة الإسلاميّة، لأن الحسين هو بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعبد الله هو ابن الزبير وهو من الصحابة الكبار، ولهذا كان الإمام الحسين عليه السلام ثقيلاً على عبد الله بن الزبير وكان يريد الخلاص من الإمام بأيّة صورة كانت، وما زال الإمام الحسين عليه السلام موجوداً فلا أحد يرجع إلى عبد الله بن الزبير.

جرت معركة كربلاء وقُتل الإمام الحسين عليه السلام فكانت فرصة لعبد الله بن الزبير أن يعلن نفسه إماماً وزعيماً. وبايعه المسلمون في مكّة والمدينة على أن يكون زعيماً في مقابل يزيد، وسقطت المدينة ومكّة بيد عبد الله بن الزبير ثمّ امتدّ الأمر إلى العراق والبصرة والكوفة فأصبح الحجاز والعراق بيد عبد الله الزبير. والشام بيد يزيد وحكم عبد الله بن الزبير تسع سنوات وعدّة شهور، وجهّز يزيد جيشاً من الشام إلى العراق والمدينة المنورة ومكّة، في المدينة المنورة جهَّز جماعة عبد الله بن الزبير جيشاً خارج المدينة في منطقة اسمها (الحرّة) وهناك أصبحت معركة عظيمة بين جيش الشام وجيش عبد الله بن الزبير حيث تغلب جيش الشام على جيش عبد الله بن الزبير، وقتل فيها مقتلة عظيمة في منطقة (الحرّة) ثمّ أبيحت المدينة المنورة لجيش الشام بأمر يزيد ليفعلوا ما يشاؤوا وليدخلوا أيّ بيت شاؤوا ويفسدوا فيه، ثمّ زحف إلى مكّة المكرّمة حيث تحصّن بها عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام، وهذا

---

(١)

من أكبر الأخطاء بينما الإمام الحسين عليه السلام لأجل حرمة المسجد الحرام انسحب حتّى لا تُنتهك حرمة المسجد، لاحظوا الفرق بين الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بين الزبير حيث ضحّى عبد الله بن الزبير بالمسجد الحرام ليحمي نفسه حتّى لو كان ينهدم المسجد، وكان قائد جيش الشام (الحصين بن نمير) وهو قائد أحد الفرق في معركة كربلاء ومن القادة الذين كانوا ضد الإمام الحسين عليه السلام فوقف عند جبل مرتفع اسمه (أبو قبيس) في مكّة المكرّمة وعمل منجنيقاً وهو أداة ترمي كتل نارية من على الجبل ورموا الكعبة بها من بعيد وبينما هم يرمونها جاء الخبر أن يزيد بن معاوية هلك ومات وكانت المعركة حينها قائمة، فتراجع الحصين عن المعركة وأرسل خبراً إلى عبد الله بن الزبير ليتصالح معه، وفعلاً رجع الحصين إلى الشام، بينما بقي عبد الله بن الزبير حاكماً على مكّة المكرّمة.

لقد حكم يزيد ثلاث سنوات وكان لديه ثلاث جرائم كبيرة:

الجريمة الأولى: قتل الإمام الحسين عليه السلام في السنة الأولى من حكمه.

الجريمة الثانية: إباحة المدينة المنورة للجيش بعد معركة الحرّة التي قتل فيها ثمانون صحابياً وتابعياً، ويقال: إن ألف امرأة حملت من سفاح عند دخول جيش الأموي.

الجريمة الثالثة: رمي الكعبة بالمنجنيق.

ولنعد إلى عبد الله بن الزبير الذي حكم تسع سنوات، فقد عيّن أخاه مصعب بن الزبير والياً على البصرة ثمّ زحف إلى الكوفة ودخل في

معركة مع المختار الثقفي الذي كان حاكماً عليها آنذاك.

وتغلّب جيش مصعب بن الزبير على جيش المختار وقُتل المختار.[١]

الإمام السجّاد عليه السلام في الرواية التي قرأتها عليكم يقول لهذا الشخص الذي أمامه: إني لست حزيناً على الدنيا ولا على الآخرة، إنّما أتخوّف من فتنة ابن الزبير، فهي فتنة في العالم الإسلامي، هي معركة ليست لله، صحيح هي ضد بني أميّة لكنها من أجل الدنيا فذاك يريد ملكاً وهذا يريد ملكاً، هنا قال هذا الشخص للإمام زين العابدين عليه السلام: هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطِه؟ قال: لا.

هل رأيت أحداً دعا الله فلم يجبه؟ قال: لا.

هل رأيت أحداً توكّل على الله فلم يكفه؟ قال: لا.

في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «من أعطيَ ثلاثاً لم يُحرم ثلاثاً، من أعطيَ الدعاء لم يُحرم الإجابة، لأن الله تعالى يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾،[٢] ومن أعطي الشكر لم يُحرم الزيادة، لأن الله تعالى يقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾،[٣] ومن أعطي التوكّل لم يُحرم الكفاية، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[٤]».[٥]

كان هذا حديثاً عن فضل التوكّل وفضل التفويض إلى الله تعالى.

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

اليوم حديثنا عن هذا المقطع من الزيارة: « وَمُفَوِّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ » يعني أنت حينما تزور أهل البيت عليهم السلام تقول: (يا سادتي وموالِيَّ أنا موكّل أمري إليكم) وهنا يأتي السؤال: كيف ينسجم ذلك مع تفويض الأمر إلى الله تعالى؟

الجواب: أن التفويض إلى أهل البيت عليهم السلام يعني التفويض إلى الله لقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾،[1] وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾.[2]

في الحقيقة نحن لا نرى أن هناك تضاداً بين الله وبين أنبيائه. النبي ممثّل عن الله تعالى، إذن حينما نطيعه إذن نحن نطيع الله تعالى، وحينما نفوّض الأمر إلى النبي يعني ذلك التفويض إلى الله تعالى باعتبار أن هذا النبي ممثّل، والممثّل حينما يختار يعبّر عمّن اختاره.

فلا يوجد تضاد بين النبي وبين الله تعالى، ولا يوجد تضاد بين النبي وبين أهل بيت النبي.

«فاطمة بضعة منّي فمن آذاها فقد آذاني، ومن أغضبها فقد أغضبني» [3] يوجد تطابق بين إرادة النبي وبين إرادة أهل بيته ويوجد توافق بين إرادة النبي وإرادة الله. إذن، _ بالاستعاضة _ إرادة أهل البيت تساوي إرادة الله تعالى.

ولهذا نحن نقول: « وَمُفَوِّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ » يعني أن أمورنا

---

(١)

(٢)

(٣)

نفوّضها إلى أهل البيت، قالوا: سلم، قلنا: مسلم، قالوا: حرب، قلنا: حرب «سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ»، أنتم يا أهل البيت قدّروا الموقف واختاروا الموقف ولسنا نحن اللذين نفرض على النبي ونفرض على أهل البيت المواقف، بل هم اللذين يفرضون علينا المواقف.

بهذا الصدد أقرأ لكم رواية، يقول أبو إسحاق النحوي: دخلت على الصادق عليه السلام فسمعته يقول: «إن الله أدّب نبيّه على محبته فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] ثمّ فوّض إليه فقال: ﴿ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[2] وأن نبي الله فوّض ذلك إلى عليّ.

فقولوا إذا قلنا، اصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله عزّ وجلّ، ما جعل الله لأحدٍ خيراً في خلاف أمرنا»[3] هذا حديث عن التفويض إلى رسول الله، والتفويض إلى أهل البيت، ولهذا نقرأ في زيارة أمين الله...

البحث الثاني: «وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ».

فما معنى «وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ»؟

أهمية النصرة في الإسلام:

توجد آية في القرآن الكريم وهي من عجائب الآيات تقول: إن الله تعالى أخذ على كل الأنبياء السابقين عهداً أن ينصروا رسول الله صلى الله عليه وآله رغم أن رسول الله في خاتم الأمم، لكن الله تعالى فرض على كل الأنبياء أن ينصروا رسول الله، هذا نجده في الآية الكريمة من سورة آل عمران

---

(١)

(٢)

(٣)

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾(١) هذا عهد أخذه الله تعالى على سائر الأنبياء لأن رسول الله ﷺ هو سيّدهم ونبيّهم فهو نبيّ عالميٌّ، «الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَالْفَاتِحِ لِمَا اسْتُقْبِلَ وَالْمُهَيْمِنِ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ».

﴿قالَ أَأَقْرَرْتُمْ﴾ بنصرة خاتم الأنبياء؟

قالوا: بلى.

وأخذتم العهد على أممكم؟ ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِي﴾؟

قالوا: بلى.(٢)

نحن أتباع وأنصار للنبي الذي سيأتي في آخر الزمان قبل عدّة آلاف سنة لكن يجب أن يكونوا أنصار لنبينا ﷺ ﴿قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾. إذن النصرة قضيّة مهمّة، الله تعالى أخذها على كلّ الأنبياء.

لكن هذه النصرة مرّة نتعامل معها على أساس النصرة الشكليّة ومرّة أخرى النصرة الحقيقية، يعني أن الله تعالى يطلب من إبراهيم عليه السلام أن ينصر نبيّنا، والمطلوب من نوح عليه السلام أن ينصر نبيّنا فكيف ينصره؟ المطلوب هو النصرة الحقيقية وليس النصرة الشكليّة.

من أجل تحقيق النصرة يجب أن تكون:

أوّلاً: مستعداً لقبول هذه الحقيقة، أن يأتي بعدك نبي هو أشرف منك وهو سيّد الأنبياء، فيجب أن تكون لديك حالة الخضوع.

---

(١)

(٢) الآية الكاملة...

ثانياً: أن يبلّغ أمّته.

ثالثاً: أن يكتب ذلك في وصاياه لمن يأتي من البشريّة والتاريخ، وبالفعل فإن كلّ الأنبياء أوصوا بنبيّنا ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾(١) هذه هي النصرة.

في الزيارة حينما تقول: « وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ » يعني يا أبناء رسول الله إن نصرتي لكم معدّة.

أوّلاً: «قَلْبِي لَكُمْ مُسَلِّمٌ».

ثانياً: «رَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ».

ثالثاً: «نُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ».

بعض الناس يتصوّر أن « نُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ » أن يضع بندقيّة مثلاً في البيت حتّى إذا ظهر صاحب الزمان يكون مستعداً ببندقيته، بعضهم مع الأسف هكذا يكتب في كتبه استناداً إلى رواية تقول: «ليعدّ أحدكم له سهماً» (٢) ولكن هذه الرواية غير قابلة للتصديق لأن المطلوب هو النصرة الحقيقية وليس النصرة الشكليّة.

أقرأ لكم رواية تبيّن كيفية التعاطي مع أهل البيت عليهم السلام.

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام يقول: «من لم يقدر أن يزورنا فليزر صالح موالينا يكتب له ثواب زيارتنا، ومن لم يقدر على صلتنا فليصل صالح موالينا يكتب له ثواب صلتنا».(٣)

---

(١)

(٢)

(٣)

«نُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ» يعني بالفعل على أرض الواقع أنت تباشر عمليّة الانتصار لأهل البيت عليهم السلام.

هذا هو الفرق بين الانتصار الشكلي والانتصار الحقيقي.

عصر الظهور:

هناك سؤال أطرحه وهو هل نحن الآن نقترب من عصر الظهور، أم نحن الآن بعيدون من عصر الظهور؟

الجواب: هناك نظريتان:

النظرية الأولى تقول: نحن الآن بعيدون عن عصر الظهور، بدليل أن الإمام صاحب الزمان عليه السلام (لا يظهر حتّى تملأ الأرض ظلماً وجوراً)، والآن الأرض غير مملوءة ظلماً وجوراً، حيث يوجد مجال للتحرّك من أجل الدين والحريّة، إذن لا يظهر صاحب الزمان حتّى تقطع كل الآمال وحتّى تُغلق كل النوافذ وحتّى تُسدّ علينا كل الأبواب نحن المسلمون، وحينئذٍ ننتظر صاحب الزمان عليه السلام.

الآن توجد دولة إسلاميّة في إيران، وانتخابات حرّة في العراق، فأنتم جداً بعيدون عن ظهوره عليه السلام.

النظرية الثانية تقول: وفقاً للقوانين القرآنية ووفقاً للأدلّة الثابتة في الروايات، نحن يوماً بعد يوم نقترب من ظهوره عليه السلام وذلك لعدة أدلّة:

الدليل الأوّل: أن ظهوره عليه السلام يكون على أساس قرآني، على أساس ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾،[1] ومتى ما أصبحت

---

(١)

الأمّة صالحة إذن أصبحنا نقترب من ظهوره عليه السلام، والأمّة إذا أصبحت غير صالحة إذن هؤلاء لا يستحقون ظهور المعصوم، إنما يظهر المعصوم حسب استحقاقات الأمّة ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾ فمتى ما ازداد الاستحقاق اقتربنا من عصر الظهور، واليوم بحمد الله أصبحنا نشهد عمليّة التغيير، فنحن في بدايات عمليّة التغيير، توفير المؤهلات لظهوره.

الدليل الثاني: الرواية تقول: «ما يحبسنا عنهم إلاّ ما يصلنا منهم ممّا نكره من أعمالهم» هذا قول الإمام المنتظر عليه السلام.[1] فإذا صلحت الأعمال اقتربنا من الظهور.

الدليل الثالث: الروايات تقول أنه قبل الظهور ستُشكّل دولة الممهدين الموطئين لدولة المهدي.[2] أي يوجد قبل ظهور المهدي دولة إسلاميّة.

أين هذه الدولة الإسلاميّة؟ ما هو المقصود؟ هل الآن أم بعد مائة سنة؟ على كل الأحوال فإن هذه الروايات تجعل انتصارات العالم الإسلامي علامة من علامات الظهور، ولا نشكّ أننا في عصرنا هذا نشهد انتصاراً للعالم الإسلامي قياساً إلى ما كان عليه الحال سابقاً.

أمّا نظرية الانتظار والانسحاب إلى أن تملأ الأرض ظلماً وجوراً، فالصحيح أننا يجب أن نتعامل مع هذا النص بشكل آخر، تُملأ الأرض ظُلماً، فهذا لا ينافي توجد انتصارات وتطوّر في الواقع الإسلامي.

---

(١)

(٢)

أقرأ لكم هذه الرواية: أبو عبد الله محمّد بن يوسف الشافعي في كتاب (كفاية الطالب) يقول: (أنا شافعي وجمعت هذا الكتاب وعرّيته من طرق الشيعة، _ يعني حذفت كل الروايات التي تخصّ الشيعة _ ليكون الاحتجاج به آكد)، يقول في الباب الخامس هذه الرواية وهي متّفق عليها عن رسول الله ﷺ: «يخرج أناس من المشرق فيوطئون للمهدي سلطانه».[1]

إذن قبل خروج المهدي عليه السلام توجد هناك استعدادات على شكل دولة، أو مجتمع حرّ، أو على شكل تيار جماهيري قوي لصاحب الأمر عليه السلام.

هنا الراوي يقول: هذا الحديث صحيح روته الثقات أخرجه (الحافظ بن ماجه) في سُنِنه.

نحن الآن بحمد الله نقترب من عصر الظهور ولسنا مبتعدين عن عصر الظهور، بدليل هذه الأدلّة التي ذكرتها لكم.

«وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ».

هذه النصرة الحقيقيّة وجدها الإمام الحسين عليه السلام في أصحابه، ولهذا قال: «إني لا أعلم أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، ولا أصحاباً خيراً من أصحابي».[2]

لأنه رأى منهم النصرة الحقيقيّة.

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١)

(٢)

المحاضرة الثامنة والستون:

الاستقلال أو التبعيّة الفكريّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث في هذه الليلة عن هذا المقطع من الزيارة: « وَقَلْبِي لَكُمْ مُسَلِّمٌ وَرَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ » هنا رأي وقلب ونصرة، يعني عاطفة واعتقاد وموقف عملي.

نحن معهم عليهم السلام في القلب مسلّمون تسليماً «وَقَلْبِي لَكُمْ مُسَلِّمٌ».

ونحن أتباع لهم في الرأي والاعتقاد «وَرَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ».

ونحن أنصار لهم في الموقف العملي والسياسي « وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ».

الاستقلال الفكري:

الحديث هذه الليلة عن هذا المقطع، « وَرَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ » هل نعتقد بالاستقلال الفكري أو نؤمن بالتبعيّة الفكريّة؟

هذا البحث نجعله تحت إطار (العقل بين الإسلام والليبراليّة)، في ذلك الزمان كان يقال الإسلام والجاهليّة، في هذا الزمان مصطلحات جديدة مثل ليبرالية اشتراكيّة ديمقراطيّة السياسة وما شاكل ذلك.

العقل والقدرة الفكريّة لدى الإنسان بين رؤية الإسلام وبين رؤية الليبرالية الحديثة.

اليوم الحضارة الغربية تعتمد على دعامتين:

دعامة اسمها الليبرالية وهي الأساس الفكري.

ودعامة أخرى اسمها الديمقراطيّة وهي الأساس السياسي للنظرية الغربيّة.

الليبراليّة بمعنى الحرية المطلقة في التفكير.

الديمقراطيّة بمعنى الحرية المطلقة في العمل.

وبما أن الحديث عن الفكر والعقل « وَرَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ » إذن سنجعل هذا المقطع مدخلاً ومفتاحاً للحديث عن المقارنة بين الإسلام والليبراليّة في مسألة اعتماد العقل.

الإسلام يؤمن إيماناً قوياً متميّزاً بالعقل، الليبرالية أيضاً تؤمن بالعقل لكن نحن من دعاة النظريّة الإسلاميّة ولسنا من دعاة النظرية الليبرالية ولا نقبل بتأسيس المجتمع على أساس الليبرالية وسوف نشرح ذلك جيداً.

أوّلاً: الليبراليّة ماذا تقول؟

الليبراليّة تقول: إن الإنسان في حياته الاجتماعيّة وفي تشريعاته المدنيّة يجب أن يعتمد على تجاربه العلميّة فقط كما أن الإنسان في الطب والهندسة يعتمد على تجاربه العلمية هكذا في التشريعات المدنيّة الاقتصاد، الاجتماع، الأُسرة، وما شاكل ذلك.

ما يتوصل إليه علمياً هو الصحيح دون استناد إلى شيء اسمه الوحي واسمه الدين، لا يوجد مصدر أعلى من الإنسان للتشريع، فالحرام والحلال هو ما أوصلت إليه التجربة العلمية والعملية فلا مانع من أن يشرب الإنسان الخمر ولا مانع اقتصادياً من الربا وهكذا حسب التجربة العملية للإنسان دون تلقّي من الوحي هذا هو معنى الليبرالية.

في الاعتقادات الفكريّة أيضاً نحن أحرار، شئت أن تؤمن بالله والمعاد والأنبياء لك ذلك، وإن شئت أن لا تؤمن لك ذلك أيضاً، حسبما توصلت إليه تجاربك العلمية هذا هو معنى الليبراليّة اعتماداً على الثقة بالعقل.

الليبرالية هكذا تقول أننا نثق بالعقل الإنساني ثقة مطلقة ولا نفرض على العقل أفكاراً وتشريعات آتية من مكان آخر سواءاً من مجتمع آخر، من إنسان آخر، من وحي، من عالم السماء، لا معنى لأن نفرض على الإنسان تشريعات ونظريات أخرى من خارج تجاربه العقليّة.

ولهذا فإن الليبراليّة تمارس حرية مطلقة في المأكولات في الملبوسات في الحياة الاجتماعيّة في التقاليد ما شئت فاصنع، وما شئت فاعتقد اعتماداً على ما يسمّوه بـ (أصالة العقل).

أصالة العقل:

عنوان جميل أصالة العقل والثقة بالعقل، الإسلام ماذا يقول؟

نحن نجد أن الإسلام أكثر ثقة بالعقل وأشدّ إلتزاماً بنظريّة أصالة العقل.

في الوقت الذي كان العقل مطوقاً وأسير التقاليد والجاهليّة والسحرة والكهنة والمنجّمين نجد أن الإسلام وضع العقل أوّل موضع في الوجود ليس فقط في العالم البشري.

الإسلام قبل ألف وأربعمائة سنة لم يكن هناك حضارة مع ذلك جاء الإسلام ليقول: «أوّل ما خلق الله العقل فقال له: أقبِل فأقبَل، ثمّ قال له: أدبِر فأدبَر، فقال: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إليَّ منك، بك

أثيب وبك أعاقب»،[1] هذه هي منزلة العقل في الإسلام.

العقل في الإسلام أوّل مصدر من مصادر التشريع.

يقول علماء الإسلام أن أدلّة التشريع أربعة: الدليل الأوّل: العقل، الدليل الثاني: القرآن، الدليل الثالث: السُنّة، يعني سُنّة النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ، والدليل الرابع: الاجماع، يعني ما يتفق عليه الفقهاء بنحو اجماعي ويرون أنّ ذلك هو موقف الشريعة.

لاحظوا: أوّل دليل من الأدلّة الشرعيّة في الإسلام هو العقل ولدينا قاعدة تقول: (ما حكم به العقل فقد حكم به الشرع) هناك ترابط، هناك تآخي بين العقل والشرع، يعني ليس بالضرورة أن تجد آية قرآنيّة، ليس بالضرورة أن تجد رواية في حرمة السرقة أو في حرمة سيّئة من السيّئات المعاصرة التي لم يكن لها وجود ولا نص ولا عنوان في ذلك الزمان مثلاً التجسس الفضائي على الشعوب أو السيطرة الفضائيّة على الدول هذا لا يوجد فيه نص لأن هذه أمور مستحدثة، أو مثلاً الجمرة الخبيثة التي انتشرت في هذا الزمان، يومئذٍ لا يوجد جمرة خبيثة وأنت لا تجد نصاً في القرآن والسُنّة على أن استخدام الجمرة الخبيثة وإرسالها في ظروف بريديّة للآخرين هذا جائز أو غير جائز لا تجد مثل هذا لكن الإسلام يقول: (ما حَكَم به العقل حَكَم به الشرع) إذا كان هذا عدوان واعتداء وخطر على الآخرين فهو حرام سواء وجدت نصاً أو ما وَجدت نصاً.

لاحظوا اهتمام الإسلام بالعقل، إذن حينما نتحدّث عن أصالة العقل، فالإسلام يقول بأصالة العقل، بل الإسلام أكثر من هذا، يقول أن

---

(١)

أوّل ما خلق الله وأعز ما خلق الله وأحبّ ما خلق الله هو العقل.

إذن أين الفرق بين الإسلام وبين الليبرالية؟

لماذا أصبح الإسلام يقول أنه إلى جانب العقل لا بدَّ أن يوجد كتاب سماوي؟

الليبراليّة تقول: نحن لا نحتاج إلى كتاب وسُنّة، لا إلى نبي، ولا إلى وصي عندنا عقول نسير عليها.

ما هو الفرق بين الإسلام وبين الليبرالية التي هي تبشير غربي حديث في هذا الزمان ويراد بناء العالم على أساسه؟

اليوم هناك نظريّة مطروحة هي عبارة عن إعادة بناء العالم على صياغات جديدة ومقاسات جديدة، يعني اليوم الولايات المتحدة الأمريكية تطرح نظريّة أنّ العالم كل العالم يجب أن يبنى على مقاسات جديدة، هذا ثوب وتفصال أمريكي يجب أن يلبسه كل البشر فكرياً، أخلاقياً، مطعماً ومشرباً، إعادة بناء العالم.

متى بدأت الولايات المتحدة تتحدّث بهذه اللغة؟ بعد سقوط نظرية القطبين وهزيمة الاتحاد السوفيتي جاءت نظرية هيمنة القطب الواحد، إذن العالم يجب أن يدار من قبل قطب واحد، يعني قبل حوالي عشرين سنة كان هناك قطبان قويان يهيمنان على العالم الشرق والغرب أمريكا والاتحاد السوفيتي ويوزعون العالم إلى نصفين دول تنتمي إلى المعسكر الغربي، ودول تنتمي إلى المعسكر الشرقي دول صغيرة هذا يرتمي في حضن المعسكر الشرقي ذاك يرتمي في حضن المعسكر الغربي، بعد سقوط الاتحاد السوفيتي طرحت نظرية جديدة هي نظرية

هيمنة القطب الواحد، ثمّ إعادة بناء العالم على أساس نظريّة القطب الواحد.

نحن الآن نعيش في هذه المرحلة إعادة ترتيب الهيكل للعالم، والليبرالية هي أحد الملابس التي نسجتها معامل الأنسجة الغربيّة، الليبرالية هي عبارة عن الرسالة الغربية للعالم، الليبرالية ثمّ الديمقراطيّة.

وكما نحن نقول أن الإسلام هو رسالة الله للخلق، اليوم الغرب والولايات المتحدة بالخصوص في معامل النسيج الفكري نسجت نظرية اسمها الليبرالية في المجال الفكري، واسمها الديمقراطية في المجال السياسي والاجتماعي، وقالت: أيّها الشعوب جميعاً البسوا هذه (الدشداشة) الغربيّة فهي رسالة الغرب إليكم.

نحن نقول: لا، لدينا نسيج فكري آخر اسمه النظريّة الإسلاميّة، إذن لنرى أين التقاطع بين الإسلام وبين الليبراليّة؟ مع أن الليبرالية تقول: أنا أؤمن بالعقل وبحريّة التنفكير، الإسلام أيضاً يقول: أنا أؤمن بالعقل وحرية التفكير بل الإسلام متقدّم ألف وأربعمائة سنة في مجال الأصالة الفكريّة، في مجال الاستقلال الفكري، في مجال الطعن بالتبعيّة الفكريّة ونقدها ورفضها حين عاب على المشركين قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾،[1] و اعتبر ذلك هو منطق الكفر والكافرين.

الإسلام جاء لكي يقول للإنسان: أنت حرٌّ فكرياً لماذا تكون تبعياً، إذا أين نقطة الفرق بين الإسلام والليبرالية؟ هذا أيضاً بحثٌ واسعٌ نحن نوجز القول فيه.

---

(١)

الفرق بين الإسلام والليبرالية:

الإسلام يقول:

أوّلاً: أن العقل له موقع متميّز لكن هناك مساحات لا يصلها العقل البشري.

ثانياً: هناك مساحات يختلف فيها أبناء العقل البشري، في تلك المساحات الأولى التي لا يصل إليها العقل البشري، وفي المساحات الثانية التي يختلف فيها العقل البشري ما هو الموقف؟

الإسلام يقول: الموقف هو اعتماد مصدر آخر للمعرفة اسمه الوحي، هذه مساحات غير مرئيّة للعقل البشري ولا بدَّ أن نعتمد فيها مصادر أخرى للمعرفة.

مساحات الفضاء الواسعة والمجرّات الكونيّة الواسعة أو الكائنات المجهريّة الصغيرة جداً هذه غير مرئيّة للنظر المجرّد إذاً لا بدَّ أن نستعين بمصادر رؤية أخرى اسمها (تلسكوب) اسمها (المجهر) وهو عبارة عن أداة نظر تساعد العين المجردة، إذا كانت العين في بعض المساحات ليست قادرة على أن تصل فأنت تستخدم المجهر، هذا لا يعني أن استخدام المجهر هو تجاوز وإهمال للعين، هذا عنصر مساعد وإسناد لحركة العين لكن يبقى الأصل هو العين وأنت من خلال المجهر تنظر بعينك الكائنات البعيدة أو الكائنات الصغيرة.

الإسلام يعتقد أن هناك مساحات لا يصل إليها العقل البشري، ومساحات يختلف فيها العقل البشري إذن ماذا نضع؟ لا بدَّ من مجهر والمجهر هو عبارة عن الوحي الذي يكشف لنا المجهول لا بدَّ من

(مسبار) فضائي يكشف تلك المساحات اسمه الوحي، الروح الأمين، جبرئيل، آيات الله، الكتاب المبين، إسناداً لحركة العقل وليس غلقاً للعقل.

الفرق بين الإسلام وبين التبعيّات الفكريّة والتحجّر الفكري أن أولئك يغلقون عدسة العقل، الإسلام يقول: لا، افتحوا عدسة العقل لكن أسندوه بأدوات معرفيّة أخرى، الإسلام يسميها الوحي وهو إسناد إلهي لحركة العقل الإنساني، هذا ليس تبعيّة فكريّة، بل تماماً هو اعتماد العقل وإسناد حركة العقل، والوحي لا يتنافى مع العقل، إن جميع الروايات والنصوص الدينيّة يجب أن تعرض على العقل، فإذا العقل لم يقبلها فإنها تسقط من الاعتبار، أو تنتقل إلى مرحلة التأويل، كل علماءنا يقولون أن الآية القرآنيّة التي تقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1] يقولون حيث كان العقل يرى أن رؤية الله مستحيلة إذن لا بدَّ أن نأوّل الآية القرآنيّة على أساس الرؤية العقليّة.

إذن، هناك مساحات لا يصل إليها العقل، وهناك مساحات يختلف عليها العقلاء.

الدائرة الأولى:

المساحة التي لا يصل إليها العقل هي عالم الغيب، عالم ما وراء الشهادة، ما وراء الدنيا، عالم البرزخ، الملائكة، الجنّة، النار، الصراط، الحساب، عالم الغيب، لا يصله العقل البشري، نعم، إذا ارتفعنا من العقل البشري الاعتيادي إلى العقل الكامل لدى الأنبياء فأولئك يكتشفون من

---

(١)

خلال النور الإلهي والإسناد الإلهي، لكن العقل البشري لو درس مئات السنين فإنه ليس قادراً على أن يعرف ماذا يوجد في الجنّة وماذا يوجد في النار وفي عرصات القيامة، كيف تكون، وأين تكون، وكم طولها، وكم عرضها، ليس قادراً على معرفة تلك المساحات، هذه قضيّة لا يختلفون فيها معنا، فإذا لم نكن قادرين إذن اعتمدوا على مجاهر وأدوات معرفيّة أخرى اسمها الوحي، والوحي يكشف لنا تلك المساحات.

الدائرة الثانية:

هي المساحة التي يختلف فيها العقلاء، العقلاء يختلفون في التشريعات البشريّة في النظام الاقتصادي في النظام الاجتماعي لحدّ الآن البشرية مختلفة في أنظمتها الاقتصاديّة والاجتماعية وسوف تبقى مختلفة إلى الأخير، نظريات في القضايا الأخلاقيّة، في القضايا الأُسريّة ومجتمع الأُمومة، مجتمع الأبوّة، مجتمع التحلل، مجتمع التزاوج، مدارس مختلطة مدارس غير مختلطة، القطّاع الخاص والقطّاع العام والقطاع المشترك، وهكذا هذه قضايا تشريعيّة، العالم يختلف فيها علماء اقتصاد وعلماء سياسة هؤلاء يعتقدون بهذه النظريّة، وهؤلاء يعتقدون بتلك النظريّة.

هنا الإسلام يقول: أيّها العباد أنا أعطيكم نظريّة جاهزة في المجال الذي تختلفون فيه ولا مجال لكم أن تصلوا إلى نتيجة واحدة، لماذا؟ لأن هذه القضايا تتأثر ليس فقط بالمسألة العلمية بل تتأثر بالمزاج تتأثر بالمحدوديات الفكرية، الإنسان محدود في فكره، في الوقت الذي نحن بحاجة إلى حلول مطلقة كيف يبنى مجتمع المساواة؟ كيف تكون

العدالة الاجتماعيّة؟ الإسلام يقول: إن العقل هنا غير قادر على اكتشاف الموقف التشريعي المطلق ولهذا أنا أسندكم بالوحي وهذا لا يتنافى مع قدرة الإنسان على التمدّن فهذه قضايا غير مسألة التمدّن الحضاري.

لاحظوا مثلاً كتبت إحدى الصحف أن امرأة استراليّة في أمريكا عمرها (44) عاماً اسمها _ ليندا بروس _ مقيمة في أمريكا توفي زوجها هناك لهم تقليد في بعض المذاهب أن يحرقوا بدن الميّت بسعرات حراريّة عالية ويحولوه إلى رماد ويدخلون جثّة الميت في أفران ذات ضغط حراري عالي بحيث ينتهي اللحم والشحم والعظام ويتحوّل إلى قطعة رماد ثمّ يوضع هذا الرماد في زجاجة صغيرة ويعطى لأهله، هناك في الغرب موجود هذا التقليد وهذه الممارسة حيث يضعون هذا الرماد في علبة صغيرة ثمّ يضعوه على رف من الرفوف والسلام.

جيّد، هذه المرأة اكتشفت كشفاً جديداً، هذه ثريّة وكانت تحب زوجها فعمدت إلى شركة أمريكيّة حولت خلال عدّة شهور وخلال عمليات تصنيع وتجميل وتركيب حوّلت هذا الرماد خلال ستة أشهر وعبر آلاف الدولارات إلى ألماسة تلبسها هذه المرأة كخاتم في اصبعها.

جيد هذا في الحقيقة ليس علماً ولا عقلاً بل هذه قضيّة ذوقيّة، الإسلام هنا له رأي آخر، الإسلام يقول: إن تكريم الميت ليس بهذا الشكل، العلاقة مع الميّت ليست بهذا الشكل، أساساً كيف تصل إلى الميّت؟ عبر قراءة القرآن، عبر الدعاء، الصلاة تصل إليه وتهديه ثوابها وتنفعه وليس عبر احراق بدنه في أفران ذات ضغط حراري عالي جداً

ثمّ تحويله إلى خاتم في اصبع زوجته.

هذه المساحات العقل ليس قادراً على أن يكتشفها، إذن كيف نرتبط بها؟ الإسلام ومن خلال الوحي هو الذي يشرح لنا الموقف.

يوجد شيء اسمه تقدّم مدني نحن نعتقد أن الغرب لديه تقدّم مدني في التصنيع في الزراعة في الفضاء لكن هل الغرب لديه تقدّم ثقافي وفكري في المجال التشريعي والاجتماعي على الإسلام؟ الجواب لا، المصنع استطاع أن يحوّل الرماد إلى ألماسة بمبلغ (12) ألف دولار وهذا قد نسميه على مستوى التصنيع تقدماً، لكن هل هذا تقدّم أخلاقي وثقافي وفكري؟ الصحيح أن الغرب بخلاف ما يدّعي لا يملك هذا التقدّم الفكري بحيث يصل إلى مستوى الهيمنة على العالم فكرياً وليس فقط الهيمنة سياسياً وعسكرياً.

لاحظوا يوجد شيء اسمه الهيمنة العسكريّة يقولون نحن متقدمون عليهم عسكرياً، الفضاء بيدنا، كل شيء بيدنا، نحن متقدمون عليكم سياسياً، متقدمون عليكم إعلامياً نغزوكم سياسياً وإعلامياً فضائياً لكن هل الغرب متقدّم فكرياً وثقافياً؟ لا، الآن الغرب يعيش تراجعاً حقيقياً في المجال الفكري والثقافي هناك اختلال فكري في الغرب.

كنت أقرأ في بعض التقارير أن ثلاثة عشر مليون إنسان سنوياً في فرنسا يراجع المنجمين الذين هم عبارة عن قرّاء الكف والفنجان وما شابه ذلك، هذه فرنسا أم الحضارات لكنهم فقراء في البعد الثقافي يحاولون أن يكتشفوا ما وراء هذه الحياة لكن عن طريق الكف والفنجان وليس عن طريق الوحي والنبوآت.

فرعون كانت مشكلته هذه أيضاً، كان يدّعي الهيمنة الفكريّة وليس فقط السياسية حين قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[1] وحينما يقول: ﴿يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ * أَسْبابَ السَّماواتِ فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِباً﴾[2] يعني حتّى الهيمنة الفكريّة يريد أن يفرضها من خلال أدواته التجريبيّة دون وحي، من خلال بناء عمارة عليا ولهذا قال فرعون: ﴿ابْنِ لِي صَرْحاً﴾.

الإسلام يقول هناك مساحات لا يمكن للعقل أن يكتشفها وهي مساحات الغيب والإنسان يحتاج إلى وحي لاكتشاف تلك المساحات.

وهناك المساحات التي يختلف فيها الإنسان نفسه وهي المساحات التشريعيّة ولهذا يحتاج إلى إسناد بالوحي، وهذا هو جوهر الفرق بين الإسلام والليبراليّة.

إن المصدر الأصل للمعرفة هو العقل، ولكن المصدر الإسنادي للعقل هو الوحي، هذا مصدر إسناد وليس مصدر تجميد للعقل.

على هذا الأساس الإسلام يعتقد أن المجتمع يجب أن يبني على أساس النتائج العلميّة وعلى أساس معطيات الوحي (الكتاب والسُنّة)، ولهذا أصبح لدينا في مصدر التشريع عقل وكتاب وسُنّة، والاجماع هو عبارة عن واسطة لاكتشاف الكتاب والسُنّة وليس دليلاً رابعاً مستقلاً.

ما هو الوحي؟

الوحي عبارة عن مصدر معرفة من خلال الايحاء لقلب الإنسان،

---

(١)

(٢)

الايحاء إما المباشر، أو الايحاء غير المباشر.

المباشر حين يشعر النبي في قلبه بحديث، يشعر بنور، يشعر برؤية معينة وربما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ ﴾(١) وكما في قصّة آدم في قوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ ﴾ فقد كان هذا التلقي مباشراً وليس من خلال الملائكة كما يظهر، هذا هو الشكل الأوّل من خلال الملائكة، الوحي الأمين ينزل عليه ويخبره بالموقف. ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾.(٢)

والشكل الثاني أن يسمع صوتاً كما سمع موسى عليه السلام صوتاً من وراء الشجرة ولهذا أصبح موسى يُلقّب بالكليم ﴿يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ ﴾(٣) هذا الصوت من الشجرة وما حولها وهذا ما عبّر عنه القرآن ﴿مِنْ وَراءِ حِجابٍ﴾(٤) وهذا هو الشكل الثاني.

وقد أشار القرآن إلى هذه الأشكال الثلاثة بقوله: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾.(٥)

قُدسية النص الشرعي:

في ضوء هذه النظرية الإسلاميّة تجاه العلاقة بين الوحي والعقل يكون النص الشرعي قُدسية خاصة بحيث لا يجوز الخروج عليه لأنه

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

يمثل الوحي. رغم ذلك فقد ظهرت في التاريخ الإسلامي ما يمكن أن نسميها بمدرسة (الاجتهاد في مقابل النص) هذا العمل لا نعتقد بشرعيته، نعم هناك شيء هو (الاجتهاد في فقه النص) بمعنى دراسة النص وهذا نعتقد بجوازه كما يجوز الاجتهاد فيما لا نص فيه، بمعنى الرجوع إلى النصوص الشرعيّة العامّة فيما لا يوجد نصّ خاص فيه. هذا نعتقد بصحته، معنى هذا أن هناك ثلاثة مستويات من الاجتهاد:

1 ـ اجتهاد مقابل النص: وهذا هو ما تدعو له الليبرالية بالاصطلاح الحديث، الإسلام يقول مثلاً: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ﴾(١) ويأتي بعض رجال القانون الوضعي ويقول: القصاص عمل وحشي نرفضه، هذا هو اجتهاد في مقابل النص.

2 ـ اجتهاد في فهم النص: يعني دراسة النص حيث أن النصوص يجب أن تخضع للدراسة على طول الزمان وعمل المجتهدين هو أن يدرسوا النص، وهذا الشيء لا بدَّ منه، وهذا هو أحد امتيازات مذهب الشيعة، أنهم يعتقدون بفتح باب الاجتهاد بمعنى أنه لا بدَّ من دراسة النص، ومن حقّ الفقيه العالم أن يدرس النص ويطبقه على المستجدات الحديثة، وليس بالضرورة أن يرجع الناس إلى أبي حنيفة أو إلى مالك أ و إلى أحمد بن حنبل أو الشافعي.

إن سبب (اغلاق باب الاجتهاد) هو مذهب السُنّة، حين أغلقوا باب الاجتهاد من سنة (645هـ) على يد المنتصر العبّاسي الذي سمح فقط للمذاهب الأربعة أن تنتشر في كل العالم الإسلامي، ولم يسمح بظهور

(١)

مذهب خامس ولكن علماء السُنّة اليوم يعتزّون بالموقف الشيعي حيث يرون أن موقف الشيعة أكثر نضجاً منهم وبدأوا الآن يدعون إلى مواكبة حركة الشيعة، والأزهر الآن يعتبر أن الحوزات الشيعية متقدمة عليه.

نحن نعتقد أن النص الموجود في القرآن والنص الموجود عن النبي والأئمّة الأطهار يجب أن يخضع إلى دراسة ونقد ومعرفة ما قبله وما بعده من القرائن المقاليّة والحاليّة وصدر الآية وذيل الآية وصدر السورة وذيل السورة ومن خلال ذلك يجب أن تتكون الرؤية، هذا هو معنى فتح باب الاجتهاد.

3 _ وهناك صورة ثالثة للاجتهاد الصحيح، وهو فيما إذا واجهنا مسألة جديدة لم نعثر على نص شرعي فيها، فإن الفقهاء هنا يقومون بالرجوع إلى القواعد الفقهيّة العامّة ومن خلال النصوص العامّة يكتشفون الموقف في هذه المسألة الخاصّة. هذا الاجتهاد هو أمر صحيح أيضاً.

تقدّم الغرب:

الغرب له تقدّم علينا بلا شكّ، لكن هذا تقدّم مدني وليس تقدماً ثقافياً وفكرياً، بالفعل الغرب متقدّم علينا مدنياً مادياً طبياً كيمياويّاً عسكرياً لكن ليس متقدّماً علينا في عالم الفكر والثقافة.

أنا أحدّثكم عن صورة من التمدّن الحديث، لكنكم تجدون أن هذا التمدّن الحديث يبقى غير قادر على حل مشكلات الإنسان.

العالم اليوم يعاني من الإرهاب، يعاني من الدمار، أين العلم الحديث؟ هل هناك تقدّم في هذا المجال؟ بينما الإسلام بسط الأرض

بالعدالة قبل مئات السنين حيث لا يوجد إرهاب.

العالم اليوم يتحدّث ويكتشف موجودات لا يمكن رؤيتها حتّى بالمجهر تسمى (دون المجهريّة) ويقوم العلماء بمواجهتها ومكافحتها.

يمكن أن نذكر مثالاً لذلك ما انتشر في هذه السنوات الأخرى وعرف بمرض (انفلونزا الطيور).

اليوم تتحدّث الأخبار عالمياً طبعاً عن انتشار (انفلونزا) جديدة يسموها انفلونزا الطيور وبدأت المراكز الصحيّة تتنبأ أنه ربّما في العالم القادم سيصاب مليارد إنسان بافلونزا الطيور، هذه الانفلونزا تصل إلى مستوى قاتلة مثلما صار قبل أكثر من عشر سنوات مرض اسمه (جنون البقر) أصاب اللحوم وهذه اللحوم إذا أكلها الإنسان يصاب بجنون البقر أيضاً.

لقد بدأت لجان لمكافحة هذا المرض وهذا المرض يهدد مليونين إلى سبع ملايين إنسان خلال العام الآتي.

هذه الانفلونزا هي عبارة عن فيروس يصيب الطيور ويمكن أن ينتقل من الطيور إلى الإنسان.

لمحة عن الفيروس:

الفيروس ما هو؟

الفيروس عبارة عن جسيمات صغيرة دون المجهريّة لا تُرى حتّى بالمجهر هذه الجسيمات الصغيرة التي هي أصغر من الخلايا يبلغ قطرها واحد من عشرة مليون من المتر.

الكائنات الحيّة، كل الكائنات الحيّة، يعني أنا وأنت والنباتات

والحيوانات هذه الكائنات الحيّة تتقوّم بخليّة وهي أصغر جزء في الكائن الحي عندما يتجمع مليارات منها يكوّن كائناً حياً هذا الجزء والوحدة التركيبيّة للكائن الحي يسمّوه خليّة.

الإنسان يتركب من خلايا، الوردة تتركب من خلايا، الورقة تتركب من مليارات الخلايا، هذه الخلية هي الجسيمة الأولى في الكائن الحي، حتّى البكتريا التي لا ترى بالعين يسموها كائنات مجهريّة هذه البكتريا أيضاً فيها خليّة الكائن الحي.

إن الكائنات الحيّة جميعاً لها ثمان خصوصيات:

الخصوصيّة الأولى: التنفس من أجل تكوّن الطاقة.

الخصوصية الثانية: النمو.

الخصوصية الثالثة: التكيّف مع الطبيعة.

الخصوصية الرابعة: النظام المعقد في التركيب الذي يولّد الحياة.

الخصوصية الخامسة: الافراز والفضلات.

الخصوصية السادسة: التوالد والتكاثر.

الخصوصية السابعة: الدفاع عن نفسها من خلال الاحساس.

الخصوصية الثامنة: كل الكائنات الحيّة تتركب من خلايا.

هذه مجموعة خصوصيات، ولكن العلم الحديث اكتشف شيئاً آخراً هو ليس خليّة بل هو دون الخليّة وأصغر من الخليّة ولا يتمتّع بمواصفات الكائن الحي، لكن هذا موجود عجيب فهو إذا دخل في الكائن الحي يصبح حياً ويقتل الحي واسمه (الفيروس) إذن الفيروس هو جسيمة صغيرة حجمها حوالي واحد من عشرة آلاف من السنتيمتر،

والسنتيمتر هو عبارة عن واحد من مائة من المتر، وعندنا مانومتر وهو عبارة عن واحد من عشرة آلاف من المتر، أمّا هذا الفيروس فهو واحد من عشرة ملايين من المتر، ولهذا فهو لا يرى بالمجهر، وأيضاً هذا الفيروس لا يتمتع بالحياة مثل الكائن الحي لكن يأتي هذا الفيروس العجيب ويدخل الخليّة وإذا دخل في داخلها يبدأ يتوالد ويتكاثر ويتنفس ويكون عنده إفراز فيبدأ يقتل الخلايا ويبدأ الانسان يشكو من مرض.

إن العلم الحديث مشغول ببحث كيفيّة مواجهة فيروس انفلونزا الطيور، وربما يتوصل العلم إلى معالجة هذا الفيروس وذلك أمر ميسور ولكن هذا كلّه تقدّم مدني وليس تقدّماً ثقافياً فكرياً.

الإنسان اليوم معاناته الحقيقية والتي تجدون العالم يحترق فيها هي في المجال الروحي والأخلاقي والحروب المدمرة بين الشعوب، والهيمنة العالمية، هذه هي مشاكل حقيقية في الحضارة الحديثة الحضارة الحديثة غير قادرة على حلّها.

الإسلام هنا يأتي لمعالجة المشكلات الإنسانيّة ببراعة وبقدرة فائقة.

حينئذٍ نعود إلى هذا المقطع «وَرَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ».

نحن نعتقد بالاستقلال الفكري من ناحية ولكن نحن نعتقد بالتبعية الفكرية للوحي من ناحية ثانية.

أهل البيت عليهم السلام يمثلون الوحي ولهذا نحن نعتقد بالتبعية الفكرية

لهم، كما نعتقد بالتبعية الفكرية للقرآن ﴿اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾[١] الإنسان مطلوب منه الاتّباع للحق وأهله، صحيح أن لديه استقلال فكري لكن في المجالات التي يستطيع أن يتصرّف فيها فكرياً وليس في الدوائر الأخرى التي هو غير قادر على اكتشافها ولا قادر على أن يتناولها، في تلك الدوائر يحتاج الإنسان إلى تبعيّة فكريّة « وَقَلْبِي لَكُمْ مُسَلِّمٌ ، وَرَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ، وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ».

شهادة الإمام الصادق عليه السلام:

نحن في مثل هذه الأيام نعيش ذكرى شهادة الإمام الصادق عليه السلام.

لقد استشهد الإمام الصادق عليه السلام في الخامس والعشرين من شوّال سنة (148هـ) حيث سَمَّه المنصور العبّاسي وكان المنصور يجد أمامه جبلاً عملاقاً في الفكر يهيمن على قلوب الناس، كان يحاول أن يحاصر الإمام في المدينة المنورة ثمّ دعاه إلى الكوفة ثمّ إلى دمشق كل ذلك في محاولة محاصرة الإمام، مثل ذلك كان النظام الأموي في أواخره على يد هشام بن عبد الملك حينما استدعى الإمام إلى دمشق وهكذا المنصور العبّاسي حينما استدعى الإمام إلى الكوفة من أجل محاصرة الإمام الصادق عليه السلام ومع ذلك كان الإمام نجماً لامعاً وشمساً مضيئة انفتح على العالم بألوان العلوم ونقل عنه المحدّثون ما سارت به الركبان وذاع صيته في البلدان.

بعض الروايات تقول أن المنصور منع الإمام من الحديث ولكن

---

(١)

الإمام في محاولة لكسر هذا الطوق المفروض عليه أرسل بهديّة إلى المنصور هي عبارة عن عصا لرسول الله ﷺ فرح بها المنصور ولان قلبه، وقال: (أمّا الآن فحدّث الناس)، [(١)] ومع ذلك وجد المنصور أنّ الإمام قد يصل به الأمر إلى كسب الناس فاستدعاه وأغلظ له في القول واتهمه بأنّك تجمع الأموال والسلاح وقد رأى الإمام أن المنصور يتفجّر غضباً وهو مصمم على قتله، فقال له:

«يا أمير إن أيّوب ابتلي فصبر، ويوسف أعطي فشكر، وأنت من نسل أولئك» [(٢)] فهدأ المنصور كثيراً وقال: أعد عليَّ القول فأعاد عليه فأطلق سراحه.

بشتّى الوسائل كان المنصور يريد أن يُطفيء نور الله ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[(٣)] والإمام الصادق بطرق عديدة يتخلّص من ذلك إلى أن سمّه المنصور العبّاسي في مثل الخامس والعشرين من شوّال.

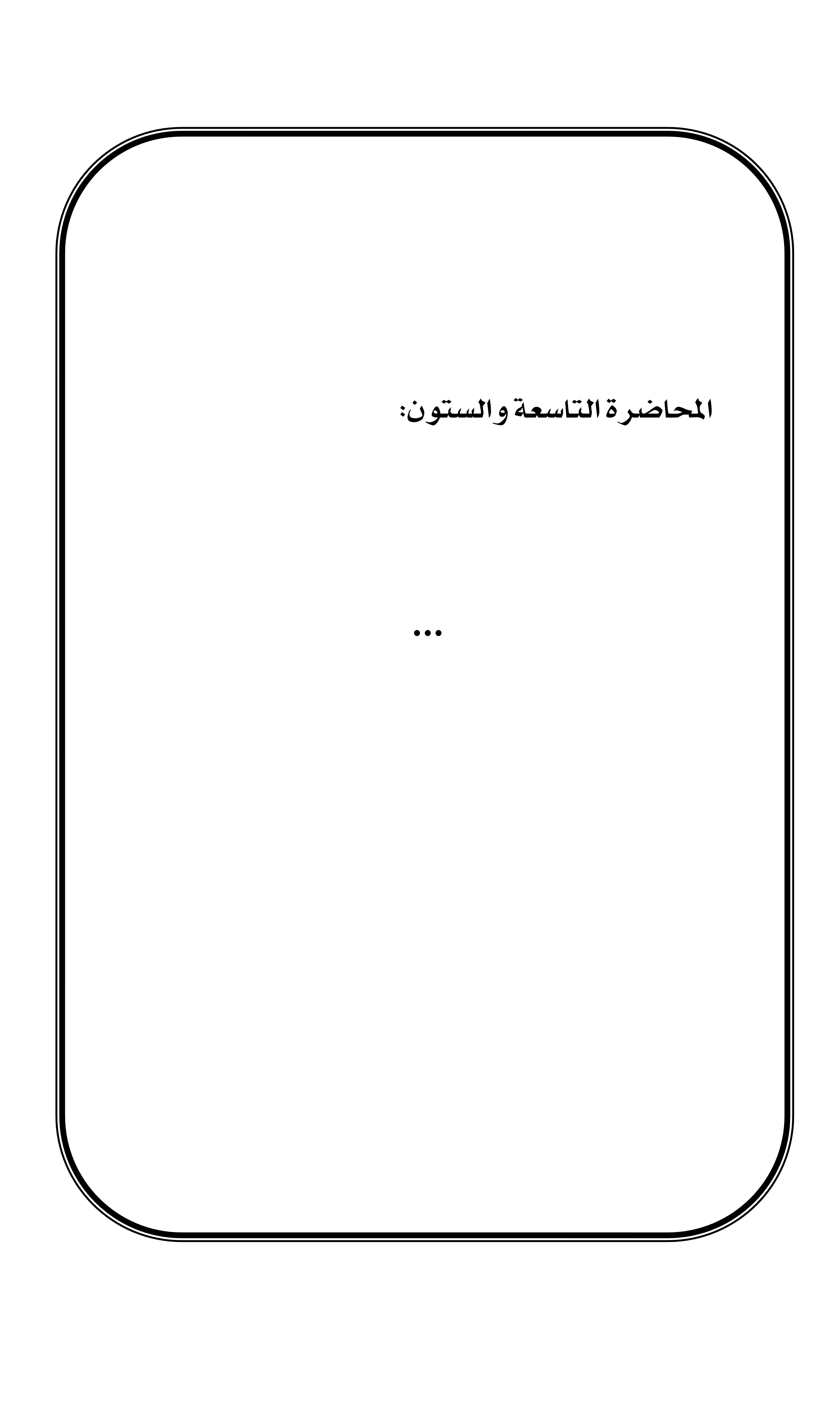
إنا لله وإنا إليه راجعون

* * *

(١)

(٢)

(٣)



المحاضرة التاسعة والستون:

...

بسم الله الرحمن الرحيم

حديثنا الليلة عن هذا المقطع من الزيارة: «حَتَّى يُحْيِيَ اللَّهُ تَعَالَى دِينَهُ بِكُمْ».

لدينا هنا ثلاثة بحوث:

البحث الأوّل: حياة الدين الإسلامي.

البحث الثاني: النبؤآت القرآنية والنبوية بانتصار الدين في آخر الزمان.

البحث الثالث: انتصار الدين في آخر الزمان هل هي للإسلام أم لدين آخر؟

البحث الأوّل: في هذا البحث ماذا تقول ثقافتنا الدينية هل أن الإسلام يموت أم يبقى حياً؟ هل هناك تراجعات ثمّ تصاعد؟ ما هي المسيرة كيف نقرؤها في ثقافتنا؟ أنا أنقل لكم اليوم مجموعة نقاط في ثقافتنا الدينية تجاه حياة الإسلام:

النقطة الأولى: أن الإسلام لا يموت، مرَّت عليه مئات السنين، لكنه ثابت وهذا نقرؤه في أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ يرويها علماء السُنّة ويرويها علماء الشيعة تقول الرواية: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة كلّهم من قريش»[1] وما دام هؤلاء غير

---

(1)

مكتملين إذن هذا الدين مستمر، ونحن الآن في غيبه الإمام الثاني عشر، إذن فالدين سيبقى منيعاً عزيزاً.

هناك رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «إن فينا أهل البيت في كل خَلَف عدولاً ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».[١]

النقطة الثانية: أن هذا الدين سيشهد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خطاً تنازلياً وتراجعياً، لكن بعدئذٍ سيشهد خطاً تصاعدياً، إن هذا الدين لا ينتهي لكن سيصاب بضربات قوية ويتراجع، ولدينا في هذا الصدد روايات كثيرة أيضاً في صحاح السُنّة وفي كتب الشيعة مثل تلك الرواية التي تقول:

«بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً»،[٢] إذن نحن نعتقد أن هناك تراجعاً بدأ من القرون الماضية.

وهكذا عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «كيف بكم إذا تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟».

قيل: يا رسول الله أوَيكون ذلك؟

فقال: «نعم وكيف بكم إذا نهيتم عن المعروف وأمرتم بالمنكر؟».

قيل: يا رسول الله أوَيكون ذلك؟

قال: «بلى فيولى عليكم شراركم، ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم».[٣]

---

(١)

(٢)

(٣)

قراءتنا للمسار التاريخي أن المسار التأريخي بعد الرسول ﷺ شهد تراجعا للدين.

النقطة الثالثة: غلبة مبدأ التوحيد، على طول الخط فإن التوحيد دائماً هو الغالب في الدنيا قبل الآخرة، وهو ما نسميه غلبة الدين التوحيدي.

يقول القرآن الكريم: ﴿إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ﴾[1] الآية تشير إلى قرار إلهي هذا قرار سماوي، إن الذين اتبعوك وهم أبناء الأديان التوحدية والمسلمون أيضاً هم يتبعون السيد المسيح عليه السلام حيث نحن نعتقد أن السيد المسيح عليه السلام نبي من أنبياء الله، ﴿وَجاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ يعني المؤمنين بالله، دائماً وعلى طول الخط البشري هم فوق الكافرين الملحدين، في زماننا هذا كان الاتحاد السوفيتي مبني على أساس الإلحاد والشيوعية، الصين الآن من الناحية الرسمية دولة لا دينية، وهم خُمس العالم من حيث التعداد البشري. لكن الغلبة السياسية لمن؟ ليست للإلحاد والكفر بالله، بل هي لاتجاه الإيمان بالله. سواء كان الإيمان بالله متمثلاً بالكنيسة أو المسجد، الإسلام أو المسيحية، الاتجاه الغالب في العالم اليوم هو الدين الإلهي، اليوم حتّى رؤساء الدول الكبرى أيضاً يتحدّثون باسم السيد المسيح وميلاد السيد المسيح يتحدّثون عن الله، وعن الخالق والرب ومن غير الممكن أن يحكم هذا العالم الإلحاد إلى يوم القيامة.

---

(١) آل عمران: 55.

النقطة الرابعة: الظهور العالمي للدين، فبعد أن يصاب العالم الإسلامي بالتراجع فإن آخر المطاف هو الظهور العالمي للدين.

وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتّى يظهر واحدٌ من ولدي، يواطئ اسمه اسمي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً».[1] نهاية العالم تاريخيّاً تتم بالظهور العالمي للدين، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[2] هذه واضحة في أن الدين الإسلامي سيظهر على كل الأديان والإسلام هو الغالب، وهذه الآية تكررت ثلاث مرات في القرآن الكريم.

جاءت في سورة التوبة وفي سورة الصف وجاءت في سورة الفتح ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ وهذه واضحة في أن القرآن الكريم يتنبأ بعالمية الحكم الإسلامي.

هذه أربع مفردات لفهم المسيرة الدينية.

ولعلَّنا نستطيع وممكن أن نضيف مفردة خامسة وهي أن الأمّة الإسلاميّة بعد رسول الله ﷺ سوف تختلف وتتمزق حيث قال ﷺ: «لتركبنّ سُنن من كان قبلكم حتّى لو دخلوا جُحر ضب لدخلتموه».[3]

وقال ﷺ: «ستفترق أمّتي على نيف وسبعين فرقة كلها في النار إلاّ واحدة»،[4] إن الأمّة الإسلاميّة بعد رسول الله ﷺ سوف تختلف

---

(١)
(٢)
(٣)
(٤)

وتشهد تمزقات ومعارك داخلية وهذه أيضاً نبوءة رسول الله ﷺ.

البحث الثاني: ما هي عقيدتنا في النبوءات القرآنية والنبوية؟ يعني حين يتحدّث القرآن في أكثر من موضع عن تنبوءات لمستقبل البشرية مثلا يقول: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[(١)] حيث كانت هناك معارك بين الروم وبين الفرس، والفرس غلبوا الروم، وبعدئذٍ كما قال القرآن غَلَب الرومُ الفرسَ. وكذلك قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ حيث تنبأ القرآن بأن هذا الدين سيظهر على كل الأديان هذا هو ما نسميه نبوءة قرآنية.

وهناك نبوءات نبوية بمعنى أن رسول الله يتنبأ.

مثلاً تنبأ رسول الله ﷺ وقال: «ستفترق أمّتي على نيف وسبعين فرقة...»، هذه نسمّيها نبوءة نبوية.

ومنها أن رسول الله ﷺ في صلح الحديبية حينما أرادوا أن يكتبوا صلحاً بين رسول الله ﷺ وبين قريش وكان الكاتب عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال له رسول الله ﷺ: «أكتب: هذا ما جرى عليه الصلح بين محمّد رسول الله وفلان وفلان» فقالوا: لو كنّا نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك.

فقال رسول الله ﷺ: «يا عليّ امحها واكتب من محمّد بن عبد الله»، فقال عليه السلام: كيف أمحها يا رسول الله؟ قال ﷺ: «يا عليّ امحها، وستكتب مثلها وأنت راغم»[(٢)] وكان رسول الله قد تنبأ بمعركة صفين

---

(١)

(٢)

حينما كتبوا: «هذا ما جرى عليه الصلح بين عليّ أمير المؤمنين...» فقالوا: لو كنّا نعلم أنك أمير المؤمنين ما خرجنا عليك، بل أكتب: هذا ما جرى عليه الصلح بين عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان.[١]

وكذلك رسول الله صلى الله عليه وآله عندما دنت منه الوفاة وأقبلت إليه الزهراء عليها السلام فهمس في أذنها فبكت، ثمّ همس في أذنها فضحكت، قالوا: يا فاطمة ما أعجب ما رأينا، تبكين مرة وتضحكين مرة، فقالت عليها السلام: «أسرني وقال: أنت أوّل أهل بيتي لحوقاً بي فضحكت»،[٢] هذه نبوءة نبوية، مثال رابع: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سيكثر عليَّ الكذابة ألا ومن كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار».[٣]

السؤال: ما هي عقيدتنا في النبوءات القرآنية والنبوية؟

الجواب: نحن نعتقد أن النبوءات القرآنية صادقة، والنبوءات النبوية صادقة يقينية لا تتخلف، وأنها من عند الله تبارك وتعالى.

رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن منجماً ولكن كان له ارتباط بعالم الغيب ﴿وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى﴾[٤] وليس هي كتنبوءات مستراداموس وله كتاب مطبوع في ذلك حيث كتب تنبوءاته عن انتصار الإسلام في الشرق وغير ذلك. لكن هذا الرجل لا يمكن الثقة بنبوءته. أمّا رسول الله صلى الله عليه وآله فقد كشف عنه الغيب. فعقيدتنا في التنبوءات القرآنية والتنبوءات النبوية أنها صادقة لا تختلف.

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

البحث الثالث: لقد أخبر رسول الله أن الدين سيعود (الظهور العالمي للدين) لكن نحن نطرح السؤال:

هل الدين الذي سينتصر في نهاية مسيرة البشرية هو الدين الإسلامي أم هو دين جديد؟

قد يقول بعض أن صاحب الزمان يأتي بدين جديد، حسب مفاد الروايات، وإذا كان ديناً جديداً فهو إذن غير الإسلام، لكن هناك روايات أخرى تؤكد أن صاحب العصر والزمان سيأتي بنفس دين الإسلام لا غيره. لكنه يبدو جديداً على الناس لأن الناس ابتعدوا عنه.

لدينا هنا مجموعة روايات:

الرواية الأولى: سَئلتُ أبا جعفر ـ يعني الإمام الباقر عليه السلام ـ قلت: إذا قام القائم بأيّ سيرة يسير؟

فقال عليه السلام: «يسير بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يُظهر الإسلام»،[1] إذن الإسلام سينتصر في آخر المطاف.

الرواية الثانية: عن الإمام الباقر عليه السلام: «إن قائمنا إذا قام دعا الناس إلى أمر جديد كما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن الإسلام بدأ غريباً ويعود غريباً».[2]

الرواية الثالثة: عن الإمام الصادق عليه السلام وقد سُئل عن سيرة المهدي، قال: «يصنع ما صنع رسول الله، يهدم ما كان قبله كما هدم

---

(١)

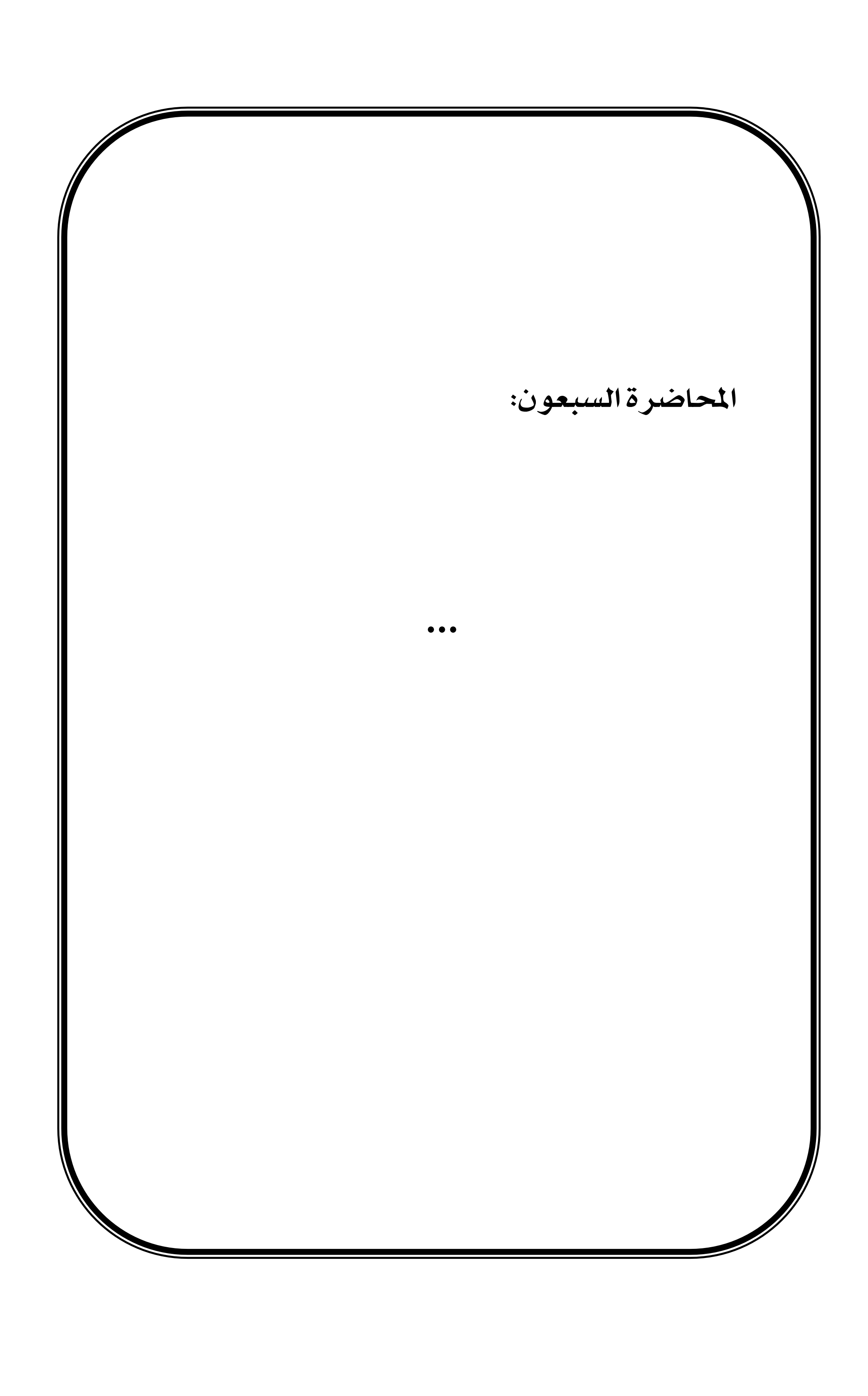
(٢)

رسول الله أمر الجاهلية، ويستأنف الإسلام جديداً».[١]

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١)



المحاضرة السبعون:

...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث هذا اليوم عن قوله: «وَيُظْهِرَكُمْ لِعَدْلِهِ» والمعنى اللفظي أن الله تبارك وتعالى في ختام المسيرة البشرية يظهر حاكمية أهل البيت عليهم السلام، ويمكّنهم في الأرض، بما يعني أن هناك ظهوراً لعدالة الإسلام وهناك عودة للإسلام وحاكميّة الإسلام.

«وَيُظْهِرَكُمْ لِعَدْلِهِ»:

لاحظوا النُظُم الاجتماعية في العالم تجدون أن كل نظام له هدف أسمى، ونستطيع أن نقول أن لدينا ثلاث نظم في العالم، (نظام ليبرالي) و(نظام اشتراكي) و(نظام إسلامي) وكل واحد من هذه النُظُم الثلاثة له هدف أسمى وله شعار، هذا الهدف الأسمى جعله شعاره.

مثلاً ما هو شعار النظام الليبرالي وهدفه الأسمى؟ الحرية هي الهدف الأسمى للنظام الليبرالي، حرية الأفكار وحرية الأديان بشكل مطلق، اليوم النظام الليبرالي في العالم، يطرح شعار الحرية وليس الرفاه، والغنى وما شاكل، هذا هو شعار النظام الليبرالي. في الولايات المتحدة اليوم يوجد تمثال (الحرية) وليس تمثال المساواة ولا تمثال الغنى ولا تمثال الطبقة العمالية وإنما تمثال الحرية، يعني أن الشعار والهدف المقدس الأسمى للنظام الليبرالي هو الحرية.

لدينا نظام ثان في العالم وما يزال هذا النظام له رواده وهو النظام

الاشتراكي، وهذا النظام هدفه الأسمى ما هو؟ النظم الاشتراكية في العالم تطرح هدفاً أسمى وتعتبره شعاراً لها، ما هو الهدف الأسمى؟ الجواب: هو المساواة، تقول: إن الهدف الأسمى عندي أن الناس يعيشون سواسية ولا يوجد فقير وغني، المهم أن يعيشوا في طبقة واحدة من حيث الرفاه الاقتصادي، هذا هو الهدف المقدس للاشتراكية، هذا هو هدف النُظُم الاشتراكية في العالم بحسب ما تطرحه النظرية ولا أتحدّث عن التطبيقات.

أين موقع الإسلام من هذه النظريات وهذه النُظُم؟

ما هو الهدف الأسمى؟

قد تقولون هذا كلام جديد، لكن اليوم حينما نقرأ الإسلام قراءة جديدة معاصرة قياساً للمدارس الأخرى يجب أن نستكشف النظرية.

أصول الدين هي التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد، لكن فروع الدين هي الصلاة، والصوم، الخمس وغيرها، لكن إن سأل أحدكم، ما هو الهدف الأسمى للشريعة الإسلاميّة وما هو شعار النظام الاجتماعي في الإسلام؟ لو قالوا لكم: جسّدوا لنا هدفكم الأسمى بتمثال فأيّ تمثال تضعوه؟ تمثال الحرية أم تمثال المساواة؟ شعار (يا عمّال العالم اتحدوا)، والمنجل والمعول، ما هو التمثال الذي أنتم تضعوه؟

هنا يأتي الإسلام يقول: الهدف الأسمى عندي في المجتمع الإنساني هو العدالة، فهي الإطار الذي يجب أن تتحرك الحرية في داخله، ويجب أن تتحرك المساواة في داخله، الإسلام يقول: أنا أؤمن بالحرية، لكن داخل إطار العدالة وكذلك المساواة نستطيع أن نقول: إن

الهدف الأسمى للإسلام أو للنظام الاجتماعي في الإسلام هو العدالة، ولهذا تجدون القرآن الكريم حينما يتحدّث عن القانون الإسلامي والنظام الإسلامي دائماً يتحدّث عن العدالة يقول: ﴿وَإِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاس أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْل ﴾،[1] ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾[2] والقسط يعني العدالة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسانِ ﴾[3] ولهذا فإن أحد أصول الدين المهمة التي يركّز عليها شيعة أهل البيت عليهم السلام هو (العدل) كأصل من أصول الدين، يعني أن لدينا توحيد، لكن توحيد بلا عدالة غير مقبول، لدينا نبوة لكن نبوة بغير عدالة غير مقبولة، المعاد كذلك، ولهذا فإن شيعة أهل البيت عليهم السلام أضافوا أصلاً من أصول الدين واعتبروه صفة من صفات الله، وهي (العدل) القرآن الكريم حينما يتحدّث عن الأنبياء يقول أن دعوة كانت نحو إقامة العدالة.

الإسلام هدفه الأسمى هو العدالة، والحرية والمساواة أيضاً أهداف مقدّسة ولطالما أكّد الإسلام على حرية الناس وأن الناس سواسية كأسنان المشط، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ ﴾[4] الحرية هدف إسلامي كبير، ولهذا فإن الأنبياء قد جاءوا ليس فقط لتغيير عقائد الناس وإنما جاءوا لتغيير النُظُم ولتحرير الناس والإسلام جاء لكي يحرر الناس من العبودية، الناس كانوا عبيداً للأغنياء وأهل السلطة، والإسلام هو الذي جعل صهيب الرومي وبلال الحبشي وسلمان الفارسي

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

وأعطى الطبقة الضعيفة الحرية، حررهم من عبودية طبقة النبلاء، ولهذا دائماً كانت الطبقة المتسلطة تشكو من حركة الأنبياء ﴿وَما نَراكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا﴾.[1]

جاء الإسلام قال: لا، هؤلاء ليسوا أراذل، بل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ﴾.[2]

الحرية هدف عظيم، المساواة أيضاً كذلك ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾[3] لكن الإطار الذي تتحرك فيه الحرية والمساواة هو العدالة، هناك سياج يحيط بالحرية والمساواة يسميه الإسلام العدالة.

مثلاً قصة سمرة ابن جندب هذا رجل معاند أناني انتهازي في زمن النبي صلى الله عليه وآله وبقي معانداً لأهل البيت عليهم السلام بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام وحينما جعل معاوية زياد بن أبيه والياً على العراق، والعراق كان نصفين: البصرة والكوفة، وكان يُسمى العراقين، زياد بن أبيه عيَّن سمرة والياً على البصرة بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام، وكانت مهمته قمع الشيعة، فقتل في البصرة بحسب رواية الطبري ثمانية آلاف شخصاً من شيعة عليّ عليه السلام واستدعاه زياد بن أبيه _ الذي قتل ثلاثين ألف من الشيعة في الكوفة _ فقال له: أما خشيت أن يكون فيهم بريء.

فقال: لو قتلت مثلهم لما خشيت الله أن يكون واحد منهم بريء![4]

ثمّ يقول سمرة: لو أطعت الله مثلما أطعت معاوية لما دخلت

---

(١)
(٢)
(٣)
(٤)

النار.[١]

سمرة هذا دعاه باعتباره شخصية إسلاميّة وقال له: أعطيك مئة ألف درهم على أن تضع لي رواية في التأريخ، فقال: ما هي هذه الرواية؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ ﴾[٢] وأنت صاحب النبي قل إن هذه الآية نزلت في عليّ!!

والآية التي بعدها ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ ﴾[٣] قل إن هذه الآية نزلت في ابن ملجم، فرفض سمرة بن جندب ذلك، لكن رفضه لم يكن خوفاً من الله بل يريد مالاً أكثر.

فقال معاوية: أعطيك مائتي ألف فرفض.

فقال: أعطيك ثلاثمائة ألف درهم فقبل.[٤]

فروى أن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ ﴾ نزلت في عليّ، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ ﴾ نزلت في ابن ملجم.

ما هي كيفية دخول سمرة إلى الإسلام؟ لقد دخل الإسلام دخولاً انتهازياً عند مشكلة بسيطة وهي أن أنصارياً كان لديه بستان، وفي مدخل البستان كان بيته وعائلته، وكان لسمرة بن جندب نخلة في هذا البستان

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

وهو يزورها يومياً وكان جدار البستان قصيراً فطلب صاحب البيت من سمرة الاستئذان عند ورود البستان فلم يقبل ووصلت القضية إلى النبي ﷺ وشرح الرجل الأمر إلى النبي، فدعا رسول الله سمرة وقال: «ما الأمر؟»، قال سمرة: نخلتي يا رسول الله.

قال: «استأذن».

قال: لا استأذن.

قال ﷺ: «أعطيك نخلة أحسن من هذه» فرفض.

قال ﷺ: «أعطيك عشراً» فرفض.

قال: «أعطيك أربعين نخلة في بستان آخر»، فرفض وبدأ رسول الله يضاعف له العطاء وسمرة يرفض لخبث سريرته.

فقال ﷺ: «يا سمرة أنا أعطيك نخلة في الجنّة تظلك».

قال: لا أقبل.

فقال ﷺ: «اذهبوا إلى النخلة فاقلعوها وارموا بها وجهه فإنه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»، [(١)] وبهذا فقد أسس رسول الله ﷺ قاعدة شرعية عامة فكل قضية نواجه بها حالة ضرر على الناس نقول: هذا حرام حتّى لو لم تكن هناك آية أو رواية، مبدأ الإسلام لا يقبل الضرر على الناس وهذا هو معنى أن العدالة هي الأصل الأوّل في أهداف الإسلام. فالحرية يجب أن تكون في إطار العدالة، وهكذا المساواة.

الإسلام أعطى الحرية التجارية والحرية الصناعية لكن في ضمن إطار العدالة، أما إذا أردت استيراد المنتوجات على حساب الانتاج

---

(١)

الوطني فإن النظرية الإسلاميّة تقول: إن من حق الدولة أن تمنع ذلك وتضع عليه ضرائب كبيرة.

الإسلام ليس اشتراكياً وهو يدعو إلى المساواة لكن في إطار العدالة، الإسلام أيضاً يريد المساواة وهي هدف كبير من أهدافه فمن حق المؤمن على المؤمن أن لا يبيت شبعاناً وجاره جائع ولكن الإسلام يريد أن يحقق هذه المساواة من خلال العدالة لا من خلال الغصب والقوة.

«وَيُظْهِرَكُمْ لِعَدْلِهِ» لنعرف أن العدالة المطلقة في الدنيا مستحيلة لأن الدينا مبنية على مريض ومعافى، وفقير وغني، كسول وذكي، الدنيا قائمة على التفاوت، الدار الآخرة هي دار العدالة المطلقة، في الدنيا يعمل الأنبياء على أن يحفظوا القسط الأكبر والأوفى من العدالة لأن الدنيا تبقى إلى الأخير فيها ظالم ومظلوم، حتّى وإن حكم المعصوم، فلا يكون هناك عدالة مطلقة.

الرواية تقول: «إن الله يقتص للشاة الجماء من الشاء القرناء يوم القيامة»[1] يعني في يوم القيامة وحدها تتحقق العدالة المطلقة.

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١)

المحاضرة الحادية والسبعون:

نظرية الرجعة

«وَيَكِرُّ فِي رَجْعَتِكُمْ».

بسم الله الرحمن الرحيم

حديثنا الليلة عن هذا المقطع من الزيارة وهو قوله: « وَيَكِرُّ فِي رَجْعَتِكُمْ » الذي يتحدّث عن مفهوم جديد من المفاهيم التي اعتبرت من اختصاصات الشيعة.

لاحظوا أن هناك مفاهيم ومعتقدات مشتركة بين الشيعة وأبناء السُنّة مثل (التوحيد، النبوة، المعاد) وهناك مفاهيم من معتقدات الشيعة خاصة من جملتها (الغيبة والظهور) غيبة إمامنا صاحب العصر والزمان عليه السلام ثمّ ظهوره، فهو من المعتقدات التي اختصّ بها الشيعة، أما باقي المسلمين فهم يعتقدون بأن هناك دولة إسلاميّة عالميّة ستكون آخر العصر على يد المهدي وهو من آل محمّد صلى الله عليه وآله هذا المفهوم يعتقد به أبناء السُنّة لكن هناك فرق بيننا وبينهم، نحن نعتقد أن المهدي عليه السلام هو حيٌّ مولود وهو ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام وهو غائب عن الأنظار وهو الذي سيؤسّس تلك الدولة الإسلاميّة العالميّة، هذا هو مفهوم الغيبة ثمّ الظهور.

ومن جملة المفاهيم التي اعتبرت من اختصاصات الشيعة هو مفهوم (الرجعة).

الحديث هذه الليلة عن مفهوم الرجعة، ماذا تعني؟ وما هي فلسفتها؟ وما هو دليلها؟ وهل نعتقد بها أو لا نعتقد بها؟

هذا المقطع من الزيارة الجامعة الكبيرة يقول: « وَيَكِرُّ فِي رَجْعَتِكُمْ » بما يعني أسأل الله تعالى أن يجعلني ممّن يعود إذا عدتم « وَيُمَلَّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ وَيُشَرَّفُ فِي عَافِيَتِكُمْ وَيُمَكَّنُ فِي أَيَّامِكُمْ وَتَقَرُّ عَيْنُهُ غَدا بِرُؤْيَتِكُمْ » هذا المقطع يتحدّث عن مفهوم الرجعة ومثل هذا النص لدينا نصوص كثيرة في الروايات والأدعيّة والزيارات تتحدّث عن مفهوم الرجعة.

أذكر لكم على سبيل المثال ما جاء في زيارة الإمام الحسين عليه السلام حيث نقرأ: «وَأَشْهَدُ أَنّي بِكُمْ مُؤْمِنٌ وَبِإِيَابِكُمْ»[١] بإيابكم أي بعودتكم.

ومثلاً نقرأ في دعاء شهر رجب المروي عن الحسين بن روح وهو من نوّاب صاحب الزمان عليه السلام وهو من الأدعيّة المهمّة والعظيمة: « حَتَّى الْعَوْدِ إِلَى حَضْرَتِكُمْ وَالْفَوْزِ فِي كَرَّتِكُمْ »[٢] أي حينما تعودون أعود وأفوز في تلك العودة.

وهكذا نقرأ في زيارة الإمام المنتظر عليه السلام: «فإن توفيتني اللهمّ قبل ظهوره فاجعلني يا ربي ممّن يكرّ في رجعته ويملّك في دولته ويمتّع في أيامه ويستظل تحت أعلامه».[٣]

وهكذا نقرأ في دعاء العهد الذي يستحب قراءته في كل صباح: «اللَّهُمَّ إِنْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْمَوْتُ الَّذِي جَعَلْتَهُ عَلَى عِبَادِكَ حَتْما مَقْضِيّا فَأَخْرِجْنِي مِنْ قَبْرِي مُؤْتَزِرا كَفَنِي شَاهِرا سَيْفِي مُجَرِّدا قَنَاتِي مُلَبِّيا دَعْوَةَ

---

(١)

(٢)

(٣)

الدَّاعِي فِي الْحَاضِرِ وَالْبَادِي اللَّهُمَّ أرِنِي الطَّلْعَةَ الرَّشِيدَةَ وَالْغُرَّةَ الْحَمِيدَةَ »،[١] عن الإمام الصادق عليه السلام: «من دعا الله أربعين يوماً صباحاً بدعاء العهد كان من أنصار قائمنا فإن مات قبله أخرجه الله تعالى من قبره وأعطاه بكل كلمة حسنة ومحا ألف سيئة».[٢]

فنحن أمام مجموعة من النصوص تؤكّد مفهوم الرجعة وأوصلها العلاّمة الطباطبائي في تفسير الميزان إلى أكثر من خمسمائة نص تتحدّث عن الرجعة، ولهذا فإن علماءنا (مثل العلاّمة المجلسي والعلاّمة الطباطبائي) يقولون: إن الدليل على هذا المفهوم هو النصوص المتواترة اليقينيّة التي لا نستطيع تكذيبها. علماء آخرون مثل العلاّمة الحلّي يقول: إن هذه المسألة لا أعتمد فيها بشكل كامل على النصوص وإنما أعتمد فيها على إجماع الشيعة؟ فهي قضية إجماعية. علماً أن هناك طائفة أخرى من علمائنا تقول: إن هذه المسألة قابلة للبحث والاجتهاد، فمن توصَّل إلى ثبوتها آمن بها، ومن لم تثبت عنده فيمكنه أن يتوقف فيها.

هناك العديد من الآيات القرآنيّة يمكن أن تؤوّل وتحمل على مفهوم الرجعة ويمكن أن تحمل على مفهوم آخر. علماؤنا ذكروا عدّة آيات جاء في تفسيرها عن أئمّتنا عليهم السلام أن المقصود من هذه الآيات هو الرجعة، سوف أسرد لكم بعض هذه الآيات سرداً سريعاً.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾،[٣] يوم القيامة كل الناس يحشرون لكن هذه الآية تقول: إن هناك عمليّة انتقاء

---

(١)

(٢)

(٣) الآية (82) من سورة النمل.

خاص، وحشرٌ قبل عالم الحشر ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾ أي ننتخب مجموعة ونحشرهم، فأين مكان وزمان هذا الحشر؟ بعض الروايات تفسّر هذه الآية بأنها تشير إلى عالم الرجعة.

آية أخرى تقول: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ﴾(1) هناك عذاب أكبر يوم القيامة وهناك عذاب أدنى، القرآن الكريم يقول: إن هؤلاء الظلمة سنذيقهم عذاباً أدنى دون العذاب الأكبر فأين يكون مكان وزمان هذا العذاب الأدنى؟ بعض الروايات تقول: إن هذه الآية تتحدّث عن عالم الرجعة. هؤلاء يعذبون في عالم الرجعة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ﴾(2) قد يقول قائل: أين النصر للأنبياء؟ فالأنبياء لم يشهدوا نصراً في الحياة الدنيا باستثناء داود وسليمان عليهما السلام، تفسير ذلك على ما تقوله بعض الروايات هو عالم الرجعة حيث أنهم سينتصرون بعد عودتهم إلى عالم الدنيا، لكن جميع هذه الآيات كما نلاحظ ليست صريحة في الإشارة إلى عالم الرجعة، وهي تحتمل أكثر من تفسير فنحن إذن لا نستطيع أن نتعبر هذه الآيات دليلاً نحتجّ بها على النظرية أمّا ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير هذه الآيات فهي روايات يرى بعض الفقهاء أنها غير كافية في الدلالة على نظرية الرجعة.

وعلى كل حال فإن موضوع الرجعة يدخل تحت موضوع مستقبل الجنس البشري.

---

(1)

(2)

ما هو مستقبل البشريّة في النظريّة الدينيّة؟

الفكر الديني يذكر ثلاث حقائق حول مستقبل البشريّة:

الحقيقة الأولى: قيام الحكومة الإسلاميّة العالميّة.

الحقيقة الثانية: حدوث التحولات الكبرى في الطبيعة.

الحقيقة الثالثة: رجعة مجموعة من الناس إلى عالم الدنيا بعد موتهم.

هذه الحقائق بعضها ثابتة يقيناً، وبعضها الآخر قابل للبحث والإجتهاد.

الحقيقة الأولى: أن مفهوم ظهور صاحب الزمان عليه السلام وتشكيل الحكومة الإسلاميّة العالميّة العادلة هو مفهوم ثابت عندنا، أنه في آخر البشرية سوف تقوم حكومة إسلاميّة تملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، هذا المفهوم يتفق عليه الشيعة والسُنّة.

أهل الكتاب يعتقدون أيضاً أنه في آخر عصور البشريّة سيظهر عيسى المسيح عليه السلام ويقيم حكومة عادلة. إذن لاحظوا أن هذه الفكرة، فكرة الحكومة العالميّة التي تسود العالم عدالةً هي فكرة تتقارب فيها البشريّة، لكن الإسلام يؤمن بها كحقيقة يتحدّث بها الغيب أنها قائمة لا محالة ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾[1] وفي آية أخرى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[2] فهذه النظرية تتحدّث عن إرادة إلهيّة حاسمة أن الله تعالى يريد ظهور هذا الدين على كل الأديان والحضارات، طبعاً هذا المعنى جاء

---

(١)

(٢)

في ثلاث آيات:

1 _ ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾،[1] كما في سورة التوبة.

2 _ ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾،[2] كما في سورة الفتح.

3 _ ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾،[3] كما في سورة الصف.

هذه هي الحقيقة الأولى وهي قيام الحكومة الإسلاميّة العالميّة في مستقبل البشريّة ونسمّيها حكومة العدل العالميّة.

نحن نعتقد أن هذه الحكومة العادلة لا تنطلق من الإتحاد السوفيتي السابق ولا من واشنطن وإنما تنطلق من مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة والنجف وكربلاء هكذا في رواياتنا.

الحقيقة الثانية: تحولات في عالم الطبيعة، الفكر الإسلامي قبل (1400) عام يؤكّد هذا المفهوم، إن هذه الطبيعة التي نعيشها ستشهد تحولاً لا يمكن لكم أن تصدّقوا هذا التحوّل، لكن الدين من قبل قرون يقول: إن الطبيعة سوف تشهد تحولاً، وقد أصبحنا الآن نشهد نماذج من هذا التحوّل، لدينا في بعض الروايات أن الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام إذا ظهر يكلّم الناس فيسمعه كلّ الناس في وقت واحد،[4] هذا المفهوم قبل ألف سنة كيف يصدّق به، حيث كيف يكون لشخص أن يتحدّث في مكّة ويسمعه ما وراء البحار والمحيطات، لكن الآن هذا المفهوم أصبح حقيقة نعايشها عبر التلفزيون والفضائيات.

---

(١)

(٢) الفتح: 28.

(٣)

(٤)

في رواياتنا أن الإمام صاحب العصر والزمان عَلَيْهِ السَّلَامُ حين يبعث وكيلاً عنه إلى الغرب أو الشرق يقول له: «حجّتك معك فإذا شككت أنظر كفّك»، [(١)] فهذا الشيء من كان يصدّق به؟ لكنه الآن أصبح حقيقة عبر الهواتف الجوالة، والتلفزيونات المرئيّة واللاسلكيّة أيضاً. والروايات التي عندنا كانت أقرب إلى اللامعقول، لكنها اليوم أصبحت معقولة ومعاشة معنا.

أقرأ لكم بعض الإشارات لهذه التحولات التي ستحدث.

الرواية عن الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه في مستقبل البشرية حينما تقوم حكومة إسلاميّة عالميّة يقول: «لأنزلت السماء قطرها ولأخرجت الأرض نباتها ولذهبت الشحناء من قلوب البشر واصطلحت السباع والبهائم» أي إن هناك صلحٌ عالمي وثراء عالمي «حتّى تمشي المرأة بين العراق والشام لا تضع قدميها إلاّ على نبات».[(٢)]

أحاديثنا تقول: في آخر البشريّة هناك صلح طبيعي بين الكائنات حيث لا يوجد عدوان، ويلعب الصبيان بالحيّات والعقارب حيث لا يضرّهم شيء ويذهب الشر ويبقى الخير عينه حيث يصبح عالم الكمال والجمال.

الرواية عن الإمام السجّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «من أدرك قائم آل بيتي من عاهة برء ومن ذي ضعف قوي».[(٣)]

---

(١)

(٢)

(٣)

هذه هي التحولات التي ستحدث في المستقبل البشري.

عن الإمام السجاد عليه السلام: «إذا قام قائمنا أذهب الله عز وجل عن شيعتنا العاهة وجعل قلوبهم كزبر الحديد».(١)

الحقيقة الثالثة: هي حقيقة الرجعة، الرجعة هي رجوع الأنبياء إلى عالم الدنيا ورجوع الأئمّة عليهم السلام إلى عالم الدنيا والمؤمنون كذلك.

هل هي رجعة مطلقة للجميع أم هي مخصوصة؟

الرواية تقول أنها ليست رجعة لكل البشر، وإنما الأنبياء والأئمّة والمؤمنون المخلصون في إيمانهم وكذلك لا يعود المعاندون في كفرهم، وهناك ينتقم الله من الكافرين للمؤمنين، هذا هو مفهوم حقيقة الرجعة.

هناك ثلاثة أبحاث في حقيقة الرجعة:

البحث الأوّل: في الإمكانيّة العلميّة والعقليّة والشرعيّة لهذه الحقيقة أي إن هذه الحقيقة عقلياً وشرعياً هل هي ممكنة أم غير ممكنة؟

البحث الثاني: في أدلّة هذا المفهوم.

البحث الثالث: ما هي فلسفة الرجعة؟

الإمكان العقلي للرجعة:

هذه القضيّة لا توجد فيها مشكلة، فالعلم اليوم يبحث عن عمليّة إعادة الحياة، العلم مشغول بأخطر وأعظم مسألة وهي محاولة اكتشاف سر الحياة، فهو يعرف أن هذه النبتة حينما توضع في التراب وتسقى

---

(١)

بالماء تنطلق منها الحياة، وأن هذا الجنين في الشهر الأوّل والثاني والثالث في بطن الأُمّ عديم الحياة وفي الشهر الرابع تتدفق فيه الحياة هناك عمليات تجميد الإنسان تقوم بها شركات ضخمة في أوربا يتعامل معها الأثرياء ولم تثبت نجاحها لحد الآن، فهذا الإنسان الذي توفى الآن يأخذوه ويجمدوه بدرجة حرارة تحت الصفر ويتعاقدون أنه بعد مئة سنة يرجعون له درجة الحرارة الطبيعيّة بأمل أنه تعود الحياة له، الآن يوجد مئة شخص في أوربا جمّدوا أنفسهم، طبعاً هذه مجرد محاولة سوف لن تشهد نجاحاً، لكن الفكرة التي نريد تأكيدها هي أنه لا مشكلة اليوم في أصل الفرضيّة.

قبل أيام كنت أقرأ في بعض الصحف أن جثمان لينين مؤسس الإتحاد السوفيتي والذي مضى على وفاته (80) سنة (1924م) ومنذ أن توفّى حنّطوه ولحدّ الآن جثته موجودة في ثلاجة وتزورها الناس ليروا هذا الذي أسّس الاتحاد السوفيتي، وكل أسبوعين يقومون بعمليّة إعادة تنشيط للمواد التحنيطيّة ثمّ كل يومين تذهب لجنة وتشرف على هذا البدن، بينما في مصر وفي مرّة من المرّات صوروا وجه فرعون توت عنخ آمون وعمره أربعة آلاف سنة وما يزال جسماً محنّطاً.

ما هي المشكلة العقليّة والعلميّة إذا اكتشف الإنسان سر الحياة أن تعود الحياة لهذه الأجسام المحنطة؟ أنا لا أتحدّث عن فكر الديني لكن أتحدّث علمياً حيث لا توجد مشكلة في ذلك سواء على أساس التطوّر العلمي أو على أساس التصرّف غيبي، الفكر الديني يؤمن بإمكانية إعادة الحياة، عيسى عليه السلام كان يبرأ الأكمه والأبرص ليس بتصرّف علمي وإنما

بإذن الله ويحيي الموتى بإذن الله تعالى، ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي ﴾.(١) هذه حقيقة قرآنيّة لا يمكن لمسلم أن يكذبها، الله تعالى قادر على أن يحيي الموتى، القرآن الكريم يحدّثنا عن عدّة نماذج لإعادة الحياة جرت في البشريّة، ونحن نقرؤها في القرآن ولا نستغرب منها كثيراً بل ننظر إليها كمسلَّمات طبيعيّة. يتحدّث القرآن عن قرية من قرى بني إسرائيل قد أماتهم الله جميعاً ثمّ أحياهم. (٢) إذن هذه القضيّة في الفكر الديني تكررت في أكثر من مشهد وحالة ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ...﴾.(٣)

وفي آية أخرى من سورة البقرة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْياهُمْ ﴾.(٤) الرواية تقول: إن هؤلاء لمّا ماتوا بعث الله نبياً اسمه حزقيل مرَّ على هذه القرية فتعجّب من هذه العظام البالية ولاحظ أن هؤلاء ماتوا مرّة واحدة. فدعا الله تبارك وتعالى أن يحييهم حتّى يكلمهم فأحياهم الله.(٥)

ومعنى كل هذه القصص التاريخية الواقعية أن عودة الحياة بعد الموت وبطريق إعجازي ومن خلال الإرادة الإلهية هو أمر ممكن ووارد في القرآن الكريم.

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

مفهوم الرجعة يتحدّث عن عودة الأنبياء عليهم السلام، ونحن نعتقد أن الأنبياء عليهم السلام عادوا من السماء في ليلة المعراج إلى المسجد الأقصى وصلّوا جميعاً خلف رسول الله صلى الله عليه وآله، هذه رجعة، فنحن نؤمن بهذه المفاهيم، عيسى عليه السلام هو حيّ عند الله تبارك وتعالى ﴿وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾،[1] ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[2] وسيرجع، النصارى يقولون: إن حكومة العدل ستكون على يده، ونحن نقول أنه سيصلّي خلف إمامنا ويشترك مع إمامنا في تأسيس حكومة العدل الإلهي، إذن هناك نظائر تحققت في التاريخ تقرّبنا من فكرة الرجعة، هذا هو البحث الأوّل إذن لا مشكلة أن يقول قائل: إن عيسى عليه السلام سيرجع، أو أن رسول الله صلى الله عليه وآله سيرجع، أو أن الحسين عليه السلام سيرجع، ولهذا فإن رواياتنا تقول: إن أوّل من سيرجع مع صاحب العصر عليه السلام هو الإمام الحسين وسيعيش أربعين عاماً.[3]

البحث الثاني: فلسفة الرجعة، لماذا يعود الحسين والنبي؟ لماذا يعود مجموعة من الصالحين ومجموعة من الفاسقين.

الروايات تذكر في فلسفة الرجعة تحليلين:

التحليل الأوّل: استكمال استحقاقات العمر الدنيوي، فإن الله سبحانه وتعالى جعل للإنسان عمراً دنيوياً، والدنيا مزرعة الآخرة.

وهؤلاء الذين قتلوا قبل أن يستكملوا عمرهم الطبيعي. يرجعهم الله

---

(١)

(٢)

(٣)

تعالى إلى الدنيا حتّى يستكملوا عمرهم الطبيعي، ولهذا تقول الرواية: «ما من مؤمن قُتِل إلاّ ويرجع حتّى يستكمل عمره».[١]

التحليل الثاني: كما تشير بعض الروايات إلى استكمال النعمة الإلهية على المؤمنين بنيل درجة الشهادة.

الإمام الباقر عليه السلام يقول: «من قتل من المؤمنين ردّ حتّى يموت ومن مات ردّ حتّى يقتل».[٢] أيضاً الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «ليس من مؤمن إلاّ وله قتلة وموته، أنه من قتل نشر حتّى يموت، ومن مات نشر حتّى يقتل»[٣] استكمال العمر ورزق درجة الشهادة.

الدليل على الرجعة:

أما الدليل على الرجعة فالعلماء أوصلوها إلى خمسين رواية وبعضهم اعتبر أن المسألة إجماعيّة، وبعض العلماء اعتبر أن المسألة قابلة للاجتهاد.

لدينا في الحقيقة رجعتان: رجعة بالمعنى العام ورجعة بالمعنى الخاص.

الرجعة بالمعنى العام: يعني عودة الإسلام والقرآن وشريعة الرسول محمّد صلى الله عليه وآله وحاكميّة الدين الإسلامي. الرجعة بالمعنى العام هي بديهة من البديهيات وكثير من الروايات الواردة في الرجعة يمكن أن نحملها على هذا المعنى.

---

(١)

(٢)

(٣)

الرجعة بالمعنى الخاص: وهي تعني عودة الأشخاص أنفسهم، الأنبياء ﷺ، الرسول ﷺ، الأئمّة ﷺ، الإمام الحسين ﷺ يرجع، ونفس رسول الله ﷺ يرجع، وهناك عشرات الروايات بهذا الاتجاه كما يشهد له الدعاء المعروف: « فَأَخْرِجْنِي مِنْ قَبْرِي مُؤْتَزِرا كَفَنِي شَاهِرا سَيْفِي مُجَرِّدا قَنَاتِي »[1] حيث يطلب الداعي في هذا الدعاء أن يعود شخصياً مع صاحب الزمان ﷺ، فهذه رجعة بالمعنى الخاص، وهو مفهوم ثابت لدى الاتجاه السائد عند علماء الشيعة، وربما يناقش به بعضهم، طبعاً هناك مقاربة فكريّة تقرّب الفكرة جداً، القرآن الكريم يقول: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾[2] فإذا كان هؤلاء الذين قتلوا أحياء فإن أرواحهم ما تزال موجودة، وحينئذٍ من القريب جداً للذهن أن تتجسد هذه الروح مرّة أخرى بلحم وشحم آخر، وليس بالضرورة أن يظهر بالجسد الذي مات عليه، فالروح قادرة أن تتجسّد بأشكال التجسدات، ولما كان الشهداء أحياء عند ربهم، إذن هؤلاء الأحياء يمكن أن يرجعوا للدنيا كما هو في عيسى ﷺ ولهذا فإن رواياتنا تقول: إن أوّل من يرجع هو الحسين ﷺ ويعيش أربعين عاماً فيكون عمره حينئذٍ مئة سنة، ومعنى ذلك أننا سنشهد في مستقبل البشريّة ملحمة رائعة للبشريّة.

أوّلاً: هناك حكم عادل «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً».

ثانياً: هناك تحولات رائعة في الطبيعة.

---

(١)

(٢)

ثالثاً: هناك الملحمة التي ستحدث بين قمم الإيمان وبين قمم الكفر.

حينئذٍ هناك نتمنّى أن يردّنا الله تبارك وتعالى فنكون من جنود المهدي عليه السلام «إِنْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْمَوْتُ الَّذِي جَعَلْتَهُ عَلَى عِبَادِكَ حَتْما مَقْضِيّا فَأَخْرِجْنِي مِنْ قَبْرِي مُؤْتَزِرا كَفَنِي شَاهِرا سَيْفِي مُجَرّدا قَنَاتِي».

والحمد لله رب العالمين

* * *

المحاضرة الثانية والسبعون:

مظاهر العالم قبل دولة المهدي عليه السلام

«وَيُمَلَّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث اليوم عن قوله في الزيارة: «وَيُمَلَّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ».

في هذا المقطع يوجد لدينا ثلاثة بحوث:

البحث الأوّل: ظاهرة الدولة، ما هي رؤية الإسلام السياسية والتاريخيّة بشأن الدولة وتفسيرها من وجهة نظر إسلاميّة.

البحث الثاني: ما هو المطلوب تجاه دولة أهل البيت عليهم السلام؟ ماذا يجب علينا؟

البحث الثالث: العالم والمجتمع الدولي قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام، فنحن في البحوث الماضية شرحنا معالم دولة الإمام المهدي عليه السلام العالمية. الثراء الاقتصاي، الأمن، سقوط القوميات، حاكميّة الإسلام، العدالة المطلقة، هذه مجموعة من المعالم لدولة الإمام المهدي عليه السلام لكن اليوم نريد أن نتحدّث عمّا قبل دولة الإمام المهدي عليه السلام ما هو حال العالم وفق رواياتنا التاريخية؟

البحث الأوّل: الرؤية الإسلاميّة لظاهرة الدولة:

الدولة ظاهرة اجتماعية لم تكن وإنما ظهرت في مراحل متأخرة من حياة البشرية، لقرون عديدة لم تكن هناك دولة، كان هناك اقطاعيون، كانت هناك عشائر، كانت هناك حياة اجتماعية ما دون الدولة، فالدولة عبارة عن ظاهرة اجتماعية مؤسساتية شهدتها البشرية في

مراحل متأخرة، توزيع المسؤوليات، بناء المؤسسات، إدارة البلاد عبر نظام مؤسساتي، هذه هي ظاهرة الدولة.

الإسلام ما هو رأيه في الدولة؟ الدولة ظاهرة صحيّة أم ظاهرة سلبية؟ هل المطلوب أن يكون لنا دولة أم المطلوب أن لا يكون لنا دولة؟ هذا بحث سياسي واجتماعي وفي فلسفة التأريخ أيضاً هناك نظرية تقول: إن الدولة ظاهرة عارضة يجب أن تزول، ويجب أن تنتمي البشرية يوماً ما إلى مجتمع بدون دولة، الفلسفة الماركسية هو رأيها الفلسفي والسياسي أن الدولة ظاهرة أنشأتها الطبقة الرأسمالية البرجوازية، الأثرياء أنشؤوها لاستعباد الضعفاء والسيطرة عليهم، باسم مؤسسات، وزارات وما شاكل ذلك.

هذه الظاهرة الاجتماعية يجب أن تزول وتصبح البشرية مجتمعاً يدير نفسه عبر نظام الإدارة الذاتية، فلا يوجد حينئذٍ دولة، لا رئيس ولا وزراء، ولا شرطة، ولا جيش، وإنما يوجد إدارة ذاتية كأبناء العشيرة الذين يديرون أنفسهم، وأبناء البيت الواحد وأبناء المحلة والقرية الذين يديرون أنفسهم على أساس المحبة وبعض الأصول والأعراف الاجتماعية فلا حاجة للدولة.

النظرية الماركسية هكذا تقول: إن الدولة ستتلاشى فيما يأتي من الزمان كما تقول أيضاً في نقطة ثانية في النظرية الماركسية أن الدولة البرجوازية سوف تسقط وتقوم مكانها دولة عالمية هذه الدولة العالمية تقوم على أساس طبقة العمّال، العمّال فقط يحكمون، وهكذا تنشأ هذه الدولة عبر ثورة دموية، ولا يمكن أن تكون دولة بدون ثورة دموية هذا

كله في الفلسفة الماركسية.

الدين ماذا يقول؟ الدين على مستوى مذهب الشيعة، أو حتّى على مستوى المذاهب الأخرى، لأن كل المذاهب الإسلاميّة تقول بأن هناك دولة عالمية ستحدث، يحكمها المهدي من آل محمّد صلى الله عليه وآله إذن الرؤية الإسلاميّة تتحدّث عن دولة عالمية ونحن نقرأ ذلك في نصوص أهل البيت عليهم السلام، كما في الزيارة الجامعة عن الإمام الهادي عليه السلام: «وَيُمَلَّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ» إذن ما هي الرؤية الإسلاميّة تجاه الدولة؟

أوّلاً: الدولة في الرؤية الإسلاميّة ظاهرة صحيّة، وليست ظاهرة مَرَضية، فليست الدولة من صنع البرجوازيين الرأسماليين. أو من صنع الطغاة والفراعنة، وإنما الأنبياء هم أوّل من ساهموا على تأسيس الدولة المؤسساتية، وهذه نظرية يذكرها السيد الشهيد الصدر أستاذنا قدس سره في سلسلة (الإسلام يقود الحياة) أن الأنبياء دعوا ومارسوا عملية تأسيس الدولة. فالدولة ليست ظاهرة برجوازية، وإنما الأنبياء وهم الناس الصلحاء عملوا على تأسيس وإدارة الدولة، ولدينا في تأريخ الأنبياء دولتان إسلاميّتان في التاريخ الماضي أسس أنبياء هما دولة داود، ودولة سليمان عليهما السلام وهذه دولة لم يقودها برجوازيون، وإنما قادها أنبياء، وهكذا نعتقد أن في آخر الزمان الإمام المهدي عليه السلام وبعده أحد عشر مهدياً، مهدياً بعد مهدي _ كما تحدّثنا في محاضرات سابقة _ يحكمون دولة عالمية صالحة، ليس هي دولة العمّال فقط، وإنما هي دولة الصالحين، عمّال وفلاحون وموظفون، وكسبة وتجار وفقراء وأغنياء وما شاكل ذلك، الإسلام لا يعتقد بأن دولة صاحب الزمان أو الدولة الصالحة

هي دولة طبقية إنما هي دولة الصالحين من هذه الطبقة أو من تلك الطبقة هي دولة الصلاح. هذه صورة عن الرؤية الإسلاميّة تجاه الدولة وقد تحدّثنا عن دولة داود ودولة سليمان عليهما السلام فيما سبق.

أسطورة بساط الريح:

هذا اليوم أذكر لكم أسطورتين عن حكومة سليمان عليه السلام، تعرفون أن القرآن الكريم يحدّثنا عن حكومة داود وحكومة سليمان عليهما السلام وما في هاتيين الحكومتين من عجائب، الله تبارك وتعالى حيث سخر لهما الرياح وسخر لهما الجبال وسخر لهما الطير وسخر لهما الجن، كل ذلك سخر لدولة داود وسليمان عليهما السلام وحتّى الشياطين كانوا يعملون لدى حكومة داود وسليمان عليهما السلام، إذن هي دولة المعجزة وقد شرحنا في ما مضى من البحوث فلسفة هذه الدولة الاعجازيّة، ربما للبرهنة على أن الدين قادر على أن يدير أقوى سلطة وأكبر دولة، وحيث كان دولة داود وسليمان عليهما السلام هي دولة معجزة فقد نسجت حولها الكثير من الأساطير الكاذبة نحن نذكرها في الحقيقة لتلطيف الأجواء وتنويع البحث.

يذكر التاريخ الأسطوري أن سليمان عليه السلام كان لديه بساط الريح، وفكرة بساط الريح هي أسطورة نسبت إلى سليمان عليه السلام، بساط يطير فوق الرياح، وهذا البساط له ألف ركن وعلى كل ركن يوجد ألف بيت لجنود سليمان عليه السلام، فهو معسكر ضخم جداً، يقدر بعشرات الكيلو مترات المربَّعة حسب هذا الوصف التي تقوله الأسطورة أن ألف ركن لهذا البساط وفي كل ركن ألف بيت للجنود وتحت كل بيت جنٌّ يحمل ذلك البيت!!، إن الأرقام المذكورة في هذه الأسطورة تعني أن

على هذا البساط مليونا جندي، ألف ركن وفي كل ركن ألف بيت، يعني ألف × ألف = مليون بيت، والبيت يعني غرفة، وكل غرفة يجلس فيها اثنان من الجنود على الأقل، يطيرون على هذا البساط. الباحث الدكتور النجّار في كتابه (قصص الأنبياء) يقوم بسرد لطيف يقول: إن هناك ـ وفق الروايات ـ مليونا جندي آخر، وينبغي أن يكون عدد السكان في المدينة التي يسكنها سليمان عشرة أضعاف هذا العدد ومعناه أن مجموع سكان دولة سليمان وهي فلسطين على أقل تقدير أربعون مليون نسمة...

ولا يمكن لفلسطين هذه المدينة الصغيرة أن تتسع لأربعين مليون، حكومة سليمان عليه السلام كانت في فلسطين مما يؤكد أن هذه القضية هي أسطورة كاذبة، ثمّ يأتي هذا الباحث ويناقش هذه الأسطورة ويقول: إن هذا شيء عجيب، فَكَم سيكون حجم هذا البساط؟ سيكون (100) كيلو متر مربع على أقل تقدير وهو يطير بهذا الحجم. ثمّ يقول: في أيّ أرض يحط هذا البساط؟ الأسطورة تقول: إن سليمان عليه السلام يخرج صباحاً على هذا البساط ويحط في خراسان ويكون مبيته في هناك ماذا يفعل في خراسان؟ وخراسان لم تكن تابعة لسليمان عليه السلام، إذا كان وفداً رئاسياً مع مليوني جندي، فأيّة دولة قادرة على أن تستضيف هذا العدد؟ وماذا يفعل في خراسان؟ لماذا لا يذهب إلى مصر؟ إلى ليبيا، أو أيّة دولة مجاورة؟ هذه أساطير تسجلها أيدي القصاصين.

أسطورة خاتم سليمان:

وهكذا جاءت أسطورة ثانية، أسطورة خاتَم سليمان. ما هو خاتم

سليمان؟ الأسطورة تقول: إن سليمان كان له رمز سحري لهذا الملك العظيم، هذا الرمز السحري موجود في الخاتم، والخاتم يلبسه بيده وإذا حرَّك الخاتم حظر الجيش العملاق العظيم من الجن والطير والوحوش.

تقول الأسطورة أن سليمان كان إذا أراد الوضوء يعطي خاتمه إلى زوجته، واسمها أمينة ويوماً ما أعطى الخاتم إلى أمينة وذهب إلى الوضوء، فجاءها إبليس وصوَّر نفسه على شكل سليمان، وقال لها: يا أمينة اعطني الخاتم فأعطته الخاتم وبذلك أصبح رمز الحكم والقوة بيد إبليس، فجلس إبليس على عرش سليمان وأصبحت القوات المسلحة كلها بقيادة إبليس فجاء سليمان بعد وضوءه فطرده الجنود فذهب إلى نسائه وهو يقول: أنا سليمان فتطرده النساء، لأن إبليس _ على شكل سليمان _ جالس على العرش، وبيده خاتم الملك وبذلك أصبح سليمان طريداً وفق هذه الأسطورة، لا أحد يقبله وأدار إبليس هذا الملك مدة أربعين يوماً، وهذا هو ما يفسره البعض لقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾[1] أن الجسد هو إبليس فاضطر سليمان أن يعمل في صيد السمك على ساحل البحر وذات يوم طار إبليس إلى السماء وألقى الخاتم في البحر، فاصطاد سليمان سمكة وفتح السمكة فوجد فيها الخاتم، وجاء إلى القصر واعتقل إبليس ووضعه في صخرة وأغلق الصخرة عليه ثمّ ألقاه في البحر.

هذه هي قصة خاتم سليمان وهي أسطورة واضحة غير قابلة للتصديق.

---

(١)

البحث الثاني: ما هو الموقف المطلوب تجاه دولة أهل البيت عليهم السلام ؟

نحن نعتقد أن هناك دولة لأهل البيت عليهم السلام وتكون في آخر الزمان، ما هو الموقف تجاه تلك الدولة؟ نحن في ضمن الثقافة الدينية نفهم أن المطلوب منّا تجاه تلك الدولة أمور ثلاثة:

الأمر الأوّل: انتظار تلك الدولة التطلع إليها «مُرْتَقِبٌ لِدَوْلَتِكُمْ».

الأمر الثاني: المشاركة في بناء تلك الدولة ومؤسساتها « وَيُمَلَّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ».

الأمر الثالث: الانتصار لقيام تلك الدولة وتأسيسها « وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ».

الموقف الأوّل: « مُرْتَقِبٌ لِدَوْلَتِكُمْ » ماذا تعني؟ يعني متطلع متأمل، منتظر منشوق إلى تلك والدولة، وهذا معنى « اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ »[1] هناك من ليس لديه اهتمام بقيام دولتهم، صارت لهم دولة أم لا، ظهر صاحب الزمان أم لا، ينتصر المسلمون أم لا، يكون الحق هو الغائب أم لا. لكن الإنسان المؤمن يهمه انتصار دولة الحق، هذه هي أخلاقية الإنسان المؤمن، أنا أنتظرها وأتطلع إليها، هذا معنى « مُرْتَقِبٌ لِدَوْلَتِكُمْ » وهكذا دائماً يعمل الإنسان المؤمن باتجاه التصحيح والتغيير، نحن دائماً وفي جميع الحالات يجب أن نتطلع إلى قيام الدولة العالمية على يد الإمام المهدي عليه السلام نحن نتطلع إلى دولة العدالة المطلقة، هذا هو الموقف الأوّل.

الموقف الثاني: الاعداد لتلك الدولة « وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ »، أنا

---

(١)

مستعد، ونصرتي جاهزة، أنا جزء من القوات المعدّة لتلك الدولة، ولهذا تقرأ في أدعية شهر رمضان «وَتَجْعَلَنِي مِمَّنْ تَنْتَصِرُ بِهِ لِدِينِكَ وَلا تَسْتَبْدِلْ بِي غَيْرِي».

الموقف الثالث: هو المشاركة الفاعلة، حينما تؤسس دولة الإسلام العالميّة، أو في عمليات التمهيد لدولة العدالة، دورنا ليس دور المتفرج، دورنا دور المشاركة الفاعلة فإذا كان المطلوب الانتخابات وإذا كان المطلوب قوات عسكرية وإذا كان المطلوب عمل في وظيفة معينة موقفنا هو المشاركة الفعّالة لدولة الحق. وهذا نقرؤه في هذه العبارة: «وَيُمَلَّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ»، يعني لا يعيش على الهامش وإنما يعيش في متن الدولة التي يقودها أهل البيت عليهم السلام «وَيُمَلَّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ» يعني أنا وأنت في دولة صاحب الزمان عليه السلام يجب أن يكون لنا موقع في الحكم. كي لا نصبح كميَّة مهملة. أو نعيش في الهامش، وليس دورنا دور المتفرج وإنما دور صاحب الموقع الإداري السياسي في تلك الدولة، والحمد لله فإن شيعة أهل البيت عليهم السلام أدَّوا هذه الممارسة الرائعة والمشاركة الفعّالة ليس لدولة الإمام المهدي عليه السلام ولكن على مستوى الاعداد والتهيؤ لدولة العدالة. ولهذا رأينا بعد سقوط الطاغية الطاغية صدام، يتعين علينا أن لا ندع فراغاً في مؤسسة الدولة إلاّ ونملؤه يجب أن نملأ الفراغات بدل أن تكون المواقع لأعدائنا، بدل أن تكون لأعداء العراق، بدل أن تكون لعصابات حاكمة، يجب أن نزحف لأخذ مواقع في تلك الدولة، هذه هي نظريتنا في الحقيقة، ولهذا شارك المؤمنون في مجلس النواب وفي الوزارات. وهذا هو معنى «وَيُمَلَّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ» أن لا نكون

معزولين، أن لا نكون على الهامش.

البحث الثالث: ما هو حال العالَم قبل المهدي عليه السلام؟

كان هناك ثمان معالم لدولة الإمام المهدي عليه السلام، لكن فالننظر العالم قبل حكومة الإمام عليه السلام ما هي أوصافها؟

هناك أربعة مظاهر للعالم قبل حكومة الإمام المهدي عليه السلام:

المظهر الأوّل: سيطرة الظلم على الأرض «بعدما ملئت ظلماً وجوراً» عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج واحدٌ من ولدي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً» [1] إذن نفهم من هذا أنه قبل قيام حكومة الإمام المهدي عليه السلام فإن الظلم يُسيطر على العالم يعني ليس بمعنى أنه لا يبقى هناك مجال تحرك وإنما المقصود أن الهيمنة العالمية للظلم، وليس للحق، وليس للإسلام. وهكذا على مدى العصور السابقة يوم كانت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي يوزعون العالم إلى القطبين، القطب الشرقي والقطب الغربي والدول الضعيفة إمّا أن تلتحق بالركب الشرقي وإمّا تلتحق بالركب الغربي، وجاءت عدة دول شكلت مجموعة عدم الانحياز، باعتبارهم لا ينحازون لا للشرق ولا للغرب، لكنهم في الحقيقة تحت الهيمنة العالمية، الآن العالم محكوم بنظرية القطب الواحد، الهيمنة الأمريكية على العالم والمقصود بالسيطرة على العالم ليس السيطرة الكاملة بحيث لا يوجد عدالة ولا نور ولا حق، هذا

---

(١)

لا يمكن، لا بدَّ أن يكون هناك للحق وجود بمستوى من المستويات.
إذن المقصود بالسيطرة يعني الهيمنة ونحن اليوم شهدنا الهيمنة، هيمنة الظلم، وسيطرة الظلم، إذا كنا في العراق، إذا كنا في دولة عربية أو غير الدولة العربية، العالم اليوم تؤثر عليه الدول الكبرى بدرجة كبيرة.

الظاهرة الثانية: أفول الإسلام:

الروايات تقول: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً»، [١] سيأفل نور الإسلام. ولهذا فإن الإمام المهدي عليه السلام في حكومته ماذا سيفعل؟ سيقوم بعملية تجديد الإسلام، حتّى يقول الناس هذا دين جديد، وهو ليس ديناً جديداً، بل هو الإسلام نفسه هذا هو معنى ما تقوله هذه الروايات الصحيحة، أفول الإسلام يعني أن هناك تراجع في الثقافة الدينية لدى الشعوب، وفي الشعارات والمفاهيم الإسلاميّة لدى الشعوب، لقد شهدنا ذلك في الحقيقة إلى مطلع القرن الخامس عشر، نحن كنا نعيش ظاهرة أفول الإسلام، وبدأنا منذ مطلع القرن الخامس عشر، الذي نحن فيه بدأ يسطع نجم الإسلام من بداية هذا القرن حيث مضت أربعة عشر قرناً كان الإسلام في أفول، ونوره في تراجع، كان الحديث العالمي، حديث اشتراكية، وديمقراطية، وشيوعية، والدين لم يكن له ذكر ولكن اليوم في الحقيقة فإن عملاق الدين تقدم عالمياً، اليوم الدين يتحرك في العالم، اليوم أصبح الإسلام قطباً عالمياً.

مثلاً فاروق الحسني وزير الثقافة في مصر أعطى تصريحاً قال فيه: أن الحجاب مظهر من مظاهر الرجعية، هذا الحديث كانت شوارعنا

---

(١)

تتجاهر فيه سابقاً دون ردة فعل ساخطة، يستطيع أحد أن يتحدّث أو ينبس ببنت شفة ولكن الآن وبمجرد أن تحدّث فاروق الحسني وقال: إن الحجاب مظهر من مظاهر الرجعية، احتجوا عليه في البرلمان المصري الإسلاميّون والوطنيون واضطر الحسني أن يعتزل في بيته لأنه أعطى كلمة تعتبر اساءة للثقافة الدينية، هذا قارنوه مع ما كان عليه الحال قبل ربع قرن، قبل ربع قرن كان الإسلام قد أفل نجمه، ولا أحد يتحدّث عن تيّار إسلامي، وإنما كانت القومية العربية والناصرية والديمقراطية والاشتراكية، واليسارية واليمين واليسار، وحزب البعث، وحزب النهضة وحزب التقدم وحزب الاصلاح، كانت تملأ الشارع، وجيلنا جيل ما قبل ربع قرن لم يكن يسمع شيئاً اسمه التيّار الإسلامي، أما اليوم فالعالم يهتز بالتيّار الإسلامي، في الحقيقة أفول الإسلام نحن شهدناه.

دعوني أقرأ لكم هذه الرواية عن أفول الإسلام عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء».[1]

الظاهرة الثالثة: انتشار الفساد.

انتشار الفساد، وانتشار الشذوذ، بحيث يصبح الحق باطلاً والباطل حقاً، والجميل قبيحاً والقبيح جميلاً، الروايات مليئة بالحديث عن مظاهر انتشار الفساد والشذوذ الأخلاقي والجنسي كما سأقرأ لكم في بعض هذه الروايات.

الرواية تقول: قال عليه السلام ـ علامة ذلك ـ: «إذا أمات الناس الصلاة

---

(١)

وأضاعوا الزكاة واستحلوا الأمانة، واستحلوا الكذب، وأكلوا الربا، وأخذوا الرشى، وباعوا الدين بالدنيا، واستعملوا السفهاء وشاوروا النساء، وقطعوا الأرحام، واتبعوا الأهواء، واستخفوا بالدماء، وكان الحلم ضعفاً والظلم فخراً، وكانت الأمراء فَجرة والوزراء ظلمة والعرفاء خَونة والقُراء فسقة وظهرت شهادات الزور واستعلن الفجور وقول البهتان والإثم والطغيان...»، إلى أن يقول: «وشارك الرجال نساؤهم في التجارة حرصاً على الدنيا وعَلت أصوات الفساق وكان زعيم القوم أرذلهم...»، إلى أن يقول: «وتشبَّه النساءُ بالرجال والرجال بالنساء»[١] هذه نماذج من انتشار الفساد.

أيضاً أقرأ لكم رواية ثانية بهذا الصدد.

قيل للإمام الباقر عليه السلام: يا ابن رسول الله متى يخرج قائمكم؟

قال عليه السلام: «إذا تشبَّه الرجال بالنساء والنساء بالرجال واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وقبلت شهادات الزور، وردت شهادات العدل واستخف الناس بالدماء، وارتكاب الزنا وأكل الربا وأُتقي الأشرار...».[٢]

هذا إشارة إلى انتشار ظاهرة الفساد.

هذه ثلاث مظاهر للعالم قبل الإمام المهدي عليه السلام، هذه المظاهر لحد الآن قد انجزت، نحن شهدنا مرحلة أفول الإسلام ومرحلة هيمنة الظلم ومرحلة انتشار الفساد.

---

(١)

(٢)

الظاهرة الرابعة: قيام الدولة الممهّدة لدولة الإمام المهدي عليه السلام دولة ممهدة له تُسمى في الروايات (الموطئة) يعني الممهدة.

لدينا روايات تؤكد أن دولة الإمام المهدي عليه السلام لا تحدث عبر ثورة عالمية وعبر قفزة وعبر مخاضات دموية وإنما عبر مراحل تدريجية أنها تحدث عبر عملية تدريجية، إن هناك مجموعة تنهض وتؤسس دولة ممهدة، ثمّ تستمر الخطوات وانتشار الإسلام تدريجياً بحيث يكون مهيئاً لظهور صاحب العصر والزمان عليه السلام هذه الرويات هي في مصادر السُنّة وفي مصادر الشيعة كما في كتاب (بحار الانوار ج 51) عن مصادره، وبعض مصادر السُنّة تقول:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله أنه يخرج اناس من المشرق ـ مشرق الحجاز ـ ثمّ يقول الشارح وهو شافعي: هذا الحديث حَسَن صحيح روته الثقات من الأثبات، وأخرجه الحافظ أبو عبد الله بن ماجة القزويني في سُننه وهو من أهم مصادر أهل السُنّة ثمّ تأتي الرواية الثانية عن علقمة بن عبد الله يرويها صاحب كتاب كفاية الطالب الشافعي يقول: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل فتية من بني هاشم فلمّا رآهم النبي اغرورقت عيناه وتغيَّر لونه، فقلنا: ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه؟ فقال: «إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً حتّى يأتي قوم من قِبَل المشرق ومعهم رايات سود فيسألون الخَير ولا يُعطَونه، فيقاتلون فيُنصرون، فيعطون ما سألوا ولا يقبلونه، حتّى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملؤوها ظلماً وجوراً فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على

الثلج».[1]

هذه الرواية يمكن لها أن تفتح لنا أُفقاً في أنه ما المقصود بهذه الدولة الممهدة الآتية من المشرق؟ لا نستطيع طبعاً أن نتنبأ بقضايا غيبية، ولكن قد يمكن أن نقول أنه بحمد الله تعالى قد تأسست عندنا دولة إسلاميّة في المشرق قياساً للحجاز وهي الدولة الإسلاميّة في إيران، وهي بيد شيعة أهل البيت عليهم السلام، وقد يقول قائل: إن هذه الرواية فيها قرينة لفظية بهذا المدلول، وهي أنه في الحجاز ليس لدينا ثلج، وفي العراق ليس لدينا ثلج، الرواية تقول: «حبواً على الثلج» ظاهرة الثلج أين موجودة؟ أين يوجد هذا الثلج؟ ربما تكون الرواية إشارة إلى إيران حيث الثلوج الشتوية التي تغطي المدن. وعلى كل الأحوال فإن الرواية تقول: هناك مجموعات سيمهدون لدولة الإمام المهدي عليه السلام.

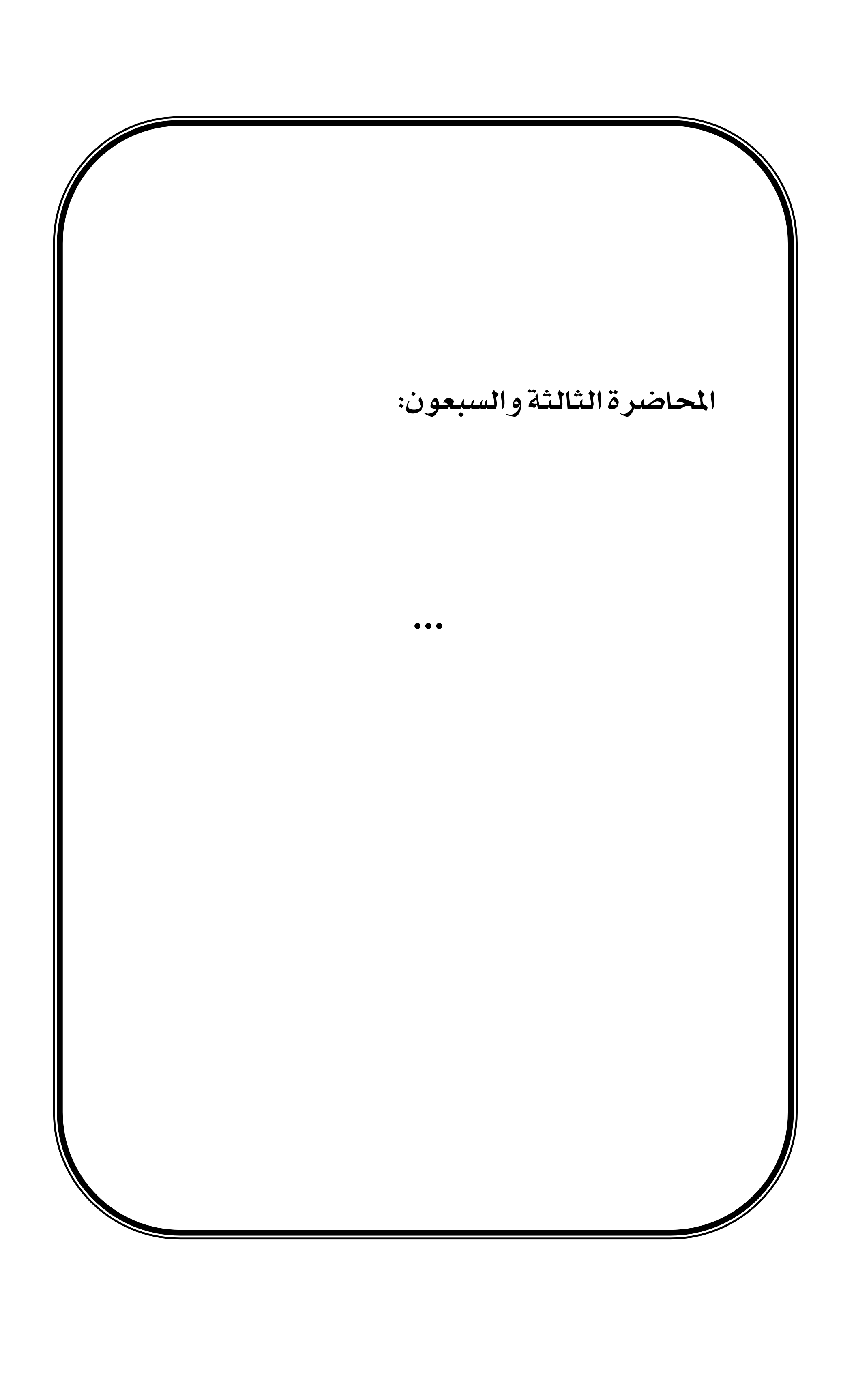
نحن بحمد الله نشهد اليوم عصر النهوض الإسلامي، ونحن قبل ربع قرن كنا شهدنا عصر التراجع الإسلامي، واليوم عصر النهوض في العالم العربي والعالم غير العربي...

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١)



المحاضرة الثالثة والسبعون:

...

بسم الله الرحمن الرحيم

ما زال الحديث عن مقاطع هذه الزيارة واليوم نقرأ هذا المقطع «فَثَبَّتَنِيَ اللَّهُ أبَدا مَا حَيِيتُ عَلَى مُوَالاتِكُمْ» هذه مجموعة مقاصد يطلبها الإنسان ويرجوها من الله تبارك وتعالى وهو يقرأ هذة الزيارة؛ نحن في هذه الزيارة لدينا مقاصد، لدينا أهداف تأتي بصيغة الدعاء، لاحظوا هذه مجموعة أهداف ومقاصد يتمناها الإنسان لنفسه من الله تبارك وتعالى ويرجوها.

أوّلاً: الثبات على المبدأ «فَثَبَّتَنِيَ اللَّهُ أبَدا مَا حَيِيتُ»، يعني ما دمت حياً طول عمري، أسأل الله أن يثبتني على محبتكم ومودتكم وولايتكم.

ثانياً: «وَوَفَّقَنِي لِطَاعَتِكُمْ».

ثالثاً: «وَرَزَقَنِي شَفَاعَتَكُمْ».

رابعاً: «وَجَعَلَنِي مِنْ خِيَارِ مَوَالِيكُمْ».

لأن الناس اثنان، واحد من خيرة الأصحاب، وواحد من شرار الأصحاب، لكن هناك من هو من خيار المسلمين والآخر هو من شرار المسلمين، نحن نقول: «وَجَعَلَنِي مِنْ خِيَارِ مَوَالِيكُمْ» من الصالحين وليس من الموالين غير الصالحين، وعلامة هؤلاء الموالين الصالحين هو الاتّباع «التَّابِعِينَ لِمَا دَعَوْتُمْ إلَيْهِ» علامة ذالك الموالي الصالح أنه سلوكياً وعملياً يتبع أهل البيت عليهم السلام وليس مجرد أن يحبهم، «وَجَعَلَنِي مِنْ خِيَارِ

مَوَالِيكُمْ».

خامساً: « وَجَعَلَنِي مِمَّنْ يَقْتَصُّ آثَارَكُمْ وَيَسْلُكُ سَبِيلَكُمْ وَيَهْتَدِي بِهُدَاكُمْ » نحن في الوقت الذي نحبّهم أيضاً نقتصُ آثارهم ونتّبع خطواتهم في أيّ خطوةٍ سَلكوا نسلك، وأيَّ خُلُقٍ مارسوا نُمارس.

في قصة موسى والخضر المعروفة عندكم رغم أن موسى كان نبياً إلاّ أن الخِضر كان أعلَم من موسى، موسى قال له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾،[١] أنا أمشي معك واقتصُ آثارك وأتعلم منك لا أنَ أسير معكَ كرفيق سفر. هناك رفيق سفر يستفيد من السفر وهناك رفيق لا يستفيد، أنت قد ترافق عالماً من العلماء ولكن لا تستفيد منه، وأحياناً ترافق عالم من العلماء وأنت تستفيد منه.

عائشة تقول: كان عليّ عليه السلام رفيقاً وتلميذاً وأخاً فذاً لرسول الله صلى الله عليه وآله كيف؟

تقول: كان لعليّ مجلسان مع رسول الله، مجلس في الصباح ومجلس في المساء. لا يفارقه يجلس معه جلسةَ متعلم. كثيرون كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله لكن من الذي استفاد؟

عائشة تقول: عليّ عليه السلام كان حريصاً على أن يستفيد من أوقات رفقته مع رسول الله صلى الله عليه وآله، كان لعليّ عليه السلام مجلسان مجلس في الصباح ومجلس في المساء.[٢]

هو عليّ عليه السلام يقول: «أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا سكتُ

(١)

(٢)

بادرني، وإذا رأيته ساكتاً سألته، وإذا سكت بادرني».[(١)]

هنا الزيارة تقول: « وَجَعَلَنِي مِمَّنْ يَقْتَصُّ آثَارَكُمْ وَيَسْلُكُ سَبِيلَكُمْ » يسير بنفس الطريق ويهتدي بهداكم.

سادساً: « وَيُحْشَرُ فِي زُمْرَتِكُمْ ». نحن ماذا نرجو من الله تبارك وتعالى؟ نحن نرجو أن نُحشر يوم القيامة في مجموعة أهل البيت عليهم السلام، طبعاً وهذه بشارة لنا.

الرواية تقول عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة، أخذتُ أنا بحجزةِ عليّ عليه السلام وأخذَ عليّ عليه السلام بحجزة رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ رسول الله بحجزة الله سبحانه وتعالى...»[(٢)] فإلى أين يذهب بنا؟

قصة غلام الإمام الصادق عليه السلام:

الرواية تقول الرجاء من المحقق نقل القصة بشكل كامل من بحار الأنوار.

سابعاً: «وَيَكِرُّ فِي رَجْعَتِكُمْ».

ثامناً: «وَيُمَلَّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ».

تاسعاً: «وَيُشَرَّفُ فِي عَافِيَتِكُمْ».

بحث حول الدولة:

«وَيُمَلَّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ».

هناك دولة دينية، وهناك دولة لادينية، وهناك دولة تحترم الدين،

---

(١)

(٢)

هذه ثلاثة أنواع. الإسلام ماذا يدعو له؟

الإسلام يدعو إلى دولة قائمة على أساس الدين وهذه تسمى الدولة الدينية وهي الدولة التي يكون الدين هو الحاكم فيها، في وزاراتها، في دستورها، في مؤسساتها هذه هي الدولة الدينية.

هناك نموذج آخر هي: الدولة اللادينية التي لا تؤمن ولا تلتزم بقيم الدين ونسميها الدولة العلمانية التي ترفض حاكمية الدين، تقول: إن الدولة شيء والدين شيء آخر لا علاقة بينهما والدين أحوال شخصية، من أراد أن يكون متديناً له ذلك ومن أراد أن لا يكون متديناً له ذلك. هذه نسميها دولة علمانية بالاصطلاح.

هناك دولة من النوع الثالث مثلما هو واقعنا اليوم في العراق هل نحن دولة دينية؟ بمعنى أن وضع الدولة قائمٌ على أساس الدين في كل مفاصلها؟ لا.

هل نحن دولة لادينية ترفض الدين؟ لا.

وإنما نحن حسب الظروف التي تحيط بنا، دولة تقوم على أساس احترام الدين، تقوم على أساس احترام الثقافة الإسلاميّة والهوية الدينية وهذه حالة وسطى، لا هي دولة دينية كدولة رسول الله ﷺ، ولا هي دولة لادينية مثل الدول العلمانية الأوربية التي لا تعترف بالله ولا بالدين أصلاً، دولتنا وحسب الدستور العراقي، هي دولة صديقة للدين، تحترم الدين ولهذا جاء في الدستور العراقي، أن العراق دولة تقوم على أساس احترام الهوية الدينية والثقافة الإسلاميّة للشعب العراقي.

إشكالات الدولة الدينيّة:

اليوم يوجد حديث اعلامي يقول: إن الدولة الدينية هي مشروع فاشل، الدولة الدينية فيها مشاكل، الدولة الدينية فاشلة، يجب أن لا تفكروا بقيام دولة دينية هناك أربع إشكالات توجَّه على الدولة الدينية، ما هي؟

الإشكال الأوّل: أن الدين غير قادر على إدارة البلاد، الدين عبارة عن أخلاق وعبارة عن رحمة وعبارة عن رفق وعبارة عن صدق أمّا الدولة تحتاج إلى عزم وحزم، وشدة وأخذ بالظنة والتهمة وجاسوسية وما شاكل ذلك والدين غير قادر على إدارة البلاد لأنه يعتمد الأخلاق هذا هو الإشكال الأوّل.

الإشكال الثاني: أن الدين يصادر الحريات، الحريات السياسية، والحريات الفكرية، والحريات الشخصية، والناس يريدون الحريات والدولة الدينية لا تؤمن بالحريات فنحن إذن لا نريد إقامة دولة دينية لأنها تصادر الحريات.

الإشكال الثالث: أن الدولة الدينية تؤدي إلى ابتعاد الناس عن الدين، لأنهم سوف يحملون الدين جميع المشاكل والظروف الصعبة ويقولون هذا هو الدين، لا خدمات، لا أمن، لا حرية، لا ثروة، لا رفاه، ربما بعض الأصدقاء هكذا يفكر، يقولون: نحن لا نريد دولة دينية لأن الدولة الدينية نتيجتها ابتعاد الناس عن الدين.

الإشكال الرابع: أن الدولة الدينية تؤدي إلى فقد قدسية علماء الدين فإن العالم الديني قبل أن يكون حاكماً وقاضياً ووزيراً الناس يحترموه، لكن حينما يكون العالم الديني حاكماً وقاضياً ووزيراً فإن

الناس سوف يسيؤون الظن به، وسوف تسقط قدسية العالم الدينية والأفضل أن يبقى العالم الديني على المسجد وعلى الأمور الخيرية وعلى الصلاة وعلى الفقه حتّى تبقى قدسيته محفوظة لدى الناس.

هذه أربع إشكالات على الدولة الدينية وبالتالي يقال الأفضل أن نبتعد عن تأسيس الدولة الدينية.

ما هو الجواب على هذه الإشكالات الأربعة؟

لكل واحد من هذه الإشكالات جواب خاص به.

جواب الإشكال الأوّل: هذا الإشكال بلا دليل وبلا برهان، وإنما هو مجرد ادعاء، فمن قال بأن الدين غير قادر على إدارة البلاد؟ صحيح أن الدين فيه رحمة. وفيه رفق، وفيه ﴿لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾[١] وفيه أخلاق لكن في نفس الوقت، فيه إدارة، وفيه قضاء، وفيه ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وفيه ﴿شَدِيدُ العِقابِ﴾، والدين فيه حزم، وفيه شدة حينما تكون القضية قضية سياسية وإدارية وليس فيه دائماً رفق، بل فيه ﴿فَاقْطَعُوا أَيدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا نَكالاً مِنَ اللهِ﴾[٢] الدين فيه شدة أيضاً عندما يتعلق بوضع إدري.

أنا أذكر لكم قصة هي في الحقيقة إشارة قرآنية رائعة، قصة سليمان والهدهد، القرآن يذكر هذه القصة.

إن سليمان أرسل الهدهد في مأمورية خاصة، ولكنه تأخَّر قليلاً من الوقت كان تأخيره عبارة عن عدة ساعات، لاحظوا الحزم الإداري، سليمان كان رئيس دولة ورئيس الدولة يجب أن يكون له حزم، سليمان

---

(١)

(٢)

ماذا قال؟

قال: ﴿ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾[١] لقد وضع له عقوبة شديدة لأنه تأخر عن الواجب الإداري عدة ساعات.

في الحقيقة فإن سليمان لم يكن قاسي القلب مع الهدهد، بل هذه القصة رمزية، تريد أن تقول أيها الناس الأنبياء بمقدار الرحمة التي عندهم، كذالك لديهم القدرة والكفاءة الإدارية العالية بحيث لا يقبل تأخر أحد موظفيه.

ولدينا على أرض الواقع تجربة رسول الله ﷺ الذي أسَّس دولة في المدينة المنورة ونجح في ارساد قواعد دولة بدءاً من الصفر وأسَّس دولة إسلاميّة، والإمام عليّ عليه السلام قاد أيضاً التجربة الإسلاميّة. وخاض حروباً واسعة ضد حركة النفاق، لقد نجح الإمام عليّ عليه السلام في إدارة البلاد لمدة خمس سنوات وكان الأمن مبسوطاً في البلاد باستثناء الحركة السياسية المعادية، الإمام عليّ عليه السلام أسَّس نظام الشرطة.

اليوم أيضاً لدينا تجربة على أرض الواقع، تجربة تنتسب إلى الدين وتجربة يقف على رأسها أحد رجال الدين ومرجع من مراجع الدين هي تجربة الجمهورية الإسلاميّة في إيران، هذه دولة يبلغ عمرها ثلاثين سنة وهي دولة دينية وإذا لم نضعها في مصاف الدول الأخرى فهي ليست أقل من الدول الأخرى، دولة كبيرة في مواردها وامكاناتها، ووضعها السياسي ووضعها العسكري، والآن هي في مصاف الدول الكبرى، وهي

---

(١)

دينية وأنا لا أتحدّث عن تقييم تفصيلي لكل الواقع، لكن على كل حال هذه دولة دينية استطاعت أن تثبت حضورها وفعاليتها وإدارتها السياسية وتقف إلى مصاف الدول المتقدمة، إذن الدين لا يمكن أن يتَّهم بأنه غير قادر على إدارة البلاد.

جواب الإشكال الثاني: حول مصادرة الحريات، الدين يؤمن بالحريات الثقافية ويؤمن بالحريات السياسية ويؤمن بالحريات الشخصية بشكل واسع ولكن ليس بشكل مطلق لا حدود له، في زمن الإمام عليّ عليه السلام على سبيل المثال كانت الحريات السياسية بمستوى واسع، في الكوفة كانت اتجاهات سياسية متعددة والإمام عليّ عليه السلام وهو الحاكم كان يعطيهم إجازة ممارسة النشاطات السياسية، طلحة والزبير استأذنوا من الإمام عليّ عليه السلام وهو يعرف أنهم خرجو لمؤامرة، لكن كانت مبدأ الحرية السياسية هو سيد الموقف كان النصراني يعيش في البلاد الإسلاميّة بتمام الحرية، والحياة الطيبة وكان يُنفق عليه من بيت المال، من قال أن الدين يصادر الحريات؟ نعم، الدين يضع حدوداً للحريات، هناك حد للحريات الثقافية والسياسية والشخصية وهو أن لا تتلوث البيئة الإسلاميّة، فكل حرية تلوّث البيئة الإسلاميّة فهي غير مسموح بها.

الإسلام يقول هنا خط أحمر للحرية، أنت نصراني نعم، ولكن غير مسموح لك أن تشرب الخمر في الشارع وتفتح محلات البارات، أنت في دينك يجوز لك ذلك، لكن الدولة الإسلاميّة تريد أن تحافظ على البيئة والجو الإسلامي هناك حدود للحريات لكن ليس مصادرة للحريات، والحد الكبير للحريات في الإسلام هو المحافظة على البيئة

الإسلاميّة وكل ما عدا ذلك يجوز، من الخطأ أن يظن أحد أن الدين يصادر الحريات وإذا حكم الدين، إذن لا حريات سياسية ولا أحزاب ولا ثقافات ولا مذاهب ولا أديان، لا ليس كذلك.

جواب الإشكال الثالث: وهو أن الحاكمية الدينية تسيئ إلى الدين وأن الناس سينفرون من الدين، وهذا خطأ بل إن الناس سوف يرحبوا برحابة الدين، يرحبوا بأخلاقية الدين، من الخطأ التصور أنه إذا شهدنا حكماً دينياً إسلاميّاً إذن فالناس سيخسرون ويتضايقون وسوف نخسر أكثر مما نربح، نعم قد نخسر بعض الخسارات لكن سوف نربح أرباحاً كبيرة لصالح الدين، وكل شيء فيه ربح وفيه خسارة، الدين إذا حكم فربما بعض الناس سيتأذون لكن كثيرين من الناس سوف يفرحون.

جواب الإشكال الرابع: وهو أن العالم والعلماء سيفقدون قدسيتهم.

الجواب عليه:

أوّلاً: العلماء لا يبحثون عن قدسيات وهمية كاذبة، وما قيمة أن الناس يحبون هذا العالم الديني دون أن يكون له تأثير في المجتمع؟ هذه قدسيات وقداسات نسميها وهمية، قداسات كاذبة، المهم أن ذلك العالم الديني المقدس هو الذي ينزل ويحمل هموم الناس ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى الخير ويحمل رسالات الله هذا هو المطلوب، القدسية الصادقة القائمة على أساس دور هذا العالم الديني، والتجربة تقول أن ذلك العالم الديني الذي يخدم الناس أحبّ إلى الناس من ذلك العالم الديني المنزوي، التجربة هكذا تقول.

الإمام عليّ عليه السلام لمواقفه وتصديه يقول: «أما والله لولا حضور

الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما فرض الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سَغَب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها».[١]

يقول الإمام عليّ عليه السلام لا تبحثوا عن قداسة وتقبيل يد ابحثو عن خدمة الناس، احضروا اجتماعياً وسياسياً، ولا تسكتوا على ظلم المظلوم.

والخلاصة أنه:

1 _ ليست القداسة هدفاً.

2 _ إذا نزلوا علماء الدين إلى أرض الواقع وخدموا العباد وحملو هموم الناس فإن محبوبيتهم سواءاً صارت أكثر أو أقل فإن ذلك ليس هو المقياس؟ المقياس هو ما يؤدون من واجبهم الديني.

المقياس هو ما فرض الله على العلماء «أن لا يقاروا على كضة ظالم ولا سَغَب مظلوم».

هذه مجموعة إشكالات في مسألة الدولة الدينية، وقد أجبنا على هذه الإشكالات بشكل مختصر.

أريد أن أستعرض معكم معالم دولة صاحب الزمان، هناك مجموعة معالم ومظاهر نستطيع أن نُسجلها لدولة صاحب العصر والزمان:

معالم دولة صاحب العصر والزمان عليه السلام:

المعلم الأوّل: أنها دولة عالمية، ليست دولة في الشرق ولا في قارة آسيا. وإنما تكون دولة عالمية، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

---

(١)

هذه الدولة القادمة هي دولة عالمية وليست دولة جغرافية في حدود معينة.

أنا أقرا لكم هذه الرواية: «يبعث الله رجلاً في آخر الزمان وكَلَبٍ _ يعني شدة من الدهر _ يؤيّده الله بملائكته يعصم أنصاره وينصره بآياته، ويظهره على الأرض حتّى يدينه طوعاً وكرهاً يملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً وبرهاناً، يدين له عرض البلاد وطولها لا يبقى كافر إلاّ آمن، ولا طالح إلا صَلَح» [1] إذن هي دولة عالمية لسيت دولة اقليمية ولا قطرية بل دولة عالمية.

المعلم الثاني: في هذه الدولة العالمية تسقط القوميات، تسقط الحدود الجغرافية.

ماذا يعني تسقط القوميات؟ ليس معناه أن لا يبقى العرب عرباً ولا العجم عجماً، لا، يبقى العرب عرباً والعجم عجماً والهنود هنوداً والانكليز انكليزاً، لكن الفواصل القومية والنزعات القومية والتفاضل القومي، هذا سيسقط إنما هي دولة لا قومية فلا هي دولة عربية، ولا هي دولة فارسية ولا هي دولة هندية، ولا هي دولة انكليزية، هي دولة دين الله، كل أمّة يتحدّثون بلغتهم، القوميات تسقط، ويكون الناس كلهم إخوة على دين الله ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ﴾[2] عرباً أو عجماً، الناس سواسية كأسنان المشط.

المعلم الثالث: أنها دولة مستمرة عمراً، يعني أن دولة صاحب

---

(١)

(٢)

الزمان عليه السلام هي دولة دائمة، وليست دولة مقطعية زمنياً لأن هناك سؤال: دولة الإمام صاحب الزمان كم عمرها؟ (10) سنة، (20) سنة، (100) سنة. هذه دولة عالمية. أنتم تقرأون على مستوى المكان ولكن على مستوى الزمان أيضاً دولة أبرية أو هي دولة ممكن بعد مرة تحدث انقلابات عسكرية وسياسية وتفشل هذه الدولة ونرجع للوراء مرة أخرى الفكر الديني ماذا يقول؟ السؤال طبعاً مهم وهذا السؤال لا نستطيع أن نحسم الاجابة فيه لكن الروايات الدينية المنتسبة للفكر الديني تجعلنا نقترب من فكرة أنها دولة مستمرة عمرها أكثر من (10) سنوات أكثر من 100) سنة عمرها لا ينقضي كما تقول بعض الروايات أن هذه الدولة العالمية هي دولة محتدة طبعاً لدينا روايات تقول أن عمرها (7) سنوات وتقول أن هذه الـ (7) سنوات مضروبة في (10) يعني (70) سنة وهناك روايات تقول أن عمر هذه الدولة هي بعد أصحاب الكهف ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴾[(١)] وهناك روايات تقول أن عمرها 40) سنة ولدينا أيضاً روايات تقول بأن هذه الدولة ستستمر ويستمر عمرها مهدياً بعد مهدي إن صحيح أن مؤسسها هو الإمام المهدي عليه السلام لكنه لا يبقى عمر نوح لكن أيضاً بعده سيأتي مهدي آخر وهكذا مهدياً بعد مهدي إلى قيام الساعة وأنا أقرأ لكم روايات في هذا الشأن رواية تقول: «وتظهر له الكنوز يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً».[(٢)]

هذه رواية الأربعون عاماً لكن هناك روايات أخرى تقول: إن

---

(١)

(٢)

عمرها دائمي رواية تقول أن عمرها (309) سنوات أن القائم يملك ثلاثمائة سنة ويزداد تسعاً كما لبث أصحاب الكهف في كهفهم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. هذه الروايات التي تقول أن عمرها (309). لكن أجمل الروايات وأروعها التي تقول أن عمر دولة الإمام المهدي عليه السلام لا ينقضي يعني العاقبة البشرية المستقبل البشري هو حاكمية دولة الصلاح المطلق بدون انتهاء حتّى انقضاء الخلق وتعني إلى قيام الساعة.

المعلم الرابع: الثراء الاقتصادي الكبير.

هنا لدينا روايات عديدة عن هذا الثراء الواسع تقول:

«إن الأرض تخرج كنوزها».(١)

«وتخرج الأرض نباتها وتنزل السماء بركتها وتظهر له الكنوز» (٢)

هذا كله إشارة إلى الثراء الاقتصادي الكبير.

بعض تلك الروايات تقول: «لو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها وأخرجت الأرض نباتها، حتّى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام، لا تضع قدميها إلاّ على نبات» (٣) الرواية تريد القول أن الأرض يصبح فيها نماء اقتصادي وزراعي وثروات زراعية وثروات حيوانية ومعدنيّة لا نهاية لها.

العديد من الروايات تقول: «تخرج الأرض أفلاذ كبدها، ويحثو

(١)

(٢)

(٣)

المال حثواً، ولا يعده عداً وذلك حتّى يضرب الإسلام بجرانه»[(١)] وهذه استعارة جميلة (حتّى يضرب الإسلام بجرانه)؟ هذه الإبل حين يرفعون عنها الأحمال والأثقال وتجلس، فإذا اطمأنت واستراحت تمدُّ رقَبتها الطويلة على الأرض وتستسلم للراحة المطلقة فليس هناك قلق ولا استيحاش من شيء، (جرانها) يعني رقبتها الطويلة حين تضعها على الأرض، يعني الإسلام ينام هادئاً مسيطراً ليس هناك أيّ قلق عليه.

المعلم الخامس: حاكميّة الدين، وحاكميّة الأمّة الإسلاميّة، وحاكميّة مذهب أهل البيت عليهم السلام.

لدينا روايات كثيرة في هذا المعنى وأنا أقرأ لكم رواية واحدة يقول عليه السلام: «إذا قام قائمهم، وعلت كلمتهم، وأجمعت الأمّة على محبَّتهم، وكان الشانئ لهم قليلاً والكاره لهم ذليلاً»[(٢)] فهي واضحة في معنى انتصار مذهب التشيع، وانتشار مودة أهل البيت عليهم السلام والارتباط بهم، وغلبة الحق على الباطل. وهذا هو المعلم الخامس من معالم دولة صاحب الزمان عليه السلام.

المعلم السادس: الازدهار الثقافي، فكما يوجد يومئذٍ ازدهار اقتصادي كذلك يوجد ازدهار ثقافي، أقرأ هذه الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «وتؤتون الحكمة في زمانه، حتّى أن المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسُنّة رسوله الله صلى الله عليه وآله»[(٣)] إشارة إلى النضج الثقافي

(١)

(٢)

(٣)

بحيث يصبح لدينا فقهيات من النساء تعطي الفتوى وهي جالسة في بيتها، وهذا معناه أن الازدهار الثقافي يشمل المرأة التي كانت في مرحلة من المراحل ممنوعة من العلم لكن في دولة صاحب الزمان عليه السلام تكون المراة فقيهة ومجتهدة.

المعلم السابع: التقدم التقني الهائل، والذي قد نشهد اليوم بعض معالمه، تقول بعض الروايات: «كل منهم يَجد رسالة عند رأسه»[١] يستيقض فيجد رسالة يُطلب فيها منه أن يلتحق بصاحب الزمان، ما هي هذه الرساله؟ وكيف تصل إليه؟

الروايات تقول أنه في دولة صاحب الزمان عليه السلام الإنسان في شرق الأرض وغربها إذا كانت لديه مسألة فقهيّة فإنه يقرأ الجواب في كفه. يفتح كفه فيجد جواب المسألة الفقهية، وهذه النبوءة قبل ألف سنة لم تكن مفهومة، لكن اليوم في عصر الانترنت والهاتف النقال، والموسوعات الفقهية المضغوطة عبر الأقراص نراها واضحة ومفهومة.

الترابط مع قضية الحسين عليه السلام:

الشيء العجيب هو الترابط بين دولة الإمام المهدي عليه السلام وقضية الحسين عليه السلام فإن الذي نجده في تراثنا الفكري أن الإمام صاحب الزمان عليه السلام لو ظهر تكون قضية الحسين عليه السلام بارزة في مسيرته، وفي خطابه الإعلامي والسياسي.

الرواية تقول: «إذا ظهر عليه السلام أسلم ظهره إلى البيت _ الكعبة _

---

(١)

ونادى في الناس: يا أهل العالم قُتل جدي الحسين عطشاناً»[١] يبدوا أن قضية الإمام الحسين عليه السلام ليست مسألة عاطفية، بل يبدو أن هذه القضية هي الدم الذي يجري في عروق التاريخ، قد أبقت هذه القضيه الحياة في الضمير الإنساني.

جاء في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «أشْهَدُ أنَّكَ قُتِلْتَ وَلَمْ تَمُتْ بَلْ بِرَجَاءِ حَيَاتِكَ حَيِيَتْ قُلُوبُ شِيعَتِكَ».[٢]

ذكر الإمام الحسين عليه السلام له موقع خاص في الحركة الإسلاميّة والحركة الدينية ولهذا فإن إمامنا صاحب الزمان عليه السلام في ظهوره يُبرز قضية الإمام الحسين عليه السلام ويؤكد عليها في خطابه.

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١)

(٢)

المحاضرة الرابعة والسبعون:

موقع أهل البيت عليهم السلام بين الغلو والنّصب

«مَوَالِيَّ لا أُحْصِي ثَنَاءَكُمْ».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث عن ظاهرتين واجهتهما حركة الأنبياء عليهم السلام:

1_ ظاهرة الغلو.

2_ ظاهرة النُصب وكلتا هاتين الظاهرتين هما من أنواع التطرف الديني.

حركة الأنبياء عليهم السلام شهدت أحياناً حركة غلو لدى بعض أتباعها وهو تطرف بالمجال الإيجابي، وأحياناً شهدت تطرفاً في المجال السلبي وهو النُصب والعداء.

هذا الموضوع عالجه القرآن الكريم ورسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام كقادة رساليين ابتلوا بكلتا الظاهرتين.

وحديثنا اليوم انطلاقاً من مقطع الزيارة: «مَوَالِيَّ لا أُحْصِي ثَنَاءَكُمْ وَلا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ» بمعنى أني غير قادر على أن أبلغ معرفة حقيقتكم مهما أردت أن أمدح وأَثني، لكن مقامكم فوق المدح والثناء، ومنزلتكم أعلى من وصفنا.

سنتناوله في البحث هو (موقع أهل البيت عليهم السلام بين الغلو والنُصب) وهو حالة الاعتدال، نحن لسنا مع الغلو، ولسنا مع النُصب، وهناك في التأريخ الإسلامي شهد أهل البيت عليهم السلام غلواً كما شهدوا نُصباً وعداءاً مريراً.

المعنى اللغوي للغلو هو التطرف في المدح.

والنُصب هو المعاداة، ولهذا فإن كلمة ناصبي معناها المعادي لأهل البيت عليهم السلام، فحينما يقال: هذا ناصبي يعني هذا مُعادي وحينما يُقال: هذا مغال يعني لديه غلو في أهل البيت عليهم السلام.

القرآن الكريم كما ذكرت ناقش كلا التطرفين واعتبرهما من الانحراف، ودعا إلى حالة الإعتدال، مثلاً القرآن الكريم حينما يحدّثنا عن الغلو الذي ابتليت به الأديان السابقة والأنبياء السابقين، يقول: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾[(1)] يعني أن اليهود غالوا في عُزير، والنصارى غالوا في عيسى كما فعل عبّاد الأوثان من قبل حينما عبدوا الأصنام، عُزير هو نبي من الأنبياء اسمه العبري (عَزرا) فعُرّب إلى عُزَير، عيسى أصله بالعبري (اليَسوع) لكن بالعربي قُلِبَت فصارت عيسى، كما أن (يوحنّا) عُرّب وصار يحيى، وعلى كل حال فإن القرآن الكريم يتحدّث عن عُزير في القصة المعروفة: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾،[(2)] اليهود أُعجبوا بهذه الظاهرة، أن إنساناً يموت ثمّ يعود إلى الحياة، فقالوا: هذا تجسَّد فيه الروح الإلهي فصار ابنُ الله.

وقالت النصارى: المسيحُ ابن الله، لأن المسيح ابن بغير أب، إذن

(١)

(٢)

هو ابن الله، وهذا غلو ﴿وَقَالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾[1] القرآن الكريم يقول كلا هذين الاتجاهين هما من التطرف الديني، وهذا شبيه بفكر الوثنيين، كما يقول القرآن: ﴿يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾، ماذا قال الذين كفروا؟ أحضروا أصناماً والأصنام هي بالأصل عبارة عن رجال كانوا صالحين، بالأصل هذا الصنم هو عبارة عن شخصية محترمة لكن جعلوه إلهاً وهذا غُلوٌ، ثمّ يأتي القرآن الكريم ويقول: ﴿يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﴾[2] وليس ابن الله، كذلك القرآن دائماً يؤكد أن رسول الله صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء هو بشر ﴿قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ ﴾[3] التأكيد على ظاهرة البشرية، كي لا يحدث يوماً ما غُلوٌ وادعاء والربوبية.

أهل البيت عليهم السلام ابتلوا بظاهرة الغلو، كما ابتلوا بظاهرة النُصب والعداء الشديد.

الفقهاء يقولون أن الغلو والنُصب هما بمنزلة الكفر، ولهذا فإن في اعتقادنا الفقهي أن المغالي كافر، والمغالي هو الذي يقول أن عليّاً هو الله، كذلك النُصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام هو أيضا كفرٌ برسالة القرآن الصريح ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى ﴾[4] ذلك الذي يؤمن بمعاداة أهل البيت عليهم السلام يعتبر مكذباً للقرآن، إذا كان يعتقد بذلك ويتخذه ديناً ومبدءاً. فهناك من يعاديهم على أساس مصالح ولكن ليس

---

(١)
(٢)
(٣)
(٤)

كعقيدة، يعاديهم ولكن يبكي عليهم، كما حدث في جيش ابن سعد، هذا غير النُصب، النُصب الذي هو بمنزلة الكفر هو عبارة عن الاعتقاد بعداوتهم، والتديّن ببغضهم.

أقرأ لكم روايات بهذا الشأن.

قال رسول الله ﷺ: «لا ترفعوني فوق حقي فإن الله تعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً».(١)

وقال رسول الله ﷺ: «يا عليّ مثلك في أمّتي مثل المسيح عيسى ابن مريم افترق قومه ثلاث فرق: فرقة مؤمنة به وهم الحواريون، وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلو فيه فخرجوا عن الإيمان، وإن أمّتي ستفترق فيك ثلاث فرق: ففرقة شيعتك وهم المؤمنون، وفرقة عدوّك وهم الشاكون، وفرقة تغلوا فيك وهم الجاحدون».(٢)

الإمام عليّ عليه السلام نفسه قال: «يهلك فيَّ اثنان: محبٌ مفرط ومُبغضٌ مُفرط».(٣)

وفي رواية أخرى قال عليه السلام: «هلَكَ فيَّ رجلان: مُحبٌ غال، ومُبغِضٌ قال».(٤)

وفي رواية أخرى ـ ربما لا تكون دقيقة ـ تقول: أتى قومٌ أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: السلام عليك يا ربنا.

فقال لهم: اتقوا الله وتوبوا، فلم يتوبوا، فَحَفر لهم حفيرة وأوقد فيها

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

ناراً، وحفرَ حفيرةً أخرى إلى جانبها وفتح بينهما فلما لم يتوبوا ألقاهم في الحفيرة وهو يقول لهم: توبوا وهم يقولون: لا نتوب فقال: أحرقوهم بالنار؛ فقالوا: الله يحرق بالنار.[١]

نحن نميل إلى أن هذه رواية غير صحيحة حيث لا يوجد عليها أيّ دليل تاريخي، ولا يوجد فقهياً ما يسمح بهذا النوع من العقوبة والمعالجة. وعلى كل حال فنحن ضد الغلو.

أمّا النُصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «مدمنُ الخمر كعابد الوثن والناصب لآل محمّد صلى الله عليه وآله شرٌّ منهما».

قلت: جعلت فداك ومن شرٌّ من عابد الوثن؟

فقال عليه السلام: «إن شارب الخمر تدركه الشفاعة يوماً ما، وإن الناصب لو شَفع أهل السماوات والأرض لم يُشفع له».[٢]

أسباب الغلو:

السؤال: ما هي أسباب الغُلو؟

أسباب الغلو أمران:

الأمر الأوّل: صدور كرامات وعجائب من الشخص الذي يقدّسه.

مثلاً عيسى تكلّم وهو في المهد، وولد من دون أب، وعُزير مات مائة عام ثمّ بعثه الله تعالى، بعض الناس لا يستوعبوا هذه الحالة وإذا لم يستوعبوها سوف يتطرفون في تفسيرها. وكذلك الإمام عليّ عليه السلام

---

(١)

(٢)

صدرت منه أعاجيب كثيرة، وله كرامات كثيرة بحيث لا يمكن أن تصدر من بشر عادي.

الأمر الثاني: قلة الوعي، وسطحية الإيمان، وضعف الثقافة الدينية، فلو كان لديهم ثقافة دينية ووعي جيد لم يكن لديهم غلو.

مثلاً أصحاب موسى عليه السلام لمّا غاب عنهم موسى عمل لهم السامري عجلاً من ذَهَب وله خوار أشبه بالإنسان الآلي المتحرك في زماننا، تصوّروا قبل (3000) سنة يرون عجلاً متحركاً آلياً، فأعجبوا وقالوا: هذا هو الله تعالى ﴿هذا إِلهُكُمْ وَإِلهُ مُوسى﴾،[1] هذا ناشئ من قلة الوعي والثقافة، لهذا فإن القرآن الكريم حينما يستعرض قصة العجل يقول: ﴿أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً﴾[2] لو كانوا يملكون وعياً لعرفوا أنَّ هذا العجل لا يملك إرادة ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه ولا يدافع عنهم. معنى هذا أن الغلو ناشئ من قلة الوعي فنحن لو عرفنا أن حقيقة أهل البيت وحقيقة الأنبياء أنهم عبارة عن عباد صالحين ارتبطوا بالله تبارك وتعالى فأعطاهم من الكرامة والقدرة شيئاً عظيماً. مثل أحياء الموتى بإذن ﴿وَأُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[3] بمجرد أن نفهم هذه الحقيقة سوف نبتعد عن الغلو، ونقول هؤلاء عباد الله ﴿قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.[4]

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

أسباب العداء:

أمّا مناشئ النُصب فهي:

1 _ الحسد.

2 _ معركة المصالح.

وليس سبب النُصب هو عدم المعرفة، فالذين قاتلوا الأنبياء لم تضع عليهم الحقيقة والذين قاتلوا الأئمّة الأطهار كانوا يعرفوا الحقيقة، لكن الحَسد ومعركة المصالح هي السبب في النُصب لأهل البيت عليهم السلام، وكانت هذه الظاهرة موجودة على طول تاريخ أهل البيت، وهي موجودة إلى يومنا هذا، ظاهرة التكفير للشيعة، وقتل الشيعة، وهذه الظاهرة هي ترجمة أخرى للنُصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام.

في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «ليس الناصب من نَصَب لنا أهل البيت لأنك لا تجد رجلاً يقول: أنا أبغض محمّداً وآل محمّد، ولكن الناصب من نَصَب لكم وهو يعلم أنكم تتولونا وأنكم من شيعتنا»، [1] الذين ينصبون العداء لشيعة أهل البيت عليهم السلام يعرفون أن لا جُرم لشيعة أهل البيت إلاّ محبة أهل البيت عليهم السلام فلو سألت أولئك الذين فجَّروا مرقد العسكريين عليهما السلام لقالوا: نحن لسنا أعداء الحسن العسكري عليه السلام ولا عليّ الهادي عليه السلام ولكن نحن أعداء الشيعة لأنهم يعبدون القبور!! ظاهرة التكفير حاربها أهل البيت عليهم السلام كما حاربوا ظاهرة الغلو، واليوم نحن نعاني من هذه الظاهرة في العراق، ظاهرة النُصب العجيب المهول الذي لا يكاد يُصدَّق، فهؤلاء يتقربون إلى الله تعالى بذبح

---

(١)

الشيعة، أوّل من تعرض لهذا العداء هو عليّ والزهراء عليهما السلام، لقد دخلوا عليه الدار وقادوه مكتوفاً وطلب منه البيعة.

فقال: فإن لم أفعل.

قالوا: إذن يُضرب الذي في عيناك.[1]

الزهراء عليها السلام يعلمون أنها سيدة نساء العالمين وأنها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها، لكن المصالح السياسية وقلة الإيمان أو فقد الإيمان جرَّهم إلى أن يدخلوا دار الزهراء عليها السلام ويُحرقوها ناراً حتّى قيل: إن في الدار فاطمة.

قال: وإن.[2]

هذا عداء لأهل البيت عليهم السلام من اليوم الأوّل، ولهذا في قصة الزهراء عليها السلام كانت لديها حالتان في الشكوى:

مرة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حينما جاءت إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وشكت إليه.

ومرة كانت تأتي إلى عليّ عليه السلام وتقول:

لمن أشتكي إلاّ إليك ومن به ألوذ وهل لي بعد بيتكَ من كهفِ

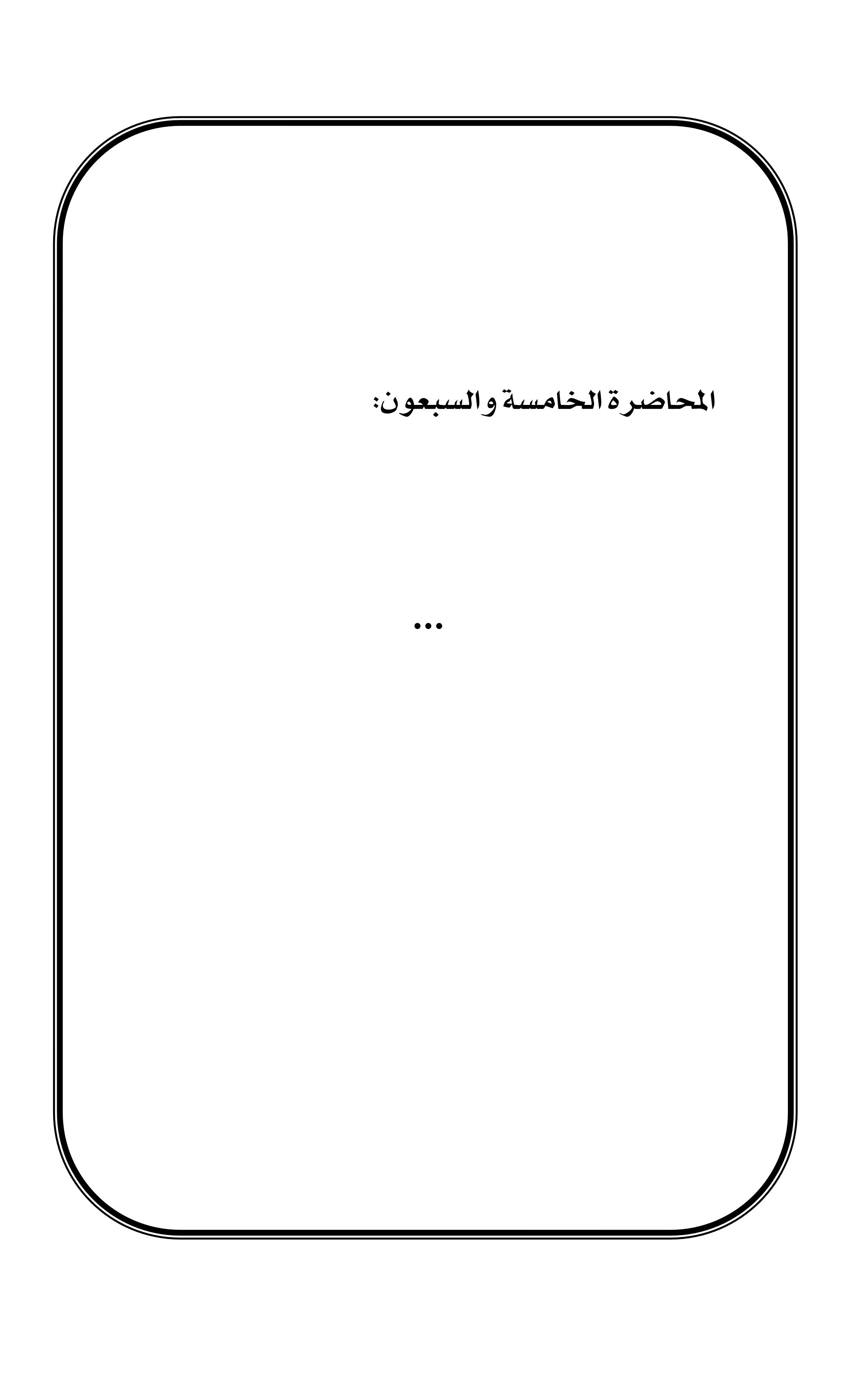
إنا لله وإنا إليه راجعون

* * *

---

(١)

(٢)



المحاضرة الخامسة والسبعون:

...

بسم الله الرحمن الرحيم

حديثنا اليوم عن موضوع مهم وقوفاً عند قوله:

«وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أنْ تَقَعَ عَلَى الْأرْض إلاّ بِإِذْنِهِ وَبِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ وَيَكْشِفُ الضُّرَّ وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ وَهَبَطَتْ بِهِ مَلائِكَتُهُ وَإِلَى جَدِّكُمْ بُعِثَ الرُّوحُ الْأمِينُ».

«وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أنْ تَقَعَ عَلَى الْأرْض إلاّ بِإِذْنِهِ » ذلك إشارة إلى أن استمرار النظام الكوني هو من خلال وجودهم. ولولاهم لكنّا نشهد انهيار النظام الكوني. هنا الزيارة تقول أن نزول الغيث بهم واستقامة النظام الكوني بهم والفرج بهم.

ما هو المقصود بذلك؟ ههنا ثلاث تفاسير يُمكن أن تذكر:

التفسير الأوّل: نظرية التفويض المطلق لأهل البيت عليهم السلام وهذه نظرية تعني أن الله تعالى كما فوَّض أمر التشريع (الحلال والحرام)، وكما فوض السياسة (الحكم والأمر والنهي) إلى النبي والأئمّة فجعلهم حُججاً لله على الأرض فهم أصحاب السلطة التشرعية، الولاية السياسية كذلك جعل لهم الولاية التكوينية، يعني أن لهم ولاية على كل الكون، لهم ولاية على الشمس ولهم ولاية على البحار وعلى كل الوجود، هذه النظرية يسميها أهل المعرفة (وساطة الفيض) فهم وسائط في فيض الوجود على الكائنات. وهذا معنى كبير جداً، يعني لا توجد شمس ولا

قمر ولا بحار ولا كائنات إلاّ بواسطة النبي وأهل بيت النبي ﷺ فمن خلالهم وجد هذا الوجود، هذه تسمى نظرية (واسطة الفيض) يعني أن الله تعالى أفاض الوجود على الخلق من خلال النبي وآله عليهم السلام وهذه النظرية قبلها البعض ويرفضها البعض، وهذه النظرية ترتبط بنظرية فلسفية أخرى هي نظرية العقول العشرة، واسمحوا لي أن أفتح نافذة عليها.

هناك مصطلح فلسفي هو (العقول العشرة) هؤلاء الفلاسفة لديهم نظرية وهي (أن الواحد لا يصدر منه إلاّ واحد) وبالتالي تورطوا بمشكلة فلسفية هي أن الله تعالى واحد، وإذا كان الواحد لا يصدر منه إلاّ فعل واحد وموجود واحد فكيف يصدر عنه أشياء كثيرة شمس وقمر ومجرّات وغير ذلك. ولأجل التغلب على هذه المشكلة قال الفلاسفة أن الله تعالى خلق عقولاً عشرة، أوّل ما خلقه الله هو العقل الأوّل، والعقل الأوّل خلق العقل الثاني والعقل الثاني خلق العقل الثالث وهكذا إلى العقل العاشر والعقل العاشر هو الذي خَلق هذه الامتدادات والموجودات لأن هذا العقل العاشر كان متعدد الجوانب فخلق جميع هذه الموجودات، وهذه النظرية أشبه بالخيالية، وهي كذلك ليست دقيقة ولا هي مقبولة، أن الله تعالى غير قادر على أن يخلق الكون إلاّ عبر عقول عشرة، وهذا بحث يمكن مناقشته في مجاله، إلاّ أن ما هو الثابت عندنا إسلاميّاً أن أوّل ما خلق الله العقل، ثمّ قال له: أقبل فأقبل، ثمّ قال له: أدبر فأدبر.[١]

---

(١)

هناك روايات موازية لها، عن رسول الله ﷺ: «أوّل ما خلق الله تبارك وتعالى نوري»، [1] قبل أن يخلق آدم، قبل أن يخلق الشمس، أوّل مخلوق كان قد ترشح من عند الله تبارك وتعالى هو نور نبينا ﷺ، طبعاً ستقولون كيف؟ أليس نبينا ﷺ وُلد في عام الفيل؟ نبينا من أُمّ وأب، أُمّه آمنة بنت وهب وأبوه عبد الله وولد في زمن معين، في مقطع تأريخي معيّن هو القرن السادس بعد الميلاد، فإذا كان مولوداً في هذا الزمان فكيف تقول الروايات: «إن أوّل ما خلق الله نوري»؟

طبعاً الرواية لا تقول: إن أوّل ما خلق الله هو النبي، وإنما هو نور النبي، «أوّل ما خلق نوري» وهو غير هذا الكيان البدني هو حقيقة أخرى يُسميها العرفاء (الحقيقة المحمّدية) وهي إشارة إلى ذات النبي المقدّسة وجوهر حقيقته قبل أن يخلقه الله في هذه الدنيا. الحقيقة المحمّدية تعني جوهر النبي، روح النبي، عمق النبي هذا هو الذي خلقه الله تعالى قبل آدم. الروايات بالاتفاق تقول: «أوّل ما خلق الله نوري» ثمّ تقلب ذلك النور بين أصلاب الرجال وأرحام الأُمّهات، إلى أن وصل إلى عبد الله بن عبد المطلب فكان منه محمّد بن عبد الله ﷺ. بالتأكيد ليس المقصود بالنور الأمواج الضوئية بل هو رمز إلى عمق الهوية، هوية النبي، شخصية النبي. هذا يسموه الحقيقة المحمّدية.

النظرية الأولى تقول: إن هذا الوجود جاء بواسطة النبي وبواسطة أهل البيت عليهم السلام. فلولا هم لم يكن هناك وجود، وهذا يؤمن بها بعض العرفاء والفلاسفة ويستدلون عليها ببعض الأدلّة وبروايات موجودة لدينا.

---

(١)

في ضوء هذه النظرية فإن السماء هي من نور النبي، الشمس مخلوقة من نور النبي، والقمر كذلك. هذه النظرية لا نستطيع فعلاً الغوص فيها لأن تفسيرها عميق، وقبولها ليس بالشيء الهيّن، تعالوا ننتقل إلى النظرية الثانية.

النظرية الثانية هي نظرية (القدرة المشروطة) بمعنى أن أهل البيت عليهم السلام لديهم قدرة كاملة في التصرف بكل الوجود لكنها قدرة مشروطة. بمعنى أن الأنبياء والأئمّة عليهم السلام لهم منزلة عند الله تبارك وتعالى بحيث لو سألوا الله لك أن يجعلك غنياً لاستجاب الله لهم، ولو سألوا الله تعالى أن ينزل المطر لاستجاب الله لهم، ولو سألوا الله أن يخسف الأرض لاستجاب لهم، فهذا هو فعل الله تعالى ولكن ببركة النبي وببركة الأئمّة الأطهار، الحياة مستمرة بدعائهم.

أذكر لكم قصة معروفة جرت في صلح الحديبية، في صلح الحديبية جاء المسلمون ولم يجدوا إلاّ بئراً واحداً والبقية سيطرت عليها قريش، وهذه البئر الواحدة عميقة وكان تعداد المسلمين (1500) وخشى المسلمون من عدم كفاءة هذا البئر، فأمر الرسول صلى الله عليه وآله أن يخرجوا له دلواً من الماء، فأخرجوا له دلواً فتوضأ به وتمضمض فيه ثمّ وضع كفه على ذلك الماء ففاض الماء، [١] وفي رواية أخرى أمر أن يُلقى الماء في البئر ففاض ماء البئر حتّى سُقوا جميعاً. [٢] جاء الشاعر ونظم هذه القصة بقوله:

---

(١)

(٢)

يا من يقوم مقام الحمد منفرداً للواحد الفرد لم يولد ولم يولد

يا من تفجرت الأنهارُ نابعةً من اصبعيه فروّى الجيشَ بالمدد

إشارة إلى هذه القصة في صلح الحديبية.

الحقيقة أن هذا هو فعل الله لكن فعل الله ببركة النبي ﷺ وبسبب النبي وبدعاء النبي، وهذا لا يعني التفويض المطلق وأن أمر الكون كله بيد النبي، بل لهم قوة تأثير، كما نحن نقول رُدَّت الشمس لسليمان عليه السلام، ورُدَّت لعليّ عليه السلام بإجماع الرواة في زمن النبي ﷺ مرة وفي معركة النهروان مرة ثانية. بما يعني أن هذا الإنسان لديه قدرة تأثير على الوجود.

وفي الحقيقة فإن كلاً منّا له قدرة تأثير على الوجود لكن كل واحد بحجم معين، فإن الله تبارك وتعالى فوض الإنسان قدرة تأثير في الوجود وهذه قضية طبيعية، لكن هذه القدرة هي قدرة مضاعفة لدى الأنبياء عليهم السلام، قدرة تمتد إلى التصرف بالشمس وإلى القمر والنجم. فمعنى « وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ » أن الله أعطاكم قدرة التأثير في الوجود ولو أردتم أن تخسف الأرض، وتقع السماء لفعلتم ذلك.

أذكر لكم رواية كي نفهم النظرية.

إن الزهراء عليها السلام حين قادوا أمير المؤمنين عليه السلام أسيراً وجاءوا به إلى مسجد النبي ﷺ التحقت به وأخذت بعضادتي باب المسجد وأرادت أن تدعو عليهم فبعث الإمام عليّ عليه السلام سلمان ليقول لها: الله الله في أمّة محمّد، لا تدعي عليهم، وإلاّ خسفت بهم الأرض.

فجاء سلمان وقال: فاطمة يا بنت رسول الله إن أباك قد بُعث

رحمة للعالمين، فإن أنت دعوتِ عليهم هلكوا، [١] هذا يعني أن الزهراء عليها السلام لديها قدرة تأثير على هذا النظام الكوني.

القرآن الكريم يتحدّث عن قميص يوسف: ﴿أَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً﴾[٢] وهذا هو قميص ومن مسافة بعيدة بين مصر وفلسطين. وهو قميص ولا يحوي على نوع من الأدوية لكن هذه هي قدرة تأثير، وهي بإذن الله تعالى.

الزيارة تقول: «وَبِكُمْ يُمْسِكُ» فاعل يُمسك هو الله تعالى يعني ليس أنتم وإنما هو الله، وهذا توحيد وليس شركاً نحن لا نقول أن الإمام هو الذي يُمسك الشمس، الله الذي يُمسك الشمس لكنه يُمسك الشمس بإرادة وصلاح الأئمّة وببركة وجودهم. ولهذا تقول: «بِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ».

أذكر دعاءاً يرويه الشيخ الكفعمي في كتاب البلد الأمين. دعاء زمن الغيبة نقول في هذا الدعاء: «اللَّهُمَّ عَظُمَ الْبَلاءُ وَبَرِحَ الْخَفَاءُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ وَضَاقَتِ الْأَرْضُ بِمَا وَسِعَتِ السَّمَاءُ وَإِلَيْكَ يَا رَبِّ الْمُشْتَكَى وَعَلَيْكَ الْمُعَوَّلُ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ أَمَرْتَنَا بِطَاعَتِهِمْ وَعَجِّلِ اللَّهُمَّ فَرَجَهُمْ بِقَائِمِهِمْ وَأَظْهِرْ إِعْزَازَهُ».

ثمّ يقول بعدئذٍ:

«يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ اكْفِيَانِي فَإِنَّكُمَا كَافِيَايَ يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ انْصُرَانِي فَإِنَّكُمَا نَاصِرَايَ».[٣] هذا كله بإذن

(١)

(٢)

(٣)

الله. أنظروا تسلسل الدعاء « وَعَلَيْكَ الْمُعَوَّلُ »، ليس المعوَّل على النبي، إنما المعوَّل والمشتكى والتوكل على الله تعالى. لكن الله تعالى عبر الوسائط «بِكُمْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أنْ تَقَعَ عَلَى الْأرْض إلاّ بِإذْنِهِ » ما زال النبي ﷺ له قدرة تأثير وما يزال الإمام المعصوم له قدرة تأثير فنحن نتوجه إلى الله بهم حينما تقول: « اكْفِيَانِي » اكفياني بالله « اكْفِيَانِي فَإِنَّكُمَا كَافِيَايَ »، «انْصُرَانِي فَإِنَّكُمَا نَاصِرَايَ » هذا في الحقيقة ليس بعيداً عن التوحيد ليس بعيداً عن إرادة الله تبارك وتعالى بل هو بفعل إرادة الله تبارك وتعالى.

التفسير الثالث: أن الله تبارك وتعالى هو الفاعل الأوّل والأخير ولكن الله خلق كل الوجود لأجل هذا الإنسان، الإنسان الذي هو خليفة الله في هذا الوجود، وأفضل بني آدم هو النبي ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام، فيكون الله تبارك وتعالى قد خلق هذا الوجود من أجل النبي وآل بيت النبي ﷺ، هذا الوجود خلقه الله تبارك وتعالى من أجل الإنسان ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] والإنسان الأوّل والعابد الأوّل هو النبي ﷺ وآل بيت النبي عليهم السلام، إذن فمن أجلهم جَعل الله تعالى الشمس تجري ومن أجلهم جعل الفَلَك يدور، وجَعل السماء تَمطر، ألسنا نعترف بأن الله أمر ملائكته أن يسجدوا لآدم؟ وهم أشرف الخلق، إذن فالمحور الأوّل هو الإنسان وهنا حديث معروف يقول: «ما خلقت سماءاً مبنيّة ولا أرضاً مدحيّة ولا فَلكاً يدور، ولا شمساً تجري، ولا قمراً يسري إلاّ بمحبة هؤلاء الخمسة»، [2] ويقول علماؤنا عن هذا الحديث وهو حديث الكساء

---

(١)

(٢)

بأنه مروي بسند صحيح وله فضل عظيم، حيث يقول في آخر الحديث: «ما ذُكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمعٌ من شيعتنا ومحبينا، وفيهم مهموم إلاّ وفرَّج الله همَّه، ولا مغمومٌ إلاّ وكشف الله غمَّه، ولا طالب حاجة إلاّ وقضى الله حاجته...».[١]

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١)

المحاضرة السادسة والسبعون:

علوم أهل البيت عليهم السلام

ونقد التفسير الحداثي للقرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

لدينا حديثان:

الحديث الأوّل عن علوم أهل البيت عليهم السلام انطلاقاً من قوله: « آتَاكُمُ اللَّهُ مَا لَمْ يُؤْتِ أحَدا مِنَ الْعَالَمِينَ».

والحديث الثاني: عن الطريق إلى الله واعتبار أهل البيت عليهم السلام هم السبب إلى رضوان الله وأن الإنسان يحتاج للوصول إلى رضوان الله إلى طريق ولا يمكن أن يصل إلى رضوان الله بدون طريق، هذا البحث انطلاقاً من قوله في الزيارة: « بِكُمْ يُسْلَكُ إِلَى الرِّضْوَانِ وَعَلَى مَنْ جَحَدَ وِلايَتَكُمْ غَضَبُ الرَّحْمَن».

الحديث الأوّل: علمهم ومنزلتهم عليهم السلام:

تقول الزيارة: « وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ »، يعني أن الكتب السماوية جميعاً موجودة لديكم التوراة والإنجيل وزبور داود والقرآن الكريم كلها عندكم، كل العلوم الإلهية موجودة ومخزونة لدى أهل البيت عليهم السلام ولهذا فإن الإمام عليّ عليه السلام يقول: «ما نزلت آية إلاّ وأنا أعلمُ أين نزلت وفيمَ نزلت ومتى نزلت» [1] فكل ما جاءت به الرسل من عند الله تبارك وتعالى هو موجود عند الأئمّة الأطهار عليهم السلام.

بهذا الخصوص أقرأ عليكم روايات والفكرة واضحة.

---

(١)

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سُئل عن قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1] ما الزبور وما الذكر؟

قال عليه السلام: «الذكر عند الله والزبور الذي أنزل على داود وكل كتاب نزل فهو عند أهل العلم ونحن هم».[2]

وعنه عليه السلام حين سأله الراوي: أنّا لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء؟

قال عليه السلام: «هي عندنا وراثة من عندهم نقرؤها كما قرؤوها ونقولها كما قالوها، إن الله لا يجعل حجة في أرضه فيسئل عن شيء فيقول لا أدري».[3]

وهناك روايات كثيرة في هذه الدلالة.

اليوم يوجد حديث معاصر حول تفسير القرآن الكريم يقول: كما كان يحق للسابقين الاجتهاد في تفسير القرآن نحن أيضاً يحق لنا أن نجتهد في تفسير القرآن، وأصبحوا يفسرون القرآن بما شاءوا وكيف شاءوا ثمّ تطور الموقف وقالوا وبالتالي أنه لا يوجد تفسير ثابت للقرآن الكريم يكون حجة علينا.

دعونا نفسر القرآن بما يتناسب مع العصر الحديث وبالتالي حتّى التشريعات الإسلاميّة يجب أن تتغير لأنها تشريعات كانت تتناسب مع

---

(١)

(٢)

(٣)

ذلك الزمان، ذلك الزمان كانوا يقطعون يد السارق فجاء القرآن وأكَّد الفكرة مسايرةً للواقع القائم يومئذٍ وليس على سبيل الدوام والأبدية. قال: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا نَكالاً مِنَ اللهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[(١)] ولكننا في هذا الزمان وحيث تغيّرت الثقافة الاجتماعيّة وسُبُل التأديب والتربية والعقوبة فلا بدر لقطع يد السارق في ذلك الزمان كان يوجد قصاص وثارات وتصفيات جسديّة، وجاء القرآن وأكّد الفكرة تناسباً مع الثقافات الفكرية يومئذٍ. أما في زماننا حيث لا يوجد ثقافة للقصاص، وإذا لم توجد فلنرفع اليد عن هذا التشريع ونقول: إن هذه الآية القرآنية جاءت لذلك الزمان وليس لزماننا.

هذا فكر حديث مطروح.

مثلاً أحد الكتّاب اسمه محمّد شحرور ولديه كتاب في تفسير القرآن يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾[(٢)] يقول: الذي يوسوس في صدور الناس يعني الذي يوسوس في عظماء الناس وكبارهم لأن الصدور تعني الشخصيات البارزة، ومنه يقال: صدر المجلس، والصدور مرة تطلق على القلب، ومرة تطلق على الوجيه فيقال: صدر القوم. حينئذٍ يقول محمّد شحرور أن معنى ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾ يوسوس في الشخصيات البارزة والمراجع الدينية لأن هؤلاء هم صدور الناس وهكذا يفسر قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ

---

(١)

(٢)

الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾[١] بأنه في صدور الشخصيات الكبيرة، على كل حال فإن الكلام ليس عن تفسير هذه الآيات وإنما نحن بصدد الحديث عن المنهج.

هذا الرجل وله شيء من الحق يقول: إذا كان أبو هريرة يفسّر القرآن برأيه فلماذا أنا لا أُفسّر برأيي؟ مثلاً الرواية تقول عن أبي حنيفة أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.[٢]

قيل له: ما النعيم؟ قال: النعيم اللبن والرطب والتمر.[٣]

الإمام الصادق عليه السلام يقول: بل هي نعمة الإمامة ونعمة الولاية لتسئلن يومئذٍ عنّا أهل البيت كما في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾[٤]،[٥] هذا النعيم هو الذي يحاسبكم الله تعالى عليه، فالله تعالى لا يحاسب الإنسان على تمرة أكلها أو ماء شربه، الأستاذ (محمّد شحرور) يقول: إذا كان من حق إمام من أئمّة المذاهب في العصر الماضي أن يفسّر القرآن برأيه واجتهاده إذن لماذا لا يجوز لنا في هذا الزمان أن نفسّر القرآن كما نشاء؟ هذا كلام صحيح.

لكن الإمام الصادق عليه السلام يقول أن المشكلة في المنهج ولا يجوز تفسير القرآن بالرأي سواء القدماء أو المتأخرين.

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

أئمّتنا قالوا: «من فسَّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعدَه من النار».[١]

على عهد الإمام الصادق عليه السلام ظهرت مدرسة اسمها (مدرسة الرأي) حيث يتم اخضاع القرآن والسُنّة والفقه الإسلامي للرأي، ولقد وقف الإمام الصادق عليه السلام موقفاً متشدداً جداً من هذه المدرسة فقال: «إن دين الله لا يقاس بالعقول وأن الشريعة إذا قيست محق الدين»،[٢] إن مدرسة الرأي يومئذٍ هي السبب في ظهور هذا المنهج حيث أصبحوا يفسرون القرآن برأيهم، وجاء في هذا الزمان من يقول: إن لي أن أفسّر برأيي، أما أهل البيت عليهم السلام فقد قالوا أن أصل المنهج خطأ «من فسَّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعدَه من النار» وإنما يجب أن نرجع في تفسير ما هو الغامض من القرآن إلى أهل البيت عليهم السلام الذين نزل القرآن فيهم، فإذا فسروا القرآن فذلك التفسير وحده هو المقبول لماذا؟

لأننا لدينا نوعين من التفسير:

1 _ التفسير بالرأي البشري.

2 _ التفسير بالعلم الإلهي والمأخوذ من الوحي الإلهي.

والتفسير الأوّل لا يجوز، والثاني يجوز ولكنه يختص بأهل البيت عليهم السلام ومن المهم أن نؤكّد أننا حينما نتحدّث عن التفسير فإنما نقصد اكتشاف مقاصد الآيات وليس معانيها اللغويّة.

نحن لا يجوز لنا أن نفسّر كتاب الله إلاّ من خلال اعتماد مصادر الوحي الإلهي وهي موجودة فقط لدى أهل بيت النبوة عليهم السلام.

---

(١)

(٢)

اليوم أصبحت لدينا مشكلة معاصرة وهي محاولات تفسير القرآن واكتشاف بطونه من خلال اعتماد المذاقات البشريّة وانسجاماً مع الثقافة المعاصرة العلمانيّة.

أين المشكلة في هذه المحاولات؟ نحن نعتقد أن أولئك القدماء الذين فسّروا القرآن بالرأي كانوا على خطأ، واليوم حين يحاول البعض أن يفسّر القرآن بالرأي فهو على خطأ أيضاً. نحن نستطيع أن نكتشف المعاني اللغوية للآيات القرآنية وهنا من حق الجميع أن يجتهد وأن يفسّر حسب الدلالات والقرائن اللغوية. لكننا لا نستطيع أن نتحدّث عن أعماق وبطون الآيات القرآنية بعيداً عن أهل بيت الوحي والنبوة عليهم السلام، فإنهم وحدهم القادرون على معرفة تلك الأسرار، وهذا هو معنى قوله: «وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ وَهَبَطَتْ بِهِ مَلائِكَتُهُ وَإِلَى جَدِّكُمْ بُعِثَ الرُّوحُ الْأمِينُ » وهناك رأي معاصر يقول: إننا لا نحتاج إلى ذلك، وإنما نعتمد على رأينا وبالتالي فإن الآيات القرآنية: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ ﴾،[1] ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾[2] كلها تخص بذلك الزمان، وفي ذلك الزمان حيث كان الحجاب ضرورة اجتماعية شرّعها الإسلام ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبصارِهِمْ ﴾[3] ولكن في هذا الزمان لا يوجد ضرورة للحجاب فنرفع اليد عن الآية السابقة لأنها آية متناسبة مع ذلك الزمان، وهكذا نلغي التشريع الإسلامي في كل موضع لا ينسجم فيه مع العصر الحديث، ونكتفي

---

(١)

(٢)

(٣)

بروح الإسلام. هذا هو التفسير الحداثي للقرآن الكريم.

«آتَاكُمُ اللَّهُ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدا مِنَ الْعَالَمِينَ» لعلَّ هذا النص إشارة إلى علوم أهل البيت عليهم السلام. وأن الله آتاكم من العلم ما لم يؤتِ أحداً من العالمين، فنحن نعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار وسائر الأنبياء عليهم السلام هم أعلم كل البشرية وأهل البيت عليهم السلام لديهم علم الأنبياء السابقين جميعاً.

ولا تستغربوا من هذا الأمر في قصة سليمان ﴿قالَ يا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[1] يعني آتيك بالملكة وعرشها أسرع من رمشة العين من أين؟ من اليمن إلى فلسطين في مسافة أكثر من (1000) كليو متراً قبل ارتداد الطرف!! الفكر الديني يحلل هذا الأمر أنه لم يكن من خلال استخدام تقنية حديثة عالية ومتطورة جداً وإنما كان يعرف حرفاً من اسم الله الأعظم حيث باعتقادنا في الفكر الديني أن كل هذا الوجود يمشي ويجري باسم الله الذي هو سر هذا الوجود فإذا ارتبط الإنسان بذلك السر فسوف تفتح له الآفاق، كما أن روح الإنسان هي سر من أسرار الله، هذا الكون كله يتحرك باسم الله تبارك وتعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَمُرْساها﴾.[2]

لقد كان ذلك الجندي ــ وهو آصف ــ يعرف علماً من الكتاب،

---

(١)

(٢)

﴿قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ﴾ كان يعرف حرفاً من اسم الله الأعظم، واستخدم هذه المعرفة واستطاع بلحظة واحدة أن يجلب العرش من اليمن إلى فلسطين حيث حكومة سليمان عليه السلام.

أهل البيت عليهم السلام يعرفون من اسم الله الأعظم اثنين وسبعين حرفاً والمقصود بالحرف ليس هو حروف اللغة العربية، بل هو شيء آخر يرمز إليه بالحرف اسم الله يتألف من ثلاث وسبعين حرفاً وأهل البيت عليهم السلام لديهم اثنين وسبعين من ذلك الاسم الأعظم وهناك حرفٌ واحد عند الله تعالى محجوب لا يعرفه أحدٌ من الخلق،[1] وهذا هو معنى « آتَاكُمُ اللَّهُ مَا لَمْ يُؤْتِ أحَدا مِنَ الْعَالَمِينَ » لا إبراهيم عليه السلام، ولا نوح عليه السلام، ولا موسى عليه السلام عندهم مثل هذه العلوم.

أقرأ عليكم رواية في معرفة الأئمّة الأطهار عليهم السلام للاسم الأعظم تقول الرواية عن جابر الأنصاري عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإن ما كان عند آصف حرف واحد فتكلم به فتناول السرير بيده ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده».[2]

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن عيسى بن مريم الذي كان يحيي الموتى أعطي حرفين من اسم الله تعالى الأعظم، وأعطي موسى عليه السلام ثلاثة أحرف، وأعطي إبراهيم عليه السلام ثمانية أحرف، وأعطي نوح عليه السلام

(١)

(٢)

خمسة عشر، وأعطي آدم خمس وعشرين حرفاً، وأن الله تعالى جمع ذلك كله لمحمّد صلى الله عليه وآله وأن اسم الله الأعظم ثلاث وسبعين حرفاً أعطي محمّداً اثنان وسبعون حرفاً وحُجب عنه حرف واحد وكل ما كان عند محمّد صلى الله عليه وآله أعطي لعليّ عليه السلام وعليّ أعطاه لأولاده الأئمّة الأطهار» [(١)] والنتيجة هي: «آتَاكُمُ اللَّهُ مَا لَمْ يُؤْتِ أحَدا مِنَ الْعَالَمِينَ».

وربما يمكن تقديم تفسير آخر لهذه العبارة وهو آتاكم الله منزلة لم يعطها أحداً من الخلائق، فإن منزلة أهل البيت عليهم السلام لم تُعطَ لأحد من الخلائق.

فاطمة عليها السلام هي (سيدة نساء العالمين) وهذه منزلة لم تعط لأحد.

عليّ عليه السلام قال عنه جبرئيل في السماء: «لا فتى إلاّ عليّ، لا سيف إلاّ ذو الفقار» [(٢)] هذه منزلة عظيمة لم ينالها حتّى باقي الأنبياء. إذن هذا هو معنى «آتَاكُمُ اللَّهُ مَا لَمْ يُؤْتِ أحَدا مِنَ الْعَالَمِينَ».

نحن في منزلة أهل البيت عليهم السلام لا نحتاج إلى كثير استدلال، فالمسألة واضحة.

«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة» [(٣)] هذه منزلة لا تحتاج إلى إضافة حتّى نعرف أن منزلة أهل البيت عليهم السلام هي فوق منازل البشر.

أساطير كاذبة:

بعض الناس يستأنسون بالأساطير وكثير منها خرافية غير صحيحة،

---

(١)

(٢)

(٣)

رغم أن كتب الحديث الموسوعية جمعتها باعتبارها تراثاً يجب أن يحفظ للنقد والاستفادة. اليوم أيضاً هناك كمبيوتر يجمعون فيه آلاف الكتب للاختصار وتيسير الاستعمال وخوفاً على تلك الكتب من الضياع ويومئذٍ كان علماؤنا يخافون على الكتب أن تضيع فجمعوا كل الكتب في موسوعة تراثية وأكّدوا أنها كتب بعضها معتمد وبعضها غير معتمد، وبعضها صحيحة وبعضها غير صحيحة.

موجود لدينا في الكتب كثير من الأساطير ولكن ليس معناه أننا نقبلها بل نحقق بها.

من جملة تلك الأساطير رواية يرويها العلامة المجلسي رحمه الله لكنه يقول: أنا أنقلها عن كتاب غير معروف ليس له مؤلف معروف، ثمّ يقول بالنهاية أنها غير معتمدة، تقول الأسطورة: بينما عليّ عليه السلام واقف في مسجد الكوفة وإذا بسحابة أضلَّت مسجد الكوفة فأومأ لها فنزلت ورفع رجله وركبها، ثمّ قال لعمّار: أعطني يدك وقل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ ففعل فركبوا السحابة، يقول عمّار: ما هي إلاّ ساعة حتّى نزلت السحابة ونزل عليّ عليه السلام منها وإذا نحن في أمّة يتكلمون بكلام غير عربي وعليّ عليه السلام أصبح يتكلم معهم وقضينا ساعة، ثمّ قال لي: يا عمّار أتدري أين نحن؟ قال: قلت: لا.

قال: نحن الآن في الجزيرة السابعة من جزر الصين وهؤلاء الناس أمرنا الله تبارك وتعالى أن نوصل لهم رسالة الإسلام فنحن نكون عندهم ونعلمهم بلغتهم.

يقول عمّار: وبعدئذٍ رجعنا إلى الكوفة... وصعد الإمام عليّ على

المنبر وخطب خطبة قال فيها: لو شئت أن أمد يدي هذه القصيرة من أرضكم الطويلة وأجذب معاوية لفعلت، ثمّ مدَّ يده وسحبها وبيده شعرات!!

قال: هذه الشعرات من شارب معاوية فتعجب الناس!! يقول عمّار: وبعد مدّة وَصَلَنا خبر أن معاوية كان جالساً على سريره في الشام في نفس ذلك اليوم وإذا به وقع مغشياً عليه، فلما قام وجدوا عدة شعرات من شاربه مفقودة!![(١)]

هذه أساطير مفتعلة، وأهل البيت عليهم السلام ليسوا بحاجة إليها.

لماذا لا نقبل هذه الروايات؟ هل الإمام عليّ عليه السلام ليس لديه هذه الامكانية؟

لا طبعاً، ليست القضية هي قضيّة قدرة الإمام عليّ عليه السلام أو عدم قدرته، وإنما لدينا مقياس آخر لنقد الأخبار وهو مقياس الحكمة فما هي الحكمة في هكذا تصرفات؟ فهل كل من لديه قدرة يقوم بذلك العمل حتّى إذا كان عملاً لا بدر له؟

وهل العمل يتناسب مع ثقافة الناس ووعيهم وأدوات عملهم وحركتهم؟ وما هي الفائدة؟ هناك قانون اسمه الحكمة في التصرف يجب أن ندرس جميع الأخبار التراثية في ضوء هذا المقياس.

الإمام عليّ عليه السلام لديه قدرة إعجازية كبيرة لكن تصرفاته حكيمة لا تخرج عن سياقات الحكمة والبلاغة في التصرف، كما أنها تتناسب مع الجو العام.

---

(١)

البحث الثاني: أهل البيت عليهم السلام هم الطريق إلى الله « بِكُمْ يُسْلَكُ إِلَى الرِّضْوَانِ» يعني بكم يُسلك إلى رضوان الله تبارك وتعالى في مقابل الغضب.

في نفس الوقت فإن اسم خازن الجنّة هو (رضوان)، وهناك تفسير آخر للرضوان وهو عبارة عن مرتبة عظيمة فوق الجنّة وأعظم من الجنّة كما قد تفيده الآية الكريمة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1] فالرضوان منزلة أعظم من الجنّة.

نحن نعتقد أن الوصول إلى الله تعالى يكون عن طريق العمل والجهد، كيف نصل إلى رضوان الله؟ ما هو الذي يرضي الله؟ وما هو الذي لا يرضيه؟ الفلاسفة قد يقدموا عشرة أدلّة على وجود الله، لكن لا يستطيعوا أن يقدّموا دليلاً واحداً على متى يرضى الله ومتى يغضب الله، ولهذا يأتي دور الأنبياء، الأنبياء فقط هم الذي يستطيعون أن يكتشفوا لنا عوامل الرضا وعوامل الغضب الإلهي، ولهذا تقول الزيارة: « بِكُمْ يُسْلَكُ إِلَى الرِّضْوَانِ » وبدونكم لا نستطيع الوصول إلى الرضوان. فنحن بحاجة إلى طريق لله تبارك وتعالى كما جاء في قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2] والوسيلة هم الأنبياء والأولياء والأئمّة الأطهار عليهم السلام.

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١)

(٢)

المحاضرة السابعة والسبعون:

معالم الفكر الشيعي

«بِمُوَالاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا».

بسم الله الرحمن الرحيم

حديثنا عن المقطع الذي يقول: «بِمُوَالاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا وَأَصْلَحَ مَا كَانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيَانَا وَبِمُوَالاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ وَائْتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ وَبِمُوَالاتِكُمْ تُقْبَلُ الطَّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ».

هذه خَمس نتائج لموالات أهل البيت عليهم السلام:

الأولى: «عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا» يعني نحن عرفنا معالم الدين من خلال أهل البيت عليهم السلام ومحبة أهل البيت عليهم السلام، ولولا محبة أهل البيت عليهم السلام لضاع علينا حقيقة الدين.

الثانية: «وَأَصْلَحَ مَا كَانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيَانَا» صلاح العالم الإسلامي والأمّة الإسلاميّة ووجودهم ككيان اجتماعي، سياسي، حضاري على الأرض إنما كان ببركة موالاة أهل البيت عليهم السلام.

الثالثة: «وَبِمُوَالاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ» ما هي الكلمة؟ كيف تمت الكلمة؟ هذا يحتاج إلى أن نقف عنده.

الرابعة: «وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ» بموالاة أهل البيت عليهم السلام.

الخامسة: «وَائْتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ» بمعنى المحافظة على وحدة الأمّة من خلال محور أهل البيت عليهم السلام.

هذه خمس نتائج على مستوى الدنيا، وهناك نتائج على مستوى عالم الآخرة وهي النتيجة السادسة «وَبِمُوَالاتِكُمْ تُقْبَلُ الطَّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ»

قبول أعمالنا هي بموالاة أهل البيت عليهم السلام.

معالم الدين:

نقف عند النتيجة الأولى وهي: « بِمُوَالاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا » حديثنا عن معالم الدين، أو معالم الفكر الشيعي، لأننا نفهم الإسلام من خلال ما قدَّمته لنا مدرسة أهل البيت عليهم السلام إذن الفكر الشيعي هو الإسلام الأصيل.

ما هي معالم الفكر الشيعي؟ ما هي متبنياتك الفكرية؟ طبعاً ستقول: (إمامة أهل البيت عليهم السلام) لكن هل يوجد متبنيات فكريّة داخل هذه المدرسة بحيث تميّزنا عن المدارس الأخرى؟ ما هي امتيازنا عن المدارس الأخرى؟ ليس مجرد أن الإمام عليّ عليه السلام هو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فإن هذه قضية تاريخية، هل لديك شيء آخر لمعالم مذهبك؟ هنا تقول الزيارة: « بِمُوَالاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا »، ما هل معالم الدين الإسلامي وفق مدرسة أهل البيت عليهم السلام، أو ما هي معالم المذهب الشيعي التي أخذناها من أهل البيت عليهم السلام؟ هذا ما سوف نتحدّث عنه إن شاء الله تعالى.

صلاح الأمّة:

هذه هي النتيجة الثانية: « وَأَصْلَحَ مَا كَانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيَانَا » يعني أن دنيانا التي كانت فاسدة فأصبحت صالحة، قد تقول: نحن شيعة أهل البيت عليهم السلام ذقنا الشدائد على طول التأريخ من قتل إلى سبي إلى سجون، تهجير فكيف تقول الزيارة: « وَأَصْلَحَ مَا كَانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيَانَا » حين كان

الشيعة يُدفنون أحياءاً في العصر العبّاسي هل هذا هو صلاح دنيانا؟ أو على عهد نظام صدام حيث المقابر الجماعية وتدمير القرى والمدن وملاحقة شيعة أهل البيت عليهم السلام فأين الصلاح الذي تتحدّث عنه الزيارة؟
الجواب: هو أن الأمّة الإسلاميّة لولا أهل البيت عليهم السلام لما حفظت وتكاملت حتّى وصلت إلى نصف العالم وانتقلت من الجزيرة العربية ودخل فيها الفرس والتراك والروم، هذه الأمّة مَن الذي جمعها؟

الآن لدينا أمّة عظيمة هي الأمّة الإسلاميّة، وهذه الأمّة التي أصبح لها كيان حضاري وسياسي وتاريخي فأضحت ثقلاً على الأرض، واليوم هذا الثقل بدأ يشهد حراكاً جديداً، هذه الأمّة كيف تكوّنت من مجموعات متفرقة في الجزيرة العربية، ومجموعات أخرى من أمم وشعوب لا تعرف الإسلام، وبدلاً من أن تكون هناك قوميات متعددة متناحرة وإذا بكل هذه المجموعات انصهرت في بوتقة واحدة هي بوتقة الإسلام، هذا معناه أن النبوّة وأهل بيت النبوة، استطاعوا أن يكوّنوا هذه الأمة الإسلاميّة، وهذه الأمّة الإسلاميّة لم تكن إلاّ بجهود أهل البيت عليهم السلام، وبالتأكيد فإن هناك مشاكل وحروب وقتال ودماء وعذاب، وأهل البيت عليهم السلام تحملوا القتل والسجون وشيعتهم تحملوا ما تحملوا، لكن بالمجمل نجحوا في تكوين هذه الأمّة، بين أن تكون عبارة عن قبائل وقوميات لا تنتمي إلى دين واحد، وبين أن تكون قبائل وشعوب وأمماً كلها تنتمي إلى الإسلام.

الشيء الذي صنعه أهل البيت عليهم السلام بصبرهم، وعملهم، ومدرستهم الفكرية والجهادية أنهم صنعوا الأمّة الإسلاميّة.

تصوروا لولا تلك الجهود لما كان حالنا أحسن من حال العبيد السود في أفريقيا يُباعون ويشترون، لولا جهود نبينا ﷺ وأهل البيت عليهم السلام، ولحد الآن فإن الشعوب الأفريقية هم رقم واحد في تجارة أعضاء البدن وبيع البشر، ومئات الآلاف يخطفون من تلك الشعوب ويباعون للدول الكبرى، لولا أهل البيت عليهم السلام لما أصبحنا أمّة كاملة لنا رأينا في العالم رغم الضربات التي تحملناها، ورغم الفتن الداخلية، رغم ذلك «وَأَصْلَحَ مَا كَانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيَانَا».

تمام الكلمة:

هذه هي النتيجة الثالثة: « وَبِمُوَالاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ » أي كلمة؟ هي كلمة التوحيد، التوحيد لا يكون تاماً إلاّ بموالاة أهل البيت عليهم السلام هذا ما قاله الإمام الرضا عليه السلام: «كلمة لا إله إلاّ الله حصني فمن دخل حصني أمِن مِن عذابي» ثمّ التفت إلى الناس من حوله وهم اثنا عشر ألف شخصاً كانوا في استقبال الإمام حينما أبعد من المدينة المنورة إلى بلاد فارس فقد استقبلوه في مدينة (مرو) وقالوا: حدّثنا.

فقال: «قال الله تعالى: كلمة لا إله إلاّ الله حصني فمن دخل حصني أمِن مِن عذابي» ثمّ التفت إليهم وقال: «بشرطها وشروطها وأنا من شروطها» (١) كلمة التوحيد مشروطة بموالاتهم وبدون موالاة أهل البيت فهي ناقصة.

وشبيه ذلك ما جاء عن رسول الله ﷺ: «لا تصلوا عليَّ الصلاة

(١)

البتراء».

قيل: يا رسول الله وما هي الصلاة البتراء؟

قال: «أن تصلوا عليَّ ولا تذكروا آلي».

قالوا: كيف نصلي؟

قال ﷺ: «قولوا: اللهم صل على محمّد وآل محمّد»[1] فالارتباط بالنبي ﷺ بدون آله هو ارتباط أبتر، هكذا الارتباط بالله تعالى بدون أئمّة الهدى عليهم السلام.

النعمة العظيمة:

«وَعَظُمَتِ النّعْمَةُ» ربما يكون ذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾[2] أيّ نعمة هذه؟ هي نعمة الإسلام ونعمة الإسلام تتم بالإيمان، وذلك أن الإسلام هو عبارة عن إطار يدخل فيه مجموعة من الناس، لكن جوهر الإسلام هو الإيمان الصادق والتسليم لحكم الله تعالى ورسوله ﴿وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[3] المؤمن لا يردّ على الله ورسوله إذا قال شيئاً، الإسلام إذا نزل إلى القلب صار إيماناً، وإذا صار إيماناً تحول إلى السلوك والعمل. هذه النعمة الكبيرة «وَعَظُمَتِ النّعْمَةُ». وهذه النعمة إنما عظمت بولاية أهل البيت عليهم السلام، فلولا هذه الوِلاية لكان الإسلام في معرض الفناء والزوال، ولم يتميز المؤمن

---

(١)

(٢)

(٣)

الحقيقي من المنافق الذي دخل الإسلام لمصالحه الشخصيّة، ولذا قال تعالى عندما أمر نبيّه بالإبلاغ بولاية عليّ عليه السلام: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾.

ائتلاف الفرقة:

«وَائْتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ» نعم ائتلفت الفرقة، وجهود أهل البيت عليهم السلام هي التي وحّدت العالم الإسلامي إلى اليوم ولولا تلك الجهود لكان العالم الإسلامي ممزّقاً ولكان العالم الإسلامي يشهد حروباً قومية إلى أعلى المستويات، وحروباً طائفية إلى أعلى المستويات.

قد يقول القائل: إن هناك بيننا خلافات، سُنّة وشيعة ومذاهب، هذا صحيح، لكن لاحظوا أن هناك اجتماع أعظم من الخلاف الموجود الآن، الأمّة الإسلاميّة الآن مجتمعة بشكل كبير، في ولاءاتها في انتمائاتها، في كيانها، هذا الاجتماع كان بجهود الأئمّة الأطهار عليهم السلام الذي حرصوا على وحدة هذه الأمّة ولو بالتنازل عن حقوقهم.

أهل البيت عليهم السلام كانوا وما زالوا هم دعاة الوحدة وسيبقى أهل البيت عليهم السلام هم دعاة الوحدة الإسلاميّة على مستوى القوميات وعلى مستوى المذاهب الأخرى ولهذا فإن شيعة أهل البيت عليهم السلام اليوم يتهمون بأنهم شعوبيون، لكنها في الحقيقة فضيلة، أن الإنسان يكون كما أراده الإسلام وكما أراده الله تعالى ﴿شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1] قيل علينا: شعوبيون، لأننا لا نقبل أن نكون في دائرة ضيقة،

---

(١)

نحن نقول نور القرآن والإسلام لكل العالم، وليس فقط للجزيرة العربية، يشترك فيه بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، هذه الرؤية العالمية الإنسانية هي الرؤية الصحيحة.

الموالاة طريق المعرفة:

قبل الحديث عن معالم الفكر الشيعي لا بدَّ من الإجابة على السؤال: كيف تكون موالاة أهل البيت عليهم السلام هي السبب في معرفتنا لهذه المعالم كما يقول نص الزيارة: «بِمُوَالاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا»؟

هذه قاعدة عظيمة يريد أئمّتنا قولها وهي أن أهل البيت عليهم السلام كانوا هم السبب في صيانة الدين ولولا أهل البيت عليهم السلام لم يقم للإسلام عمود ولم يخضر له عود، لكان الإسلام أثراً بعد عين لولا مواقف أهل البيت عليهم السلام وبالتالي فإن كل ما يوجد اليوم من معرفة دينية إنما هي امتداد لدور أهل البيت عليهم السلام وببركة موقع أهل البيت عليهم السلام وموالاة أهل البيت عليهم السلام.

الإسلام المنتشر اليوم في بقاع الأرض، كل هذا الامتداد الديني إنما هو ببركة أهل البيت عليهم السلام وموقعهم « بِمُوَالاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا» ولولا تلك الموالاة لم نعرف معالم الدين.

أهل البيت عليهم السلام كانوا هم السبب في بقاء الإسلام وهنا أحاول أن أتناول هذا الموضوع بشيء من التوضيح، لاحظوا مصادر الإسلام الكتاب والسُنّة، الكتاب هو القرآن، والسُنّة سُنّة النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام، تعالوا ننظر ماذا فعل أهل البيت عليهم السلام من أجل حفظ الكتاب والسُنّة بحيث أنه لولا أهل البيت عليهم السلام ومواقفهم لما بقى كتاب

ولا سُنّة؟

جمع القرآن:

أوّل من جمع القرآن الكريم بعد وفاة نبينا ﷺ هو الإمام عليّ عليه السلام «وعاهد الله أن لا يخرج من المنزل حتّى يكون قد جمع القرآن من الصحف المنتشرة»، [1] كان القرآن عبارة عن أوراق وصحف، والصحف آنذاك عبارة عن جذع نخلة أو جلد غزال.

الإمام عليّ عليه السلام أوّل من تحمَّل مسؤولية جمع القرآن الكريم فجمعه كما أُنزل على نبينا ﷺ، آية بعد آية، وفي كل آية كان يكتب الإمام عليّ عليه السلام هامشاً أين نزلت وفيمن نزلت ثمّ قدَّمه للخلافة القائمة يومئذٍ وقال: هذا القرآن جمعته لكم، فرأوا هذا مشروعاً عظيماً لكن هذا المشروع سوف يكون باسم عليّ بن أبي طالب الذي كان يمثل يومئذٍ المعارضة السياسية ولا يمكن أن يعطوه هذا الامتياز فلم يقبلوه، وقاموا بعدئذٍ بمشروع جمع القرآن، وجمعوا القرآن على غير الشكل الذي أنزل من حيث ترتيب السور، إن القرآن الذي نقرؤه الآن هو غير متسلسل بحسب ترتيب آيات النزول فليست الفاتحة هي أوّل ما نزل من القرآن ولا الثانية هي سورة البقرة، القرآن الذي بين أيدينا مرتب على أساس السور الطوال والسور القصار وليس على أساس التاريخ الذي نزلت فيه الآيات، ومع ذلك فقد أمضى أهل البيت عليهم السلام هذا الجمع من أجل أن لا يضيع القرآن، ولا تختلف كلمة الأمّة الإسلاميّة، وقد كان هذا الجمع

---

(١)

على عهد عثمان بن عفان ولهذا فإن المصحف الذي نقرؤه الآن هو المعروف بمصحف عثمان، لكن تصوروا لولا عليّ عليه السلام ومبادرته لجمع القرآن وضغطه على الحكم القائم يومئذٍ لما جُمع القرآن.

القرآن هو المقياس:

وفي خطوة مهمة ثانية أكّد أهل البيت عليهم السلام على اعتبار القرآن وحده هو المقياس في صحة رواية السُنّة. «أعرضوا ما ورد عنّا على كتاب الله فما وافق فخذوه وما خالف فذروه»[(١)] أو «فاضربوا به عرض الجدار».[(٢)] خطوة مهمة في تأكيد أصالة القرآن وقداسته وصحته المطلقة. الشيء الذي يختلف عن كتاب الله مرفوض، وأن المصدر الأوّل هو القرآن وهذا ما فرض نفسه على الواقع الإسلامي فأصبح القرآن لدى كل المذاهب الإسلاميّة المصدر الأوّل في المعارف الإسلاميّة والتشريع. لقد حفظ القرآن بجهود أهل البيت عليهم السلام وبمشاريع أهل البيت وبحركة أهل البيت.

تدوين السُنّة:

وأمّا السُنّة فقد كان تدوينها ممنوعاً وكذلك تداولها والحديث بها لمدة قرن كامل ولغاية سنة مئة للهجرة رُفع المنع عن ذلك من قبل الملك عمر بن عبد العزيز. سُنّة رسول الله صلى الله عليه وآله من المحرمات، والأجهزة الأمنية يومئذٍ كانت تلاحق روايات النبي صلى الله عليه وآله، وقد تستغربون هذا الأمر

---

(١)

(٢)

لكن الجميع يعرف هذه الحقيقة إلاّ أنهم يسكتون عنها. لقد آن تدوّن السُنّة على عهد الخليفة الأوّل والثاني وكان من يقول: (قال رسول الله ﷺ) يُجلد بالسياط، وكذلك الحال على عهد الخليفة الثالث ولغاية خلافة وحكومة عمر بن عبد العزيز. هذا الأمر ثابت بإجماع المؤرخين، الخليفة الأوّل حرَّم رواية النبي ﷺ والثاني والثالث وجاء الإمام عليّ عليه السلام وفتح الباب في فترة قصيرة مليئة بالحروب والأئمّة عليهم السلام عملوا خط معارضة في تدوين سُنّة النبي ﷺ وبعد مئة سنة فتح الحصار الإعلامي والأمني الذي كان مفروضاً على سُنّة النبي ﷺ وسأقرأ لكم بعض روايات المؤرخين.

لولا عليّ عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام الذين أصرّوا دائماً على أن يثقفوا الأمّة على أهميّة السُنّة الحديث وينشروا الحديث، وأوّل من بدأ بتدوين السُنّة هم شيعة أهل البيت عليهم السلام حين كان ذلك ممنوعاً بقرار السلطة.

أقرأ لكم بعض الروايات بهذا الشأن من طبقات ابن سعد، وهو من أهم الكتب التاريخية وهو ليس مؤرخاً شيعياً يقول:

إن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن يأتوه بها ـ يعني جمعوا له أحاديث النبي ﷺ ـ فلما أتوه بها أمر بتحريقها، وهكذا أحرقت سُنّة النبي ﷺ، يقول ابن سعد: إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز بعد مئة سنة فقال: أنظروا حديث رسول الله فاكتبوه فإني قد خفت دروس العلم وذهاب أهله.[١]

---

(١)

وأما الذهبي وهو من كبار رجال أهل السُنّة يقول: إن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدّثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه،[١] لقد كانت سُنّة النبي ﷺ في قائمة الممنوعات.

واسمعوا ما يرويه (قرضة بن كعب) قال: لما سيَّرنا عُمر إلى العراق مشى معنا عمر قال: أتدرون لم شيَّعتكم؟ قلنا: أردتَ أن تشيّعنا وتكرمنا.

قال: إن مع ذلك لحاجة أنكم تأتون أهلَ قريةٍ لهم دوي في القرآن كدوي النحل فلا تضدّوهم بالأحاديث عن رسول الله وأنا شريككم!!

قال قرضة: فما حدَّثت بعدَها حديثاً عن رسول الله.[٢]

عبد الرحمن بن عوف يقول: ما مات عمر بن الخطاب حتّى بعث إلى أصحاب رسول الله ﷺ فجمعهم من الآفاق فيهم عبد الله بن حذيفة وأبو الدرداء وأبو ذر وعقبة بن عامر.

فقال: ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله في الآفاق؟

قالوا: تنهانا؟

قال: لا، لكن أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت، فنحن أعلم نأخذ منكم ونردّ عليكم فما فارقوه حتّى مات،[٣] كان ذلك أوّل

---

(١)

(٢)

(٣)

منع من السفر على الصحابة حتّى لا ينقلوا سُنّة النبي ﷺ.

يروي الذهبي يقول: أن عُمراً حبس ثلاثة: ابن مسعود وأبو الدرداء وأبا مسعود الأنصاري وقال: أكثرتم الحديث عن رسول الله.[١]

أما عثمان بن عفان فقد أقرَّ نفس هذه السُنّة حين صعد على المنبر وقال: لا يحل لأحد أن يروي حديثاً لم يُسمع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر، [٢] إذن هذه أيضاً استمرارية في المنع حتّى جاء الإمام عليّ عليه السلام بعد خمس وعشرين سنة من المنع لتناقل سُنّة النبي ﷺ.

خمس وعشرون سنة لم يسمع الناس حديثاً عن رسول الله ﷺ، ويومئذٍ كانت الأحاديث محفوظة في الصدور وحيث لا كتاب ولا استنساخ، الإمام عليّ عليه السلام كانت حكومته حكومة حروب وإلى أن سيطر معاوية على الأمر واستمر في المنع إلى أن تطور الموقف من منع الرواية إلى تحريف الرواية إلى مشروع الكذب إلى مشروع وضع الروايات وجعلها، يعني أن إعلام الحق ممنوع وإعلام الكذب مسموح، على عهد معاوية تطور الموقف، معاوية أصبح يدعم مشروع وضع الرواية على رسول الله ﷺ ومنع الروايات الصحيحة ووضع الروايات الكاذبة.

اسمعوا ماذا كتب، كتب معاوية نسخةً واحدة _ وهذا رواه المدائني من مؤرخي أهل السُنّة _ إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممَّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته.

---

(١)

(٢)

وكتب إلى عماله يقول: أنظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته الذي يروون فضائله ومناقبه أدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم واكتبوا إلي بكل ما يروي رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته، ففعلوا ذلك حتّى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه وأصبح معاوية يبعث إليهم الهدايا حتّى كثرت الروايات في فضل عثمان فكتب معاوية إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلاّ واتوني مناقضاً له في الصحابة فإن هذا أحب إليَّ وأقرب وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله، [1] فقُرئت كتبه على الناس فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، هذا هو مشروع الإجهاز على حديث الرسول ﷺ المؤلف من عدة خطوات:

1 _ منع الحديث بالرواية الصحيحة.

2 _ نشر الأحاديث الكاذبة.

3 _ دعوة اليهود والنصارى لوضع الروايات الإسرائيلية الكاذبة في مسجد النبي ﷺ حتّى أن عمر بن الخطاب أعطى ساعة واحدة قبل صلاة الجمعة لكي يتحدّث أحد علماء النصارى بالمسلمين وجاء عثمان فجعلها ساعتين، في الوقت الذي يمنع فيه الصحابة من أن يقولوا: (قال رسول الله ﷺ)، لكن يأتي كعب الأحبار اليهودي فيعطى ساعتين في

---

(١)

المسجد ليتحدّث عن الإسرائيليات!! يا للعجب، سُنّةُ النبي ممنوعة، الصحابة ممنوعون، فقط عالم النصارى وعالم اليهود، أقرأ لكم قصة تميم الداري وهو الراهب النصراني وكعب أحبار اليهود وهذا كبير علماء اليهود هؤلاء دخلوا في الإسلام نفاقاً ووجلاً وليس قربة إلى الله إثر حوادث سرقة وما شاكل وحتّى يأمنوا دخلوا الإسلام في قصة طويلة.

تميمُ الداري كان نصرانياً وكعب الأحبار كان يهودياً خصّص الخليفة عمر بن الخطاب للأوّل النصراني ساعة في كل أسبوع يتحدّث فيها قبل صلاة الجمعة بمسجد الرسول ﷺ، وجاء عثمان بن عفان فجعلها ساعتين لكعب الأحبار في يومين في الأسبوع، فأضحى المسلمون يأخذون علومهم من عند الداري شيخ النصارى ومن كعب أحبار اليهود في الأسبوع ساعتين ليومين في الأسبوع!!، كعب الأحبار وهو يهودي أصبح يعظ المسلمين في المسجد، وعندما يأتي شخص إلى الخليفة يسأله مسألة فإن الخليفة يتجه إلى كعب الأحبار يقول له: ماذا تقول يا كعب؟ وهو بدوره يعطي الفتاوى الشرعية!!، أمّا كعب الأحبار فكان الخلفاء عمر وعثمان ومعاوية يسألونه عن مبدأ الخلق وقضايا المعاد وتفسير القرآن إلى غير ذلك. [١] لقد كان الموقف الرسمي هو منع السُنّة النبوية، ثمّ تحريف السُنّة النبوية، ثمّ اعتماد مصادر نصرانية ويهودية يعلّمون المسلمين في المسجد النبوي.

أمّا موقف أئمّتنا عليهم السلام فحينما استلم الإمام عليّ عليه السلام الحكم، فتح

---

(١)

الباب لرواية السُنّة النبوية وبقيت السُنّة النبوية يتحدّث بها الخط الشيعي حتّى وصلنا لعهد الإمام الصادق عليه السلام فروى عنه أربعة آلاف رجل، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ بعد ذلك ظهرت مدرسة أهل السُنّة وبدأت بتدوين الحديث على عهد عمر بن عبد العزيز في رأس السنة المائة للهجرة، أما قبل ذلك فقد كان الأمر ممنوعاً، نستطيع أن نعرف أن سُنّة النبي الموجودة اليوم في الكتب لدى السُنّة والشيعة قد حفظها أهل البيت عليهم السلام ولولا أهل البيت عليهم السلام لما بقيت سُنّة رسول الله صلى الله عليه وآله.

والحمد لله رب العالمين

* * *

المحاضرة الثامنة والسبعون:

معالم الفكر الشيعي

بسم الله الرحمن الرحيم

اذكر لكم أربعة عشرة معلماً من الفكر المذهب الشيعي، تمثل الخطوط الرئيسية لفكر التشيع:

المعلم الأوّل: الكمال الإلهي المطلق:

نحن نعتقد بأن الله تبارك وتعالى يمثل الكمال المطلق، حيث لا نقص ولا جهل ولا ظلم ولا غفلة ولا نسيان و أيّ نقص يُنسب إلى الله تبارك وتعالى فهو مرفوض عندنا، نحن شيعة أهل البيت عليهم السلام وفق مدرسة الأئمّة الأطهار التي هي ترجمة حقيقية للقرآن الكريم نعتقد بالكمال الإلهي المطلق، والتي تعني أن الله عادل ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[1] و﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾[2] و﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ﴾[3] و﴿لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ﴾.[4]

بعض الروايات التي نقرأها في صحيح البخاري وغيره تقول: إن الله تبارك وتعالى ينزل في كل ليلة جمعة إلى الأرض راكباً على

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

حمار.[١]

هذه المفاهيم هي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام مفاهيم مرفوضة لأنها لا تتناسب مع القدسية الإلهية ومع الكمال الإلهي المطلق، نحن نعتقد وفقاً للقرآن الكريم حسب قراءة أهل البيت عليهم السلام بالكمال الإلهي المطلق، عندما تقرأ أدب أهل البيت عليهم السلام تجد شيئاً عجيباً في وصف الله تبارك وتعالى وتنزيهه عن أيّ نقاط نقص.

الإمام عليّ عليه السلام في دعاء الصباح يقول: « يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ وَتَنَزَّهَ عَنْ مُجَانَسَةِ مَخْلُوقَاتِهِ وَجَلَّ عَنْ مُلاءَمَةِ كَيْفِيَّاتِهِ يَا مَنْ قَرُبَ مِنْ خَطَرَاتِ الظُّنُونِ وَبَعُدَ عَنْ لَحَظَاتِ الْعُيُونِ وَعَلِمَ بِمَا كَانَ قَبْلَ أنْ يَكُونَ يَا مَنْ أرْقَدَنِي فِي مِهَادِ أمْنِهِ وَأمَانِهِ وَأيْقَظَنِي إلَى مَا مَنَحَنِي بِهِ مِنْ مِنَنِهِ وَإحْسَانِهِ وَكَفَّ أكُفَّ السُّوءِ عَنِّي بِيَدِهِ وَسُلْطَانِهِ »،[٢] هذا عرض جميل للكمال الإلهي المطلق.

المعلم الثاني: إرادة الإنسان وحرية اختياره:

وهنا يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمرٌ بين أمرين» [٣] الإنسان ليس مكرهاً على أعماله، ولا هو مطلق الاختيار بعيداً عن القدر الإلهي، هذه هي رؤية أهل البيت عليهم السلام في أعقد مسألة فلسفة وهي إرادة الإنسان، هل أن هذا الإنسان يخضع لحتمية تأريخية؟ أو حتمية وراثية، أو اقتصادية، أو بيئية أو هو يتمتع بإرادة حرة رغم كل

---

(١)

(٢)

(٣)

تلك العوامل المؤثرة والضاغطة؟ إذا قلت: إنه يخضع للحتميات الواحدة أو المتعددة إذن لماذا الله خَلَق الجَنّة والنار؟ و إذا قلت: إنه يملك إرادة مطلقة إذن فذاك نفي لتأثير البيئة والاقتصاد والتأريخ والوراثة!!، نحن في مدرسة أهل البيت عليهم السلام نعتقد بإرادة الإنسان وأن الإنسان هو الذي يصنع قراره ويصنع مصيره، ولهذا فإن الله تبارك وتعالى يثيبه ويعاقبه، وأن العوامل المؤثرة الأخرى هي عوامل ضاغطة ولا تشل حتميّة. مدرسة أهل البيت عليهم السلام آمنت بهذه النظرية، وهي الإرادة النسبية وليست الإرادة المطلقة.

المعلم الثالث: عصمة الأنبياء والأئمّة الأطهار عليهم السلام:

شيعة أهل البيت عليهم السلام تعتقد بأن نبينا صلى الله عليه وآله والأنبياء كلهم والأئمّة كذلك معصومون عن الذنب وعن الخطأ، وعلى الأقل في الدائرة الضيقة وهي:

1 _ معصومون عن الذنب.

2 _ ومعصومون عن الخطأ في مجال إيصال الرسالة، وفي ضوء ذلك نحن نرفض أن يقال لرسول الله صلى الله عليه وآله: (إن النبي ليهجر)، [1] فمدرسة أهل البيت عليهم السلام تقول بعصمة النبي صلى الله عليه وآله وكل الأنبياء عليهم السلام من الذنوب ومن الخطأ في تبليغ الرسالة كما يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾[2] يعني لو أن هذا النبي أراد أن يتكلم

---

(١)

(٢)

غير ما أوحينا إليه ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾.[1]

المعلم الرابع: إمامة أهل البيت عليهم السلام:

والإمامة بالمصطلح المعاصر تعني القيادة، نحن نعتقد أن أهم معالم الفكر الشيعي هو امتداد الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته عليهم السلام.

من هو مصدر التشريع الفكري والسياسي؟

شيعة أهل البيت يعتقدون أن الإمامة الفكرية والسياسية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هي لأهل البيت عليهم السلام كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تظلوا بعدي أبداً».[2]

المعلم الخامس: الأئمّة عليهم السلام اثنا عشر:

لا خمسة ولا سبعة، نؤمن بآخرهم كما نؤمن بأوّلهم « مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلانِيَتِكُمْ وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَأَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ وَمُفَوِّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ »، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله بإجماع كتب الحديث لدى الشيعة كما في صحاح أهل السُنّة كما في صحيح البخاري: «الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش».[3]

نحن نعتقد أن الأئمّة اثنا عشر هؤلاء الذين نزل النَص فيهم ولهذا

---

(١)
(٢)
(٣)

يطلق علينا الإمامية الاثنا عشرية، وهناك شيعة يوالون أهل البيت عليهم السلام ويعتقدون بإمامتهم لكن لا يعتقدون بالأئمّة الاثني عشر، مثل الإسماعيلية الذين يعتقدون بالإمام عليّ والحسن والحسين وزين العابدين ومحمّد الباقر وجعفر الصادق ثمّ إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق ويقفون عنده. وطائفة أخرى هي الواقفة أو الواقفية، هؤلاء يقفون عند الإمام موسى بن جعفر وتنتهي الإمامة، أمّا نحن الإمامية الاثنا عشرية فنعتقد بامتداد الإمامة المنصوصة إلى اثني عشر إماماً آخرهم المهدي المنتظر الموعود عليه السلام.

المعلم السادس: غَيبة الإمام الثاني عشر:

حيث نعتقد أن الإمام الثاني عشر الذي هو حجة الله على الخلائق جميعاً هو مولود وموجود وهو الإمام الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام وقد ثبت في الصحيح من الروايات قوله صلى الله عليه وآله: «لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يظهر واحد من ولدي يواطئ اسمه اسمي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً»[1] نحن الآن في مرحلة الغيبة وبعدها لدينا مرحلة الظهور وذلك عند ظهور الإمام الثاني عشر عليه السلام بعد غيبة طويلة.

المعلم السابع: الرؤية الواقعية للتأريخ:

وهذه قضية نسجلها في معالم الفكر الشيعي.

كيف نقرأ تاريخ الأمّة الإسلاميّة؟ هل هو تاريخ مثالي، تأريخ

---

(١)

أبيض ساطع، أم هو تاريخ فيه الخطأ وفيه الصواب وفيه العدالة وفيه الظلم وفيه الجريمة وفيه كل شيء؟

أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم يتميزون بالرؤية الواقعية لقراءة التاريخ كما هو ثابت في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وكما تحدّث به القرآن الكريم. القرآن الكريم ما هي رؤيته لبني إسرائيل؟ وهم جماعة يعقوب وأولاده وإسرائيل هو اسم يعقوب، القرآن الكريم يتحدّث عنهم على أنهم أمّة سيئة ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾(١) القرآن يعطي نظرة واقعية، أنهم انحرفوا حين أصبحوا أمّة كبيرة متشعبة ثمّ انحرفوا.

عجباً أمّة النبي صلى الله عليه وآله هل هي أمّة مقدسة بالمطلق بلا خطأ ولا معصية وكلهم ناس من أهل الجنّة!؟ هذه نظرة مثالية وليست واقعية، ماذا كان القرآن يتحدّث عن هذه الأمّة في زمن النبي صلى الله عليه وآله؟ كان هناك نفاق، وايذاء لرسول الله و ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾.(٢)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً﴾.(٣)

﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾.(٤)

وكان القرآن الكريم يتحدّث عن السفهاء ويقول: ﴿يُخادِعُونَ اللَّهَ

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

وَهُوَ خادِعُهُمْ ﴾[١] في زمن النبي ﷺ كان هناك أشكال من الناس كان هناك من دخل الإسلام انتهازياً، أو تجربةً، أو صادقاً، في القرآن الكريم سورة كاملة تتحدّث عن المنافقين إذن بعد النبي ﷺ هل تغير التأريخ مئة بالمئة؟ وبمجرد أن مات النبي أصبحت الأمة نقية (100٪)؟ هذه نظرة كاذبة غير واقعية، النظرة الواقعية التي يرسمها أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم للتأريخ بعد رسول الله ﷺ هو ما كان يقوله رسول الله ﷺ بإجماع المؤرخين: «لتتبعن سُنَن مَن قبلكم حتّى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ لدخلتموه» [٢] أنتم ستصبحون كالأمم السابقة، ومثل أمّة بني إسرائيل، وهكذا كان يقول: «أقبلت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم».[٣]

هذه أحاديث ثابتة عن رسول الله ﷺ، إذن رؤيتنا لتاريخ الأمّة بعد رسول الله ﷺ هي رؤية واقعية تحدّث عنها القرآن، وتحدّث عنها الرسول ﷺ. يعني أننا لا نمنح هذه الأمّة صفة القداسة المطلقة ولا نمنحها صفة الجريمة المطلقة، نحن نقول هناك صالحون وهناك غير صالحين، ونعتقد أن هذه الأمّة بعد رسول الله ﷺ شهدت انحرافات عديدة، وشهدت نقاط قوة عديدة.

هذه الأمّة شهدت اتجاهات سياسية واتجاهات دينية مختلفة فهل نستطيع أن نقول: إن هذه الأمّة مقدَّسة (100٪)؟ لا، ولهذا نحن ننظر إلى التاريخ ليس كما ينظر إليه أتباع المذاهب الأخرى ، فالتاريخ ليس تاريخاً

---

(١)

(٢)

(٣)

أبيضاً، بل كان فيه الكثير من النقاط السود، التاريخ الذي يَقتُل آل رسول الله ﷺ، ويحمل رؤوسهم على الرماح ويطاف بهم في البلدان هذا تاريخ أسود ولا يمكن تقديسه.

المعلم الثامن: الموقف من الحاكم الجائر:

مدرسة أهل البيت عليهم السلام لا تقبل الحاكم الجائر ولا تقبل له بيعة ولو بويع الحاكم الجائر ألف بيعة فهي باطلة.

الإمام الحسين في بداية ثورته قال عليه السلام: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله فَلم يغيّر ما عليه أكبَّه الله على منخريه في نار جهنم».[(١)]

الحاكم الجائر ليس له شرعية هذه مدرسة والمدرسة الأخرى هي مدرسة أهل السُنّة التي تعتقد بوجوب السمع والطاعة «اسمع وأطع ولو سُلّطَ عليك عبدٌ حبشي»[(٢)] صدّام أو يزيد أو الحجاج، أمّا مدرسة أهل البيت عليهم السلام فهي ترفض الحاكم الجائر.

المعلم التاسع: موقع الأمّة:

فهل الأمّة لها صلاحيات مطلقة كما تقول الديموقراطية أن مصدر كل السلطات هي الأمّة، أم أنها تبعية مطلقة «اسمَع وأطِع ولو سُلّط عليكَ عبدٌ حبشي» كما تقول المدرسة الأشعرية أم للشيعة رأي آخر؟

شيعة أهل البيت عليهم السلام لهم رأي آخر نسميه المشاركة بين الإمام

---

(١)

(٢)

والأمّة، الأمّة لها صلاحيات لكن المرشد لها والشاهد عليها هو الإمام كما قال القرآن الكريم: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾[(١)] هذا الموقع هو الذي كتب به أستاذنا الشهيد السيد محمّد باقر الصدر كتاباً اسمه (خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء) نحن لا نعتقد بأن الأمّة لها صلاحيات مطلقة، بل نعتقد أن الأمّة لها صلاحيات نسبية توزَّع بينها وبين الإمام، نسميها نظرية المشاركة بين الأمّة وبين الإمام.[(٢)]

المعلم العاشر: إشراف الفقهاء:

بعد النبي والأئمّة عليهم السلام وفي زمن الغيبة وحيث أن الأمّة ليست هي مصدر السلطات بشكل مطلق وإنما هي مصدر نسبي كما شرحنا، والحاكم الجائر ليس له بيعة في رقاب الناس إذن من هو الحجة على الناس؟

مدرسة أهل البيت عليهم السلام تقول في زمن الغيبة فإن الإمام المعصوم الغائب له نوّاب يتمتعون بموقع الولاية والإشراف على حركة الإمّة. هذه نيابة الفقهاء الذين يمثلون الإمام المعصوم، يقول الحديث: «الراد عليهم كالراد على الله وهو على حد الشرك بالله»[(٣)] هذه النظرية في الفقه الشيعي هي معلم واضح من معالم مدرسة أهل البيت عليهم السلام وهي نقطة القوة الكبيرة في حركتهم السياسيّة. المرجعية الدينية هي أعظم نقطة قوة عند شيعة أهل البيت عليهم السلام ولو لم تكن لديهم مرجعية لم يستطيعوا أن

---

(١)

(٢) راجع للتوسع كتابنا (المذهب السياسي في الإسلام).

(٣)

يحققوا دولة إسلاميّة في إيران ولا هذا التحول الكبير في العراق ولا استطاعوا أن يكونوا دائماً في مواقع دفاعية كبيرة أمام الهجومات الفكرية والسياسية، الإمام الحسن العسكري عليه السلام يقول: «من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه».[١]

والرواية تقول: «الراد عليهم كالراد على الله وهو على حدّ الشرك بالله».

المعلم الحادي عشر: مصادر التشريع عبارة عن الكتاب والسُنّة:

ولا يجوز اعتماد مصدر آخر يعني أن الينابيع الصحيحة للمعرفة الإسلاميّة فقط هي القرآن والسُنّة النبوية كما شرحها أهل البيت عليهم السلام، أما المذاهب الأخرى فإن مصادرهم الفقهية هي الكتاب وسُنّة النبي صلى الله عليه وآله ورأي الصحابة ثمّ اعتمدوا دليلاً آخر وهو القياسات الذوقية أن هذا يشبه هذا إذن حكمه نفس الحكم وهكذا اعتمدوا المصدر الخامس وهو الاستحسان لكن أهل البيت عليهم السلام أكّدوا أن المصدر فقط هو الكتاب والسُنّة النبوية.

أقرأ لكم نصاً يقول: أئمّة المذاهب الثلاثة الأحناف، والمالكية والحنابلة هؤلاء كانوا يعتمدون رأي الصحابة وكان أبو حنيفة يقدم رأي الصحابي إذا تعارض في مورد من الموارد وقال: إذا لم أجد في كتاب الله ولا في سُنّة رسول الله صلى الله عليه وآله أخذت بقول أصحابه.

---

(١)

هذا الأمر أهل البيت عليهم السلام رفضوه وقالوا: إن الصحابة ليسوا مصدراً تشريعياً. الصحابة هم مجرد رواة، إذا رووا عن رسول الله صلى الله عليه وآله نقبل رأيهم أما إذا أعطى الصحابي اجتهاده فرأي الصحابي ليس بحجة. ويعتقد الشيعة أن السُنّة هي سُنّة النبي صلى الله عليه وآله وما يرويه الأئمّة المعصومون عليهم السلام فهم امتداد لسُنّة النبي صلى الله عليه وآله لأن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي...» إلى أن يقول: «وحديث جدي حديث رسول الله وحديث رسول الله حديث جبرائيل وحديث جبرائيل عن الله».[1]

ولهذا نحن نقول: إن السُنّة التي هي مصدر تشريع هي سُنّة المعصوم النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، هذا هو موقف شيعة أهل البيت عليهم السلام تجاه السُنّة النبوية.

المعلم الثاني عشر: العلاقة الحيّة مع أهل البيت عليهم السلام:

حينما يقول القرآن: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾.[2]

وحينما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»[3] فإن المودة والولاية ليست مجرد محبّة، وإلاّ فإن المحبّة موجودة لدى كل المسلمين، لكن ما هي قيمة المحبّة إذا لم يترتب عليها أثر عملي؟ الولاية هي موقف عملي ولهذا

---

(١)

(٢)

(٣)

جاء في حديث أهل البيت عليهم السلام: «بُني الإسلام على خمس: الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، والولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا الخامسة» [١] الولاية الحقيقية هي من أهم معالم الفكر الشيعي ونحن نقصد بالولاية عدة أمور:

1 ـ هي الاتّباع العملي فيما أمروا به ونَهوا عنه.

2 ـ العلاقة الحيّة والساخنة مع أهل البيت عليهم السلام وليس مجرد ولاية شكلية، بل يجب أن يكون هناك تفاعل حقيقي معهم في حياتهم وفي مماتهم لاحظوا ذلك فيما نقرأ في الزيارة الجامعة: « ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ وَأَنْفُسُكُمْ فِي النُّفُوسِ وَآثَارُكُمْ فِي الْآثَارِ وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ » فنحن نقول لهم: يا أئمّتنا أنتم معنا في جلوسنا وقيامنا وأكلنا وشربنا في بيوتنا وأسمائنا ومجالسنا فلا نجلس ولا نتحدّث إلاّ وأنتم معنا، حتّى قبورنا مع قبوركم، إن أحد مكوّنات الشخصية الشيعية أنه يبحث عن أهل البيت عليهم السلام أين مراقدهم؟ هذه هي صورة عن العلاقة الحيّة.

الرواية تقول: «شيعتنا خُلقوا من فاضل طينتنا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا» [٢] العلاقة الحيّة أكثر مما تتعامل مع أبيك وأُمّك ومع أهل بيتك تتعامل مع أهل البيت عليهم السلام في فرحهم وأحزانهم.

هذه العلاقة الحيّة لها ثلاثة مقومات:

1 ـ الاعتقاد بحياتهم بالفعل، يعني أنت عندما تزور أمير المؤمنين

---

(١)

(٢)

عليه السلام فأنت لا تزور جسداً ميتاً إنما تزور إماماً حيّاً وحينما تقول: «السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِينَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَحُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَشْهَدُ أَنَّكَ جَاهَدْتَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ» كأنك تخاطبه مخاطبة الحيّ للحيّ وليس للميت، بعض الناس يقول: إن النبي صلى الله عليه وآله ميت والأئمّة عليهم السلام موتى وقد نذهب ونقرأ لهم سورة الفاتحة لا أكثر. ولكن نحن عندما نزور النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام لا نقرأ لهم سورة الفاتحة بل نحن نزور نبيّاً حيّاً ونتكلم معه وهو يسمع كلامنا، هذا هو أحد الأركان لعلاقتنا الساخنة الحيّة.

2 _ الاعتقاد باطلاعهم على موقفنا «أَشْهَدُ أَنَّكَ تَسْمَعُ الْكَلامَ وَتَرُدُّ الْجَوَابَ»، «أشهد أنك ترى مقامي وتسمع كلامي وترد سلامي» فهو مطلع على هذا الزائر ولا توجد حجب بينه وبيننا.

3 _ أنهم يشفعون لنا في قضاء حوائجنا في الدنيا قبل الآخرة، حينما نزور النبي والإمام نكون معتقدين بأنه حيّ، ومطلعٌ على موقعنا وهو شفيع لنا، هذا هو المقوم الثالث في العلاقة الساخنة بيننا وبين أهل البيت عليهم السلام فهم ليسوا مجرد تاريخ قد انتهى وإنما يمثلون الماضي والحاضر والمستقبل.

والحمد لله رب العالمين

* * *

المحاضرة التاسعة والسبعون:

المقام المحمود

«وَلَكُمُ الْمَوَدَّةُ الْوَاجِبَةُ ، وَالدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ ، وَالْمَقَامُ الْمَحْمُودُ، وَالْمَكَانُ الْمَعْلُومُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث عن مقطع الزيارة « وَلَكُمُ الْمَوَدَّةُ الْوَاجِبَةُ ، وَالدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ ، وَالْمَقَامُ الْمَحْمُودُ ، وَالْمَكَانُ الْمَعْلُومُ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ» حديثنا عن المقام المحمود.

ما هو هذا المقام يوم القيامة؟

وهل هو مختص بالنبي ﷺ كما القرآن الكريم يخاطب النبي ﷺ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً ﴾[1] لأن المقام المحمود منتزع من هذه الآية والمفسرون يقفون عند المقام المحمود ويقولون: هو مقام الشفاعة ورسول الله ﷺ يوم القيامة له منزلة خاصة ودرجة خاصة اسمها الوسيلة.

وهو يقول ﷺ في حديث شريف: «إذا سألتم الله تعالى فاسألوا الله لي الوسيلة».

قيل: يا رسول الله وما هي الوسيلة؟

قال: «هي درجتي في الجنّة».[2]

ولهذا نحن في الأدعية اليومية الصباح والمساء نقرأ: « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ فِي الْأَوَّلِينَ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ فِي الْآخِرِينَ

---

(١)

(٢)

وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ فِي الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ فِي الْمُرْسَلِينَ »، ثمّ نقول: « اللَّهُمَّ أَعْطِ مُحَمَّدا الْوَسِيلَةَ وَالشَّرَفَ وَالْفَضِيلَةَ وَالدَّرَجَةَ الْكَبِيرَةَ »[1] وهذا من الأدعية الصباحية، ويستحب للإنسان في كل صباح أن يقرأ هذه الصلوات ثلاث مرات وهكذا في كل مساء، ومن جملة ما نقوله في هذه الصلوات: « اللَّهُمَّ أَعْطِ مُحَمَّدا الْوَسِيلَةَ » يقول الرسول ﷺ: «هي درجتي في الجنّة»، وعند المفسرين هي مقام الشفاعة، ذلك المقام العظيم بحيث تقول الروايات: «لا يبقى أحد يوم القيامة إلاّ وهو محتاج إلى شفاعة محمّد ﷺ»،[2] يعني لا إنسان عادي، ولا نبي من الأنبياء عليهم السلام ولا ملك من الملائكة إلاّ وهو محتاج إلى شفاعة نبينا ﷺ.

الشرح اللفظي للعبارة:

وقبل الدخول في البحث يجب أن نشرح عبارات الزيارة التي تقول: « طَأْطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِطَاعَتِكُمْ » هل أن كل الناس يخضعون لأهل البيت عليهم السلام رغم أن هناك من قاتَلَ أهل البيت عليهم السلام؟ إذن ما معنى « طَأْطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِطَاعَتِكُمْ » يمكن أن نفسّر ذلك بالشأنية بمعنى أن شأنهم لو اطلع عليه كل إنسان حتّى الجبابرة والفراعنة لخضعوا لهم، هذا هو ما نعبّر عنه بالشأنية، والفكرة هكذا أنه لو اطلع الجبابرة على شأنهم عند الله تبارك وتعالى لخضعوا لهم هذا معنى «طَأْطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ».

إن أطغى الطغاة لو عرف منزلة أهل البيت عليهم السلام وانكشفت له

---

(١)

(٢)

منزلتهم عند الله تبارك وتعالى لخضع لهم وذلَّ لهم، لكن لأن الناس أعداء ما جهلوا إذن هُم لا يخضعون لهم.

ثمّ تقول الزيارة: « بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ وَأَنْفُسُكُمْ فِي النُّفُوس وَآثَارُكُمْ فِي الْآثَارِ وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ » المعنى الذي نستطيع أن نفسّر به هذا النص هو أنكم يا آل رسول الله ﷺ معنا دائماً وفي كل حال، إذا ذكرنا أحداً جاء ذكركم، ذُكر البطولات تُذكر بطولتكم، ذُكر التقوى يُذكر تقواكم، الكرم يأتي كرمكم، ذُكر الفضل والفضائل أتي ذكر فضائلكم. « وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ » حينما تذكر في التأريخ الأسماء اللامعة تُذكر أسماؤكم، «وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ » نحن حتّى لو ابتعدنا عنكم لكن في الحقيقة نحن نتعايش معكم حتّى كأنكم معنا في منازلنا في محلاتنا، وأسواقنا ومدارسنا، هذا النص إشارة إلى التعايش الدائم كما تقول لشخص تحبه وتُعشقه: أنت معي تقوم وتقعد، نحن هكذا في علاقتنا مع أهل البيت عليهم السلام. معكم بمستوى أن « ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ وَأَنْفُسُكُمْ فِي النُّفُوس »، أنتم في محافل زواجنا، ومآتمنا، وسفرنا، وحضرنا، وأيضاً « قُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ »، يعني إن اعتزازنا بقبوركم أكثر من اعتزازنا بقبور آبائنا وأجدادنا، إذا كنا نبحث عن قبور، فنحن نبحث عن قبوركم، « أَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ وَأَنْفُسُكُمْ فِي النُّفُوس وَآثَارُكُمْ فِي الْآثَارِ وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ».

هذا هو التفسير الأوّل.

وهناك مجموعة تفاسير أخرى منها: أن « ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ » مبتدأ خبره محذوف فيكون الجملة هكذا: (ذكركم في الذاكرين أحلى الذكر)، (وأجسامكم في الأجسام أحلى الأجسام) والدليل على هذا التفسير هو أنه بعد ذلك يقول: « فَمَا أَحْلَى أَسْمَاءَكُمْ وَأَكْرَمَ أَنْفُسَكُمْ وَأَعْظَمَ شَأْنَكُمْ وَأَجَلَّ خَطَرَكُمْ».

نحن نميل إلى التفسير الأوّل، والإنسان الذي يقرأ هذه الزيارة يُسرع إلى ذهنه في فهم عباراتها أنه نحن نتعايش معكم في الليل والنهار ونحن علاقتنا علاقة وطيدة لا تنفك أبداً في الأجسام والأرواح والأنفس حتّى نصل إلى القبور، الآن الشيعة أين يدفنون موتاهم؟ قرب إمام أو ابن إمام، حتّى السكن أين يوجد إمام هم يسكنون قُرب ضريحه ويلتفون حوله، هذا إشارة إلى حقيقة الترابط الوثيق، والذي نقرؤه تاريخياً في مسيرة شيعة أهل البيت عليهم السلام، أنه حيث ما كان هناك قبر إمام معصوم أو شهيد مقتول تجدون تلك المنطقة قد عمرت بالسكنى وصارت مدينة، الشيعة يبحثون عن مزارات أهل بيت النبوة عليهم السلام أينما كانوا، وهذه حقيقة تاريخية.

«وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِكُمْ» هذه الجملة لها عدة تفاسير:

التفسير الأوّل: أشرقت الأرض بنور هداكم، والنور المقصود هنا ليس النور المادي إنما نور الهدى (النور المعنوي).

التفسير الثاني: أشرقت الأرض بنور وجودكم (النور التكويني) وهذا التفسير تتضمنه بعض الروايات أن أهل البيت عليهم السلام هم الوسيلة في

وجود كل الكائنات. نتذكر قوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾[١] فالنور إشارة إلى الوجود، إن وجود الأشياء كلها بالله تبارك وتعالى، وهو سر وجودها حينئذٍ هذا التفسير يقول: إن كل الوجود هو امتداد لنور أهل البيت عليهم السلام لأنهم وجه الله وسرّ الله ولولا النبي صلى الله عليه وآله وهو الإنسان الكامل لما خَلَق الله أرضاً مدحية ولا سماءً مبنية ولا فلكاً يَدور ولا شمساً تجري ولا قمراً يسري، الفكرة أن كل هذا الوجود هو امتداد تكويني لشعاع وجودهم، وهذا معنى عميق وهي نظرية معرفية فلسفية أن هذا الوجود بما فيه الشمس والقمر والأرض إنما هو امتداد لنورهم عليهم السلام، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أوّل ما خلق الله نوري»[٢] قبل أن يخلق السماوات والأرض ثمّ من ذلك النور جاءت الامتدادات الوجودية، هذا النور انعكس فكان هذا الوجود.

التفسير الثالث: «وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِكُمْ» إشارة إلى أرض يوم القيامة وليس أرض الدنيا، القرآن الكريم يقول: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها وَوُضِعَ الْكِتابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾[٣] يوم القيامة لا تُشرق القيامة بالشمس، لأن في القيامة لا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا ليل ولا نهار يتعاقبان وإنما أشرقت أرض القيامة بنور ربّها، وهنا تأتي بعض الروايات فتقول: ﴿أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها﴾ يعني بنور الإمام وبنور الإنسان الكامل، وعرصات يوم القيامة تشرق بنور النبي صلى الله عليه وآله فهذا التفسير يقول: إن ربّ

---

(١)

(٢)

(٣)

الأرض هو إمام الأرض، كما تقول: (ربّ الأسرة) وتقصد به إمام الأسرة وكبير الأسرة، ولهذا حينما يقول القرآن الكريم: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ فإن المقصود بنور إمامها وإمام الأرض في القيامة هو رسول الله ﷺ الذي تشرق بنوره عرصات يوم القيامة.

المقام المحمود:

نعود إلى قوله: « وَلَكُمُ الْمَوَدَّةُ الْوَاجِبَةُ وَالدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ وَالْمَقَامُ الْمَحْمُودُ » انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾[1] وهذه الآيات تشير إلى الصلوات اليومية الخمس: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ بمعنى زوال الشمس، والزوال هو ساعة الذروة لحرارة الشمس وأشعتها، حيث تكون الشمس فيه شبه عمودية، والإنسان لو نظر إلى الشمس بعينه فإنه يقوم بدلك عينه، من هنا جاءت العبارة ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ فأصبح كناية عن الزوال، ﴿إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ وغسق الليل استحكام الظلام، وليس بداية الغروب وإنما إلى أن يستحكم السواد، والغسق هو استحكام السواد، وهو عبارة عن وقت صلاة العشاء، القرآن يقول: أقم الصلاة بدءاً من الظُهر واستمراراً للعصر وحتّى غَسَق الليل فهذه خمس صلوات، الظهر عند دلوك الشمس ومروراً بالعصر ثمّ المغرب عند بداية الليل والعشاء عند غسق الليل، ثمّ صلاة الفجر الذي عبّر عنها ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾

---

(١)

وقرآن الفجر يعني صلاة الصبح، هنا عبَّر عن الصلاة بالقرآن لأن الصلاة هي قراءة قرآن أيضاً، ثمّ ينتقل من الصلاة اليومية إلى الصلوات المستحبة فيقول: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ﴾ يراد بالتهجّد اليقظة والتعبد في الليل، وقد استعملت الكلمة في عكس معناها الأصلي، واللغة العربية فيها غرائب جميلة فإن معنى التهجد هو النوم والهجود يعني النوم، لكنه أُريد من التهجد هنا ترك النوم والابتعاد عنه كمن ينام ويصحو ولا يستقر إلى فراشه ونومه، ﴿عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾.

هل يعني المقام المحمود مجرد وصف للمقام دون أن تكون هناك منزلة معينة أو هو إشارة إلى منزلة معينة؟ القرآن الكريم أحياناً يذكر أوصافاً ولكنها لا تعني وجودات خارجية متميّزة مثلاً يصف الجنّة بأنها دار السلام ﴿لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[1] سوف تسألني: هل دار السلام هي غير الجنّة؟ لا، هي نفس الجنّة ووصف الجنّة هو دار الأمان ودار السلام ﴿لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ هذا وصف لا يعبر عن وجود خارجي غير الموصوف، القرآن أحياناً يقول: جنات الخلد، ﴿قُلْ أَذلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾[2] والمقصود بجنّة الخلد ليس هو غير هذه الجنّة التي وعد بها المؤمنين بل هي نفسها والخلد هو وصفها. هذا تعدد أسماء والمسمى واحد.

السؤال: حينما يقول: ﴿عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾ هل هو

---

(١)

(٢)

مقام مستقل لرسول الله ﷺ أم هو وصف لمقامات الآخرة فهي مقامات محمودة؟ هل هو وصف عام أم وصف خاص؟

الجواب: نفهم من الآية الكريمة أنها تشير إلى منزلة خاصة لرسول الله ﷺ وليس وصفاً عاماً لكل الجنّة، طبعاً الجنّة هي مقام محمود، ولكن هنا منزلة خاصة لرسول الله ﷺ.

أنا بهذا الخصوص أقرأ لكم رواية جميلة وطويلة يرويها الشيخ الصدوق عن رسول الله ﷺ في تفسير درجة الوسيلة التي قال رسول الله ﷺ: «إذا سألتم الله فاسألوه لي الوسيلة»، قيل: وما هي؟ قال: «هي درجتي في الجنّة».

«أنها أعلى درجة في الجنّة لها ألف مرقاة...»، إلى أن يقول: «فيؤتى بها يوم القيامة حتّى تُنصب مع درجة النبيين كالقمر بين الكواكب، فلا يبقى يومئذٍ نبيٌّ ولا صديق ولا شهيد إلاّ وقال: طوبى لمن كانت هذه الدرجة درجته وهذه المنزلة منزلته، فيأتي النداء من عند الله تعالى يسمعه النبيون وكل الخلق: هذه درجة محمّد ﷺ فأقبل أنا يومئذٍ مئتزراً بريطة من نور عليَّ تاج المُلك وأكليل الكرامة وعليّ بن أبي طالب أمامي وبيده لوائي وهو لواء الحمد مكتوب عليه لا إله إلاّ الله، المفلحون هم الفائزون بالله، فإذا مررنا بالنبيين قالوا: هذان مَلَكان مقرَّبان لم نعرفهما فإذا مررنا بالملائكة قالوا: نبيَين مرسلَين حتّى أعلو الدرجة وعليّ يتبعني، حتّى إذا صِرتُ بأعلى درجة منها وعليُّ أسفلَ مني بدرجة لا يبقى يومئذٍ نبي ولا صدّيق ولا شهيد إلاّ قال: طوبى لهذين العبدين ما أكرمهما على الله تعالى فيأتي النداء من قبل الله تعالى: هذا حبيبي محمّد

وهذا حبيبي عليّ طوبى لمن أحبَّه وويل لمن أبغضَه فلا يبقى يومئذٍ أحدٌ أحبَّك يا عليّ إلاّ استراح لهذا الكلام وابيضَّ وجهُه وفرَح قلبُه ولا يبقى أحدٌ ممن عاداك أو نصب لك حرباً أو جَحد لك حقاً إلاّ اسودَّ وجهه واضطربت قدماه فبينما أنا كذلك فإذا ملكان قد أقبلا إليَّ أحدهما رضوان خازن الجنّة والآخر مالك خازن النار فيدنو رضوان فيقول:

السلام عليك يا أحمد، فأقول: السلام عليك أيها المَلك من أنت؟ ما أطيب وجهك وأحسن ريحك.

فيقول: أنا رضوان خازن الجنَّة وهذه مفاتيح الجنّة بعث إليك بها ربُّ العزة فخذها إليك يا أحمد.

فأقول: قد قبلت ذلك من ربي وله الحمد على ما فضلني به أدفعها إلى أخي عليّ بن أبي طالب، فيدفعها رضوان ويرجع.

فيدنوا مالك فيقول: السلام عليك يا أحمد.

فأقول: عليك السلام يا أيها المَلَك، ما أقبحَ وجهَك وأنكَر رؤيتك من أنت؟

فيقول: أنا مالك خازن النار وهذه مقاليد النار بعث بها إليك ربّ العزة فخذها يا أحمد.

فأقول: قد قبلت ذلك من ربي فله الحمد على ما فضلني ادفعها إلى أخي عليّ بن أبي طالب.

ثمّ يرجع مالك فيقبل عليّ ومعه مفاتيح الجنّة ومقاليد النار حتّى يقف على حنجرة جهنم وقد تطاير شررها وعلا زفيرها واشتد حرّها وعليٌّ آخذ بزمامها.

فتقول له جهنم: جُزني يا عليّ فقد أطفأ نورك لهبي.

فيقول لها عليّ: قرّي يا جهنم خُذي هذا عدوّي واتركي هذا وليي».

ثمّ قال رسول الله ﷺ: «فَلَجهنَّم يومئذٍ أشدُ مطاوعةً لعليّ من غلام أحدكم لصاحبه فإن شاء يَذهب بها يمنةً وإن شاء يَذهب بها يَسرةً ولَجَهنم أشدُ مطاوعةً لعليّ فيما يأمرها به من جميع الخلائق».[١]

هذه هي درجة الوسيلة ولا تقولوا هذا كلام غريب وربما فيه غُلو في منزلة الإمام عليّ عليه السلام، كلا، الروايات التي تقول: «إن قطرة دمع من خشية الله تطفئ نار جهنم»[٢] فهل أن منزلة الإمام عليّ عليه السلام أقل من هذه القطرة؟ ليس كثيراً على عليّ عليه السلام أن تكون جهنم مطيعة بين يديه عليه السلام وقد ثبت في الصحاح أن الإمام عليّ عليه السلام هو قسيم الجنّة والنار.[٣]

هذه درجة الوسيلة ومقام الشفاعة لرسول الله ﷺ.

السؤال: هل يمكن بلوغ المقام المحمود أم هو خاص برسول الله ﷺ؟

الروايات تقول: إن الإمام عليّ عليه السلام حين جاءه الحارث الهمداني وهو يتوكأ على عصاه قال له الإمام عليه السلام: «أنتَ مع من أحببت ولك ما اكتسبت».[٤]

ولهذا نحن نقرأ في زيارة الإمام الحسين عليه السلام في زيارة عاشوراء:

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

«فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتِكُمْ وَمَعْرِفَةِ أَوْلِيَائِكُمْ وَرَزَقَنِي الْبَرَاءَةَ مِنْ أَعْدَائِكُمْ أَنْ يَجْعَلَنِي مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَنْ يُثَبِّتَ لِي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَنِي الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ »[1] يعني نحن نرجو أن نصل إلى المقام المحمود الذي كتبه الله تبارك وتعالى.

المقام المحمود لرسول الله ﷺ وعليّ وآل البيت عليهم السلام هذا مقام يرجوه كل شيعتهم.

الطريق لبلوغ مقامات الآخرة:

سؤال: ما هو الطريق لبلوغ هذه المقامات؟

هناك أربعة طرق لا بدَّ من سلوكها لبلوغ تلك المقامات:

1 _ الإيمان.

2 _ العمل الصالح.

3 _ الدعاء.

4 _ الشفاعة.

ولا يمكن إهمال واحد من هذه الطرق.

أمّا الإيمان فقد قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.[2]

وأمّا العمل الصالح فقد قال تعالى: ﴿وَالعَصْرِ * إِنَّ الإِنسانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾.[3]

---

(١)

(٢)

(٣)

وأمّا الدعاء فقد قال تعالى: ﴿قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لا دُعاؤُكُمْ﴾.[١]

وأمّا الشفاعة فإنه لا يمكن لأحد بدون شفاعة رسول الله ﷺ يوم القيامة أن يفوز بالمقامات العليا.

يقول رسول الله ﷺ: «إذا قمت المقام المحمود تشفَّعتُ في أصحاب الكبائر من أمّتي فيُشفّعني الله فيهم».[٢]

ولهذا نقرأ في هذه الزيارة الجامعة: « اللَّهُمَّ إِنِّي لَو وَجَدْتُ شُفَعَاءَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَخْيَارِ الْأَئِمَّةِ الْأَبْرَارِ لَجَعَلْتُهُمْ شُفَعَائِي».

الحديث يقول عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما من أحد إلاّ يحتاج إلى شفاعة محمّد ﷺ يومئذٍ».[٣]

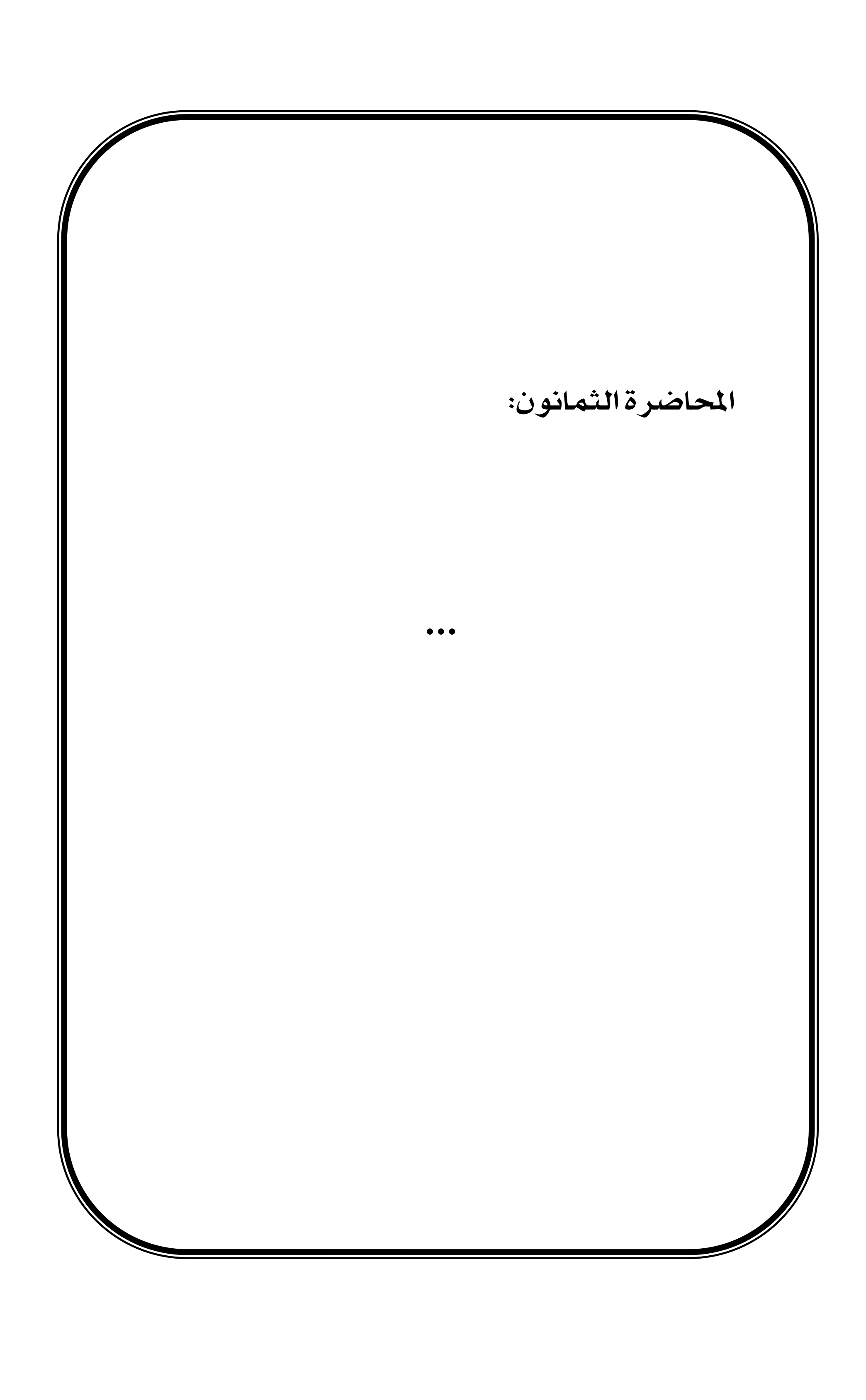
والحمد لله رب العالمين

* * *

(١)

(٢)

(٣)



المحاضرة الثمانون:

...

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلنا إلى ختام الزيارة الجامعة الكبيرة وختامها عبارة عن دعاء كما هو في غيرها من الزيارات التي تنتهي بالدعاء.

لدينا ثلاثة مفاهيم نريد أن نقف عندها حيث يقول: « فَبِحَقِّهِمُ الَّذِي أَوْجَبْتَ لَهُمْ عَلَيْكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُدْخِلَنِي فِي جُمْلَةِ الْعَارِفِينَ بِهِمْ وَبِحَقِّهِمْ وَفِي زُمْرَةِ الْمَرْحُومِينَ بِشَفَاعَتِهِمْ إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ وَسَلَّمَ [تَسْلِيما] كَثِيراً وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ».

المفهوم الأوّل: ما هو الهدف من الزيارة؟

هناك هدفان حينما نزور النبي ﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام:

الهدف الأوّل هو التعظيم والتكريم لهذا الإمام.

الهدف الثاني هو التقرب والتهجد والدعاء والتوسل إلى الله تبارك وتعالى، إن الهدف الأساس هو التقرب إلى الله سبحانه وتعالى والهدف الآخر هو التعظيم لأهل البيت عليهم السلام ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾[1] فالذي يزور الكعبة لديه هدفان: الأوّل: تعظيم الكعبة، والثاني: الارتباط بصاحب الكعبة.

كذلك نحن عندما نزور النبي ﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام لدينا

---

(١)

هدفان كما ذكرنا، وهذه الزيارات هي حديث لقاء وحديث تضرع إلى الله تبارك وتعالى.

ولهذا تجدون في جميع هذه الزيارات بعدما ينتهي الزائر من السلام والتحية ينتقل إلى ما هو أهم وهو الدعاء « اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي قَدْ أَخْلَقَتْ وَجْهِي عِنْدَكَ».[1]

زيارة أهل البيت عليهم السلام هي فرصة ارتباط بالله تعالى.

لاحظوا مثلاً في الزيارة الجامعة الكبيرة هناك فصلٌ كامل للدعاء، وحينما نزور الإمام الحسين عليه السلام هناك دعاء خاص بعد زيارة الإمام الحسين عليه السلام وهكذا زيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فهناك دعاء خاص، وكذلك بعد زيارة الإمام الرضا عليه السلام، لأن هدف الزيارة هو الاقتراب من الله تبارك وتعالى، ودور الإمام هو الوسيط.

المفهوم الثاني: دور الإمام:

هذا هو المفهوم الثاني الذي نريد أن نسجله، إذا كان الهدف من الزيارة هو الارتباط بالله تعالى فإن دور الإمام هو الوسيط بين الزائر وبين الله تعالى، ولهذا نقرأ في الزيارة الجامعة: « اللَّهُمَّ إِنِّي لَوَجَدْتُ شُفَعَاءَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَخْيَارِ الْأَئِمَّةِ الْأَبْرَارِ لَجَعَلْتُهُمْ شُفَعَائِي » لأن ما يهمّنا هو الوصول إلى الله تبارك وتعالى، إذن دور الإمام المعصوم هو دور الوسيط فيما بيننا وبين الله تبارك وتعالى.

المفهوم الثالث: أهمية الدعاء:

---

(١)

القرآن الكريم يؤكد أنه بدون دعاء لا يمكن أن تصلوا إلى نتيجة.

القرآن الكريم يقول: ﴿قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لا دُعاؤُكُمْ﴾[1] لهذا أيها الإخوة والأخوات يجب أن نتعلم هذه الحقيقة، حينما نزور بعدها يجب أن ندعو، أما أن نزور بلا دعاء فهذا خطأ.

هناك حديث قدسي يقول: «من توضأ وصلى ولم يدعني فقد جفاني، ومن توضأ وصلى ودعاني فلم أجبه فقد جفوته وما أنا برب جاف» [2] الفكرة هي أنك أيها العبد تطرق الأبواب كي أفتحها لك فإذا فتحت لك الباب فادخل، أما أن تطرق الباب ثمّ تفتح لك ولا تدخل ولا تطلب شيئاً إذن فهذا جفاء، ولهذا يستحب للإنسان بعد الصلاة أن يذهب للسجود لأن الباب قد فتحت للإجابة.

رسول الله ﷺ يقول: «سلوا الله الخيط والمخيط» [3] أبسط الحاجات اسألوها.

فالإنسان حينما يزور ويصلي ركعتين قد جعل الإمام واسطة بينه وبين الله لتفتح له باب الإجابة، فقد فتحت أبواب الإجابة بعد الزيارة فيجب أن نقبل على الدعاء ونطلب حاجاتنا من عند الله تبارك وتعالى.

المطالب المهمة الثلاثة:

الزيارة الجامعة فيها ثلاثة مطالب مهمة نسألها من الله تعالى كما يعلمنا الإمام الهادي عليه السلام في هذه الزيارة.

---

(١)

(٢)

(٣)

المطلب الأوّل: موقع الشهادة:

لاحظوا ماذا يقول الدعاء: «رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ»[1] وهذا أوّل دعاء ومطلب في الزيارة الجامعة.

يأتي السؤال: ما موقع الشهادة؟

التفسير الأوّل: هو الإسلام. يعني أكتبنا مع الذين يشهدون أن لا إله إلاّ الله وأن محمّداً رسول الله، مع المسلمين الذين يشهدون الشهادتين.

التفسير الثاني: هو موقع الإشراف والشهادة. وهو أسمى مرتبة فعندنا ثلاث مراتب:

1 _ الإسلام.

2 _ الإيمان.

3 _ الشهادة.

لاحظوا القرآن الكريم ماذا يقول: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾[2] أنت أيها النبي موقعك أكبر من أن تكون مجرد مسلم، أو مؤمن، بل لك موقع أعظم وهو موقع الشاهد على الناس، ويوم القيامة حينما يسأل الله تعالى عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ عيسى يجيب فيقول: ﴿ما قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ ما أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ﴾، يا إلهي ما دمت فيهم كنت شهيداً عليهم ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ

---

(١)

(٢)

الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾،(١) ومحل الشاهد هنا ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ ﴾، يعني موقع النبي هو موقع الشهادة على أمّته، هذا الموقع القرآن الكريم يطلبه للمسلمين حيث يقول: ﴿وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾(٢) وهذا موقع عظيم وهو موقع الإشراف على المسيرة البشرية، ولهذا حينما نقرأ في الدعاء: « رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ » اكتبنا مع أولئك الذين بلغوا مستوى الإشراف على أمّتهم وقومهم، قد تقول: كيف أكون مشرفاً على الناس؟

الإسلام يريد منّا أن يكون كل واحد منّا قدوة للآخر، يقول الدعاء القرآني: ﴿رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَذُرِّيّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً ﴾(٣) هذا ما تقوله أنت عندما تقرأ القرآن الكريم رغم أنك لست عالماً دينياً، كل واحد منّا يجب أن يكون قدوة في صفه، وشركته، ودائرته.

الشاهد يعني القدوة، الآية القرآنية تنسب هذا الوصف للإمام أمير المؤمنين عليه السلام حين يقول تعالى: ﴿قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ ﴾(٤) والذي عنده علم الكتاب هو الإمام عليّ عليه السلام، يقول النبي صلى الله عليه وآله: «الله شهيد على حقانية موقفي وعليّ عليه السلام أيضاً يعرف

---

(١)
(٢)
(٣)
(٤)

حقانية موقفي، وهو الذي عنده علم الكتاب وليس أنتم»،[١] إذن معنى شاهد يعني مشرف.

الدعاء يقول: « فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ » يعني نقول: إلهنا نحن نريد يوم القيامة مقاماً عالياً جداً مع مقام الأنبياء مع النبيين والشهداء والصالحين.

المطلب الثاني: هو الثبات: « رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا » لأن هناك خطر هو خطر الانحراف، وكل إنسان يتعرض لهذا الخطر.

أيها الإخوة، أيتها الأخوات، نحن في الدنيا نمشي على مخاطر فالدنيا ليست دار أمان. المخاطر تحوط بنا لا ندري متى تقع، مثلما هناك مرض الأبدان هناك مرض القلوب، كثير من الناس كانوا صالحين لكن انقلبوا طالحين، ومن أهل الهدى صاروا من أهل الظلال، هذا الخطر موجود، ولهذا فإن الدعاء يقول: « رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا » وهذا الدعاء نجده في مختلف الأدعية بعد الزيارات.

مثلاً نقرؤه بعد دعاء زيارة أمير المؤمنين: « اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَثْرَةِ اللّسَانِ وَسُوءِ الْمَقَامِ وَخِفَّةِ الْمِيزَانِ »[٢] جميعنا نواجه خطر الانحراف، انحراف القلوب.

زيغ القلوب:

زيغ القلوب هل هو فعل الله أم فعل الشيطان؟

الجواب: الشيطان يحرف الناس لكن الله تعالى هو وراء كل عمل

---

(١)

(٢)

فالسبب المباشر هو الشيطان ﴿اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ ﴾[1] لكن السبب لكل هذا الوجود هو الله تبارك وتعالى.

مثلاً الإنسان حينما يُتوفى بحادث تقول ذلك السبب هو الذي أدى إلى موته لكن الله هو الذي يتوفى الأنفس فهو المميت والمحيي، كذلك الله تعالى هو الهادي وهو المضلّ ولهذا يقول القرآن: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ ﴾[2] إذن العامل المباشر للضلال هو الشيطان، هو أنت وهواك ولهذا القرآن يقول: ﴿فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[3] يعني هم أوّل من باشر بالضلال بعدئذٍ أضلهم الله، إذن حاشا لله أن يضلَّ عبده إذا لم يختر العبد طريق الضلال.

المطلب الثالث: هو الغفران « اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ ذُنُوبي قَدْ أَخْلَقَتْ وَجْهِي عِنْدَكَ وَحَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَغَيَّرَتْ حَالِي عِنْدَكَ فَإِنّي أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي لا يُطْفَأُ وَبِوَجْهِ مُحَمَّدٍ حَبِيبِكَ الْمُصْطَفَى وَبِوَجْهِ وَلِيِّكَ عَلِيٍّ الْمُرْتَضَى وَبِحَقّ أَوْلِيَائِكَ الَّذِينَ انْتَجَبْتَهُمْ أَنْ تُصَلّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَغْفِرَ لِي مَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِي وَأَنْ تَعْصِمَنِي فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِي وَأَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ أَنْ أَعُودَ فِي شَيْءٍ مِنْ مَعَاصِيكَ أَبَدا مَا أَبْقَيْتَنِي حَتَّى تَتَوَفَّانِي وَأَنَا لَكَ مُطِيعٌ وَأَنْتَ عَنّي رَاضٍ وَأَنْ تَخْتِمَ لِي عَمَلِي بِأَحْسَنِهِ وَتَجْعَلَ لِي ثَوَابَهُ الْجَنَّةَ وَأَنْ تَفْعَلَ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ يَا أَهْلَ التَّقْوَى وَيَا أَهْلَ الْمَغْفِرَةِ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَارْحَمْنِي بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ

---

(١)

(٢)

(٣)

الرَّاحِمِينَ»[١] الغفران هو المطلب المهم بعد كل الزيارات.

ولهذا نقول: « يَا وَلِيَّ اللَّهِ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذُنُوبا لا يَأْتِي عَلَيْهَا إِلا رِضَاكُمْ فَبِحَقِّ مَن ائْتَمَنَكُمْ عَلَى سِرِّهِ وَاسْتَرْعَاكُمْ أَمْرَ خَلْقِهِ وَقَرَنَ طَاعَتَكُمْ بِطَاعَتِهِ لَمَّا اسْتَوْهَبْتُمْ ذُنُوبِي».[٢]

في الدعاء بعد زيارة الإمام الرضا عليه السلام: «سَيِّدِي لَو عَلِمَتِ الْأَرْضُ بِذُنُوبِي لَسَاخَتْ بِي أو الْجِبَالُ لَهَدَّتْنِي أو السَّمَاوَاتُ لاخْتَطَفَتْنِي أو الْبِحَارُ لَأَغْرَقَتْنِي»[٣] الغفران هو أعظم مطالبنا بعد زيارتهم عليهم السلام.

ونقرأ أخيرا: « اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا مَشْهَدٌ لا يَرْجُومَنْ فَاتَتْهُ فِيهِ رَحْمَتُكَ أَنْ يَنَالَهَا فِي غَيْرِهِ»[٤] فإذا كانت الرحمة لا تشملك وأنت متوسل بالإمام الحسين عليه السلام _ مثلاً _ إذن أين تشملك الرحمة «وَلا أَحَدٌ أَشْقَى مِن امْرِئٍ قَصَدَهُ مُؤَمّلاً فَآبَ عَنْهُ خَائِباً» لا يوجد أشقى من إنسان يذهب إلى أبواب الله المفتوحة فيرجع خائباً، دليلنا على ذلك أن هذه المشاهد هي بيوت الله تعالى كما قال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾.[٥]

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

مصادر التحقيق

القرآن الكريم.

نهج البلاغة: خطب وكلمات الإمام عليّ عليه السلام/ الشريف الرضي رحمه الله.

الصحيفة السجادية: الإمام زين العابدين عليه السلام/ نشر جامعة المدرسين.

الإحتجاج: أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسي/ منشورات مطبعة النعمان النجف.

الإختصاص: الشيخ المفيد/ جماعة المدرسين قم.

اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي: الشيخ الطوسي/ ت مهدي الرجائي.

الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: الشيخ المفيد/ مؤسسة آل البيت.

إرشاد القلوب:

الإستبصار في اختلف من الأخبار: الشيخ الطوسي/ ت حسن الخرسان.

الأصول الستة عشر: مجموعة محدثين/ دار الشبستري للمطبوعات/ ط 2.

أصول الفقه: محمّد رضا المظفر/ دفتر تبليغات إسلامي قم/ ط 4.

إقبال الأعمال: عليّ بن طاووس/ دفتر تبليغات إسلامي/ ت جواد القيومي.

الأم: محمّد بن إدريس الشافعي/ دار الفكر بيروت/ ط 2.

الأمالي: الشيخ الصدوق/ ت قسم الدراسات الإسلامية/ مؤسسة البعثة.

الأمالي: الشيخ الطوسي/ ت مؤسسة البعثة/ ط 1/ الناشر دار الثقافة قم.

الأمالي: الشيخ المفيد/ ت عليّ أكبر الغفاري/ نشر جماعة المدرسين قم.

الإمامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري/ منشورات الشريف الرضي قم/ ط 1.

الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة: السيد عبد الله شبر/ ط 1/ مط الوفاء بيروت.
بحار الأنوار: محمّد باقر المجلسي/ مط الوفاء/ بيروت.
البداية والنهاية: إسماعيل الدمشقي/ ت عليّ شيري/ دار إحياء التراث العربي/ ط 1.
بشارة المصطفى ﷺ لشيعة المرتضى عليه السلام: محمّد الطبري/ ت جواد القيومي/ ط1.
بصائر الدرجات الكبرى: محمّد الصفار/ مؤسسة الأعلمي/ طهران.
تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر/ ت عليّ شيري/ دار الفكر بيروت.
التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي/ ت أحمد العاملي/ دار إحياء التراث/ ط 1.
تحرير الأحكام: العلامة الحلي/ مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر.
تحف العقول عن آل الرسول: الحسن الحراني/ ت عليّ اكبر الغفاري/ ط 2.
تذكرة الفقهاء: العلامة الحلي/ منشورات المكنية الرضوية لإحياء الآثار الجعفرية.
تصحيح اعتقادات الإمامية: الشيخ المفيد/ نشر دار المفيد/ ط 2.
تفسير العياشي: محمّد بن مسعود/ ت هاشم المحلاتي/ المكتبة العلمية طهران.
تفسير القمي: عليّ بن إبراهيم القمي/ مؤسسة دار الكتاب قم/ ط 3.
تهذيب الأحكام في شرح المقنعة: الشيخ الطوسي/ ت حسن الخرسان.
ثواب الأعمال: الشيخ الصدوق/ منشورات الرضي/ ط 2.
الجامع الأحكام القرآن المعرف بتفسير القرطبي: محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي/ مؤسسة التاريخ العربي بيروت.
جامع الأخبار: السبزواري/ تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام.
جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمّد بن جرير الطبري/ نشر دار الفكر بيروت.
جامع المقاصد في شرح القواعد: عليّ الكركي/ مؤسسة آل البيت/ ط 1.
الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي):عبد الرحمن الثعالبي المالكي/ نشر

دار إحياء التراث العربي بيروت.
جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: محمّد بن أحمد الدمشقي الشافعي/ ت محمّد باقر المحمودي/ نشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية/ ط 1.
الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي/ نشر مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام.
الخصال: الشيخ الصدوق/ ت عليّ أكبر الغفاري/ نشر جماعة المدرسين قم.
الدروس الشرعية في فقه الإمامية: محمّد العاملي/ ت مؤسسة النشر الإسلامي/ ط 1.
دلائل الإمامة: محمّد بن جرير الطبري/ ت ونشر مؤسسة البعثة قم/ ط 1.
دلائل النبوة: إسماعيل بن محمّد الاصبهاني/ ت محمّد حداد/ دار طيبة الرياض/ ط1.
الذرية الطاهرة النبوية: محمّد بن أحمد الدولابي/ ت سعد الحسن/ دار السلفية/ ط1.
الرسالة السعدية: العلامة الحلي/ ت عبد الحسين بقال/ ط 1 المحققة.
روضة الواعظين: محمّد بن الفتال النيسابوري/ منشورات الرضي قم.
رياض المسائل في بيان الأحكام والدلائل: عليّ الطباطبائي/ مؤسسة آل البيت قم.
زاد المسافر في علم التفسير: عبد الرحمن الجوزي/ دار الفكر/ ط 1.
سلوة الحزين المعروف بالدعوات: الراوندي/ ت مدرسة الإمام المهدي/ ط 1.
سير أعلام النبلاء: محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي/ مؤسسة الرسالة بيروت.
السيرة النبوية: إسماعيل بن كثير/ ت مصطفى عبد الواحد/ دار المعرفة بيروت.
شجرة طوبى: الشيخ محمّد مهدي الحائري: مط الحيدرية.
شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار: القاضي التميمي/ ت محمّد الجلالي.
شرح أصول الكافي: محمّد صالح المازندراني.
شرح القصائد الهاشميات للكميت بن زيد والعلويات لابن أبي الحديد: نشر مؤسسة الأعلمي بيروت.

شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي/ ت محمّد أبو الفضل/ ط1.
صحيح البخاري: محمّد بن إسماعيل البخاري/ دار الفكر بيروت.
صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري/ نشر دار الفكر بيروت.
الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم: عليّ العاملي/ ت محمّد باقر البهبودي/ ط1.
صفات الشيعة: الشيخ الصدوق/ نشر مطبعة عابدي طهران.
الصواعق المحرقة: ابن حجر العسقلاني.
العروة الوثقى: السيد كاظم اليزدي/ ط 2/ مؤسسة الأعلمي بيروت.
علل الشرائع: الشيخ الصدوق/ منشورات المكتبة الحيدرية النجف.
عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية: محمّد الاحسائي/ مجتبى العراقي/ ط 1.
العود القوية لدفع المخاوف اليومية: عليّ بن يوسف الحلي/ ت مهدي الرجائي/ ط1.
عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: محمّد بن عبد الله بن سيد الناس/ نشر مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر بيروت.
عيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق/ ط 1/ مط مؤسسة الأعلمي بيروت.
غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام: السيد هاشم البحراني/ ت السيد عليّ عاشور.
غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام: أبو القاسم القمي/ ت عبّاس تبريزيان/ ط 1.
الفصول المهمة: ابن الصباغ المالكي.
الفضائل: شاذان بن جبرئيل القمي/ المطبعة الحيدرية.
فقه الرضا: عليّ بن بابويه/ ت مؤسسة آل البيت/ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام.
فلاح السائل: رضي الدين عليّ بن طاووس/ مط الحيدرية.
فيض القدير في شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير: محمّد عبر الرؤوف

المناوي/ ت أحمد عبد السلام/ نشر دار الكتب العلمية بيروت/ ط 1.
قرب الاسناد: عبد الله بن جعفر الحميري/ نشر مؤسسة آل البيت/ ط 1.
قصص الأنبياء: قطب الدين الراوندي/ ت غلام رضا عرفانيان/ دار الهادي عليه السلام/ ط 1.
الكافي: الكليني/ ت عليّ أكبر غفاري/ ط 3/ مط حيدري/ دار الكتب الإسلامية.
كامل الزيارات: الشيخ جعفر بن محمّد قولويه/ ت جواد قيومي/ مؤسسة نشر الفقاهة.
كتاب الطهارة: الشيخ الأنصاري/ ط 1/ مط مؤسسة الهادي قم.
كشف الغمة في معرفة الأئمّة: عليّ بن عيسى الاربلي/ نشر دار الأضواء بيروت/ ط 2.
كفاية الأثر النص على الأئمّة الاثنى عشر: عليّ الخزاز/ ت عبد اللطيف الخوئي.
كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصدوق/ ت عليّ أكبر غفاري.
الكنى والألقاب: الشيخ عبّاس القمي/ تقديم محمّد هادي الأميني.
كنز العمال: المتقي الهندي/ ت بكري حياني/ مط الرسالة بيروت.
اللهوف في قتلى الطفوف: عليّ بن طاووس/ ط 1/ نشر أنوار الهدى.
مثير الأحزان: ابن نما الحلي/ مط الحيدرية النجف.
مجمع البيان: الطبرسي/ ت لجنة من العلماء/ ط 1/ مؤسسة الأعلمي بيروت.
مروج الذهب:
المزار الكبير: الشيخ المشهدي/ ت جواد القيومي/ مط مؤسسة النشر الإسلامي.
مستدرك سفينة البحار: عليّ النمازي الشاهرودي/ ت حسن عليّ النمازي.
المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري/ دار المعرفة بيروت.
مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: ميرزا حسين النوري/ مؤسسة آل البيت قم.
مسند أحمد: أحمد بن حنبل/ نشر دار صادر بيروت.
مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: أبي الفضل عليّ الطبرسي/ ت مهدي هوشمند/ ط1.

المصباح: الشيخ إبراهيم الكفعمي.
مصباح المتهجد: الشيخ الطوسي/ ط 1/ مؤسسة فقه الشيعة بيروت.
معاني الأخبار: الشيخ الصدوق/ نشر إنشارات إسلامي.
مغني المحتاج إلى معرفة معاني المنهاج: محمّد الشريني/ دار إحياء التراث العربي.
مفاتيح الجنان: الشيخ عبّاس القمي.
مفاهيم القرآن: جعفر السبحاني.
مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الاصفهاني/ مؤسسة دار الكتاب قم.
مقتل الحسين عليه السلام: لوط الأزدي الكوفي/ نشر مكتبة السيد المرعشي قم.
مكيال المكارم في فضائل الدعاء للقائم عليه السلام: ميرزا محمّد تقي الاصفهاني/ ت عليّ عاشور/ نشر مؤسسة الأعلمي بيروت ط 1.
منازل الآخرة: الشيخ عبّاس القمي.
المناقب: أحمد بن محمّد المكي الخوارزمي/ ت فاضل المحمودي/ ط 2.
مناقب آل أبي طالب: محمّد بن عليّ بن شهر آشوب/ نشر المطبعة الحيدرية.
منتخب الأنوار المضيئة: السيد عليّ النيلي/ نشر مؤسسة الإمام المهدي/ ط 1.
منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: العلامة الحلي/ ت عبد الرحيم مبارك.
موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: اعداد معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام/ نشر دار المعروف قم/ ط 3.
ميزان الحكمة: محمّد المحمدي الريشهري/ نشر دار الحديث قم.
الميزان في تفسير القرآن: محمّد حسين الطباطبائي/ مؤسسة النشر الإسلامي.
نتائج الأفكار في نجاسة الكفار: السيد محمّد رضا الكلبايكاني/ دار القرآن/ ط 1.
نفس الرحمان في فضائل سيدنا سلمان: الميرزا حسين النوري/ ت جواد القيومي/ ط

1/ مؤسسة الآفاق.
وسائل الشيعة: الحر العاملي/ ت ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام.
ينابيع المودة لذوي القربى: سليمان القندوزي الحنفي/ دار الأسوة/ ط 1.

* * *

فهرست الموضوعات

* * *